جمال شاهين

اختفاء البدن

منشورات المكتبة الخاصة

روايات

قلب الوطن

٥

اختفاء البدن

جمال شاهين

٢٠٢٣

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٥

جمال شاهين

اختفاء البدن

الثانوية

" اليوم نتائج التوجيهي"

هذا ما قاله عبد الرحيم في ذلك الصباح الصيفي لأخيه عبد القادر ، فرفع عبد القادر الغطاء عن رأسه وقال بصوت مرتفع : يا أخي قل أولا صباح الخير .. كل الدنيا تعلم أن اليوم نتائج الثانوية العامة

رد عليه عبد الرحيم : خفض صوتك .. لا ترفعه الدنيا الصبح لم تشرق الشمس بعد

فتحت الأم الباب وأدخلت رأسها قائلة : صباح الخير يا أولاد .. لقد سمعت صوتكم هل استيقظتم ؟

قال عبد الرحيم باشا : أهلا أمي سلام الله عليك .. أنا منذ آذان الفجر لم انم .. عبد القادر صلى ونام اليوم سنسمع الزغاريد يا أم سميح !

ـ إن شاء الله يا أولاد .. نحن واثقون من نجاحكم لكننا نطمع بمعدلات عالية منكم .

قال عبد القادر : إن شاء الله إن شاء الله يا أمي نرجو أن نحقق افضل النتائج .. كم تتوقع معدلا يا عبد الرحيم ؟

هرش رأسه ورد: نحن كما قالت أمنا الكريمة سننجح بإذن الله تعالى .. وأنا أتوقع لنفسي يا أمي فوق الثمانين لا اقترب من التسعين ، ولا ادري ما يتوقع شقيقي التوأم .

ضحك عبد القادر وجلس وقال : ألا يشاع أن التوائم يكونون مثل بعضهم البعض ؟

ـ ولكننا توأمان غير متشابهين.. هل غادر أبي يا أمي ؟

قالت : بعد .. اخرجا وافطرا معه ما دمتما مستيقظين .

ضحك عبد الرحيم ونهض يمطط يديه وقال : سأدخل الحمام دقائق واغسل وجهي

قال عبد القادر : نحن أخر الركب يا أم سميح .

ـ نعم نعم أنتم أخر العنقود ولادة وتوجيهي .. الحمد لله على نعمه وفضله ..أنا سعيدة بنجاحكما وعقبال تخرجكم من الجامعة

ـ إن شاء الله يا أمي تفرحين بتخرجنا من الجامعة .

انتقلوا لغرفة المعيشة لمشاركة الوالد محسن بالفطور البسيط ، ودار الحديث بينهم حول نتائج التوجيهي ، فهذا حدث مهم في حياة الأسرة الأردنية وفي حياة الأسرة الفلسطينية الأصل في جميع المهاجر ؛ فليس أمامهم إلا الشهادات والتعليم، فالأرض أخذها المستعمر الإسرائيلي.

تناول المستيقظون الإفطار مبكرا ، وانطلق الأب بالاستعداد للذهاب إلى عمله ، وأخذ الشابان بالاستعداد للذهاب للمدرسة الثانوية لرؤية النتائج على جدران الإدارة حيث تعلق أسماء الطلبة ومعدلاتهم وقالت لهما أمهما وهي تودعهما : ستجدان سميحا في انتظاركما بعد قراءة العلامات فسيأخذ مغادرة من المؤسسة مع السلامة .

والتفت للبنات خلفها اللواتي استيقظن ـ وهن قد حضرن من ليلة امس للفرح مع أمهن بنجاح إخوتهن ؛ حيث كن متزوجات من أقاربهن ـ وقالت بفرح : علينا بتنظيف البيت سيهل علينا الحبايب والجيران لما ينتشر خبر النجاح .

غمر البيت الفرح ، وكان الناس رغم التشرد والبؤس يستغلون لحظات السرور بكل سعادة ومرح وحلوى وقد تكفل بها السيد سميح بكر محسن وزوجته .

للسيد محسن سالم وزوجته ثمانية مواليد آخرهم التوأم عبد القادر وعبد الرحيم ، وله تؤام من البنات أيضا أكبر منهما ، ففي أسرته وأشقائه هذه الظاهرة ولادة التوائم ، وستتعرف عليه خلال سطور هذه القصة ، فهي أسرة فلسطينية مهاجرة ، وشملها التطهير العرقي الصهيوني العالمي كانت مؤامرة تشريد الشعب الفلسطيني مؤامرة كبيرة لم يستوعبها الشعب العربي والمسلم إلا بعد زمن ، فهي تختلف عن سائر الاستعمار الإنجليزي والفرنسي لبلاد العرب والمسلمين ، لم يهجر الشعب الجزائري من بلاده وكذلك التونسي والمغربي والمصري والليبي وكل من نعرف أنه تعرض للاستعمار الغربي الظالم .

نحن في صيف ١٩٧٩ كانت المدرسة الثانوية الكبيرة تستقبل طلبة الثانوية العامة التي تسمى شهادة التوجيهي للاطلاع على معدلاتهم في الامتحان الذي تعقده وزارة التربية والتعليم

لطلاب الثالث الثانوي كل سنة ليتأهلوا للالتحاق بالمعاهد المتوسطة والجامعات المحلية والخارجية. . كانت تعلق كشوفات النتائج على الجدران الزجاجية في مدخل الإدارة للمدرسة لتعرض على الطلبة والأهالي بدون زحام شديد .

وكانت السيارة الخاصة بالمصلحة التي يشتغل فيها سميح أبو محسن ـ سماه على اسم والده ، فهي عادة شائعة تسمية الأولاد على اسم الجدة والبنات على اسم الجدة رغم أن بعض الناس قد تتشأم وتتطير من فعل ذلك في حياة الأبوين ـ تقف في الشارع العام الذي أمام بوابة المدرسة الرئيسية ، وعدد كثير من السيارات في انتظار خروج أولادهم ، وسميح هو الشقيق الأكبر لعبد الرحيم وعبد القادر من مواليد أول الهجرة ولد سنة ٥١، كان الرجل ينتظر خروج اخويه جالسا مراقبا لبوابة المدرسة العريقة في العاصمة عمان ؛ ربما تكون هذه المدرسة اقدم مدرسة ثانوية حكومية في المدينة أو من أوائلها .

ولما ابصرهما يخرجان من البوابة هبط عن مقعد القيادة باشا وجهه مستقبلا لهما وهما يتجهان نحو السيارة فرحب بهما ومهنئا لهما ، فقد كان الفرح يغمرهما بوضوح فقال مازحا : هل أقول مبارك النجاح ؟

ـ وهل تشك بنجاحنا يا أبا محسن ؟!

ضحك سميح وقال : أبداً أبداً.. قصدي هل حققتما العلامات التي حلمتما بها كما تخبر أمي ؟

قال عبد القادر : يعني !!

ـ ماذا تعني يعني هذه ؟!

فقال عبد الرحيم : حصلت اربعا وثمانين درجة الفرع العلمي

قال عبد القادر : وأنا حصلت خمسا وثمانين فقط لم نصل للتسعين

ـ مبارك مبارك نجاحكما بهذا المعدل .. المهم النجاح أيها الأحباب .

وعاد لمعانقتهما ثانية وهو يقول : اركبوا حتى أوصلكم للبيت وارجع للمصلحة فقد أخذت مغادرة من أجلكما ولأفرح معكما .

ـ الشكر لك يا أبا محسن عقبال عند محسن إن شاء الله .

قال عبد الرحيم : ونحن نغادر أخبرتنا الأم بأنك ستكون في انتظارنا عند مدخل المدرسة لتكون من أول المهنئين

وأبديا له شكرهما وامتنانهما وركبا السيارة وهما في الطريق قال : ما ترغبان بدراسته بعد التوجيهي ؟

رد عبد القادر التوأم الذي ولد قبل عبد الرحيم بنصف ساعة: أنا يا أخي الفاضل سأدرس هندسة مثل سمور وعاصم بس هنا في الأردن .. والعجيب أن أخاك عبد الرحيم سيدرس في كلية الشريعة معه انه توجيهي علمي !

ـ شيخ يعني !

فقال عبد الرحيم : ليس شرطا أن أدرس شيخا أي إماما يا أبا محسن .. اطمع بأن ادرس كل الشهادات العليا البكالوريوس الماجستير الدكتوراه بعون الله .

ـ ما شاء الله .. طموح كبير .. الله يوفقك .. وأنت يا عبد القادر ادرس طبا أو صيدلة .. عندنا مهندسان .

تبسم عبد : ربما المعدل لا يسمح بذلك .. فالهندسة ارجح .

ـ مبارك للجميع ، بعد الدوام سأمر أنا وأم ومحسن والأطفال

قال عبد الرحيم : أهلا وسهلا بك وبأم محسن

وقال عبد القادر مداعبا : البيت بيتك والأهل أهلك .. يا مرحبا بابن أخي محسن الذي سيهنئ أعمامه بالنجاح عقبال عنده .

ـ شكرا شكرا .. إن شاء الله

لم يكن البيت بعيدا عن مدرسة الشباب ، لكنه رغب بأن يكون أول المهنئين . سميح ولد بعد النكبة بسنوات قليلة في عام ١٩٥١ كما سبقت الإشارة قبل سطور .

دراسة الشريعة

في ذلك الزمان الذي بدأت فيه القصة كان النجاح في الثانوية العامة شأنا هاما ؛ بل ربما يتقرر مصير الفتى في الحياة بتلك الورقة الهامة ؛ فاذا نجح تفتح أمامه أبواب الجامعات والمعاهد المتوسطة والشهادات العليا للالتحاق بالعمل في العمل الحكومي والقطاع الآخر الخاص .. واذا لم ينجح تغلق الوظائف الحكومية الإدارية والسياسية والاقتصادية في وجهه .. الشهادة لها دلالتها في مجتمع نام صاعد .. وسلم للمستوى الاجتماعي والجاه .. حتى لو احترف الشخص حرفة ثمينة ؛ وربما كان دخلها المادي عاليا وأكثر من دخل الوظيفة مرات يبقى في نظر الناس دون الوظيفة الحكومية الإدارية .. قد يوظف المواطن في الحكومة دون شهادة كسائق كعامل كحارس كفراش .. للتعليم شأن مهم في تلك السنوات .. والكل يرغب أن يتعلم أولاده ويدرسون في الجامعات .. التشرد وترك الديار والنفي القسري أوجب عليهم التركيز على الدراسة بقوة وعزيمة وكثرة .

والشهادة قد يكون دخل حاملها ضعيفا ماديا ؛ ولكنه يعتبر متعلما مثقفا .. لها قيمة اجتماعية لدى الناس والمهجرين من قرى ومدن فلسطين نتيجة إنشاء كيان صهيوني لليهود في بلادنا وعجز الشعب والعرب عن منعه .. هكذا كانت تلك الشهادة في فترة بداية هذه القصة .. هي هدف بحد ذاتها لكل طالب .

تيسر امر الدراسة بسرعة .. فقبل عبد الرحيم في كلية الشريعة في اهم جامعة أردنية في كلية الشريعة .. الجامعة الأردنية الأولى في حياة المملكة الأردنية .

كلية الشريعة في الجامعة الأردنية هي كلية إنسانية تابعة للجامعة الأردنية، الكلية هي ثاني أقدم كلية في الجامعة ، تأسست في منطقة جبل اللويبدة في قلب العاصمة ، تأسست كلية الشريعة عام ١٩٦٤ في منطقة جبل اللويبدة بتخصص شريعة عام، وانضمت الكلية إلى الجامعة الأردنية عام ١٩٧١، الكلية لها مبنيان، وتضم أربعة أقسام، وهم: قسم الفقه وأصوله، وقسم أصول الدين، وتعتبر الكلية الرابعة في الجامعة من حيث الإنشاء ، وفي أول نشأتها كانت

كلية الشريعة تمنح درجة البكالوريوس في الشريعة عامة ، ثم ظهر قسم أصول الدين مستقلاً عن قرينه قسم الفقه والشريعة عام ١٩٧٧ .

وقبل عبد القادر في كلية الهندسة التي أنشئت عام ١٩٧٥ م.. ورغم دخل الوالد المحدود للغاية تمكنا من الدراسة بمساعدة الحكومة ونظام الابتعاث والمعونات .

احب عبد الرحيم الدراسة في كلية الشريعة دون سائر الكليات رغم تخرجه من الفرع العلمي الثانوي ورغم معدله الجيد في ذلك العهد .. فمعدله يتيح له الفرصة في الدراسة في الكليات العلمية كالهندسة والتمريض والصيدلة والمختبرات .. قال " كان السبب الحقيقي هو حبي الأول للدين عن علم ومعرفة رغم أن أسرتي لم يكن طابعها العام التدين العميق .. دينها الدين التقليدي للناس .. لم نكن أسرة دينية .. اعتدت أن أرى أمي وأبي يصليان ويصومان رمضان ويهتمان بالمناسبات الدينية كسائر الجيران والأقارب من حولنا .. ومع ذلك كان لي أخوان ملحدان أو احدهم على الأقل ربما هذا سبب خفي حمسني لدراسة الشريعة .. لم يكن الإلحاد بسبب البيت ؛ إنما بسبب الأصحاب والبيئة التي عاشا فيها ..احدهم يزعم أنه ماركسي اكثر من ذاك الماركس والآخر تأثر به فاضطربت الأفكار عنده .. ولم يكن ذاك الملحد إنما هو كسول عن الطاعة والصلاة وسأعرفك عليهما من خلال هذه الرواية كباقي أفراد الأسرة "

نحن بدأت مأساتنا قبل أن نلد ونخرج للدنيا ـ وهكذا الدنيا ـ عندما غادر الآباء والأمهات والأجداد والجدات فلسطين الساحلية على اثر ما سماه المؤرخون والناس والساسة النكبة الفلسطينية ١٩٤٨م.

حدث على ارض فلسطين معارك ضارية لانتزاع جزء من فلسطين التاريخية ليكون وطنا قوميا لليهود المهاجرين من روسيا وبولندا وشرق أوروبا .. فصنعت بريطانيا العظمى بعد الحرب الكونية الثانية الوطن القومي لليهود على ساحل فلسطين في المرحلة الأولى .

شعب فلسطين كسائر الشعوب العربية شعب بسيط شعب اغلبه من الفلاحين المزارعين .. يطرد من عقر داره قسرا ، شعب شردوه لإقامة ذلك الكيان الغاصب .. ولكنه شعب يحب

الحياة والإرادة الحرة .

قال عبدالرحيم : "وقد لا أكون ولدت في مخيم للاجئين الفلسطينيين كالكثير من أبناء الشعب أو لم يضربه الفقر والتشرد بنابه كالأوائل لأني ولدت في مدينة فلسطينية فيما عرف فيما بعد بالضفة الغربية كما سمي الأردن شرق نهر الأردن بالضفة الشرقية بسبب الوحدة الاتحادية الكاملة بين الضفتين في عهد الملك عبد الله الشريف الهاشمي القادم من الحجاز قبل نهاية دولة الحجاز . فعندما أصبحت المملكة الأردنية الهاشمية تمت الوحدة بين المدن التي غرب النهر ولم تسقط بين يدي اليهود اثر هزيمة العرب ١٩٤٨ واثر قرار تقسيم فلسطين لثلاث دول وحتى القدس الشريف قسمت قسمان غربي لدولة إسرائيل وشرقي لدولة الأردن .. فكانت نابلس والخليل وجنين ورام الله وطول كرم وقلقيلية تحت الحكم الملكي الأردني بعد عام ١٩٤٩ .

كان الأردن أيام الانتداب الإنجليزي وقبله يسمونه شرق الأردن لأنه يقع شرق نهر الأردن الشهير في الكتب المقدسة القديمة .

والأردن الشرقي فيه عمان عاصمة الهاشميين المعاصرين ، والسلط ، ومأدبا وجرش وعجلون واربد والرمثا والمفرق والأزرق والزرقاء والكرك والطفيلة ومعان والعقبة في اقصى جنوبه .

عمان العاصمة للأردن المعاصر المدينة العريقة في القدم يقال إنها سميت عمان لقبيلة يقال لهم العمونيون سكنوها ، وقد ورد ذكرها في احاديث النبي ﷺ كما جاء في بعض احاديث الحوض عمان عاصمة الأردن الحديث كانت مطلع القرن العشرين قرية صغيرة ؛ ولكن لما اتخذها الملك عبد الله بن الحسين الهاشمي عاصمة ملكه كبرت رويدا رويدا.

ولدتني أمي في الغرب من نهر الأردن ، ولما هزم العرب مرة أخرى ذهب الجزء الغربي من المملكة لليهود وذلك عام ١٩٦٧م رحلنا إلى النصف الشرقي .. فنحن من رعايا المملكة الهاشمية منذ عام ١٩٤٩ رحلنا بحكم عمل الوالد .

فمأساتنا بدأت قبل أن نلد عندما طردنا الإنجليز والاستعمار والحركة الصهيونية مخلب الاستعمار بعد الحرب الكونية الثانية من أرضنا ومدننا وقرانا وقد سرقوا البلاد وتشرد عشرات

الألوف ومئات الألوف.. إنها مأساة كبرى كتب عنها الكتب والأسفار والأشعار .

لم يكن الخروج سهلا من الديار لقد قدمت فلسطين عشرات الألاف من الضحايا والشهداء قبل النكبة وأثناء النكبة ثم بعد النكبة ولا زالت تقدم الشهداء ، لم يبخل الناس بأموالهم وانفسهم ، لكن شراسة الأعداء وقلة أو ضعف المساند أدى لتلك النكبة لم تجد المقاومة الدعم الحقيقي للقاء العدو ..بل وجدت التخاذل ووعود الهواء والأماني ولم يكن القتال بالهوية الدينية والإسلام كانت شعارات المرحلة القومية العربية والسلاح غير المناسب وتعدد الجيوش باسم الجامعة العربية وبرؤوس كثيرة فكانت هزيمة للجيوش السبعة وكارثة قومية دمرت الشرق الأوسط كله لليوم .

***

لقد حاول أخي المهندس سمور بقوة ثني عن دراسة الشريعة ، واعتبر ذلك من الجنون والغباء والتخلف العقلي ، واعتبر هذا العلم علما باطلا وخائبا ، وأيده أخي عاصم في تلك الأوصاف ودار بيني وبينهم جدل ونقاش ، فكلاهما هاجر لبلغاريا وتعلم الهندسة ، وعجبت جدا من موقفهم الغريب نحو دراستي للشريعة ، وتساءلت من الذي سيدرس أنا أم هما ؟ وكانت سخريتهم من اختياري سخرية مقيتة في نظري ورغم حملهم شهادات جيدة فكلاهما يحمل شهادة هندسية من أوروبا الشرقية ، فاعتبرتهم مع أني اصغرهم عمرا جهلاء أغبياء جرفهم تيار الإلحاد الذي يتبجحون به ومما سمعته منهم تلك الأيام : يا رجل هل يوجد احد في الدنيا يدرس الدين ؟! ويضيع من عمره اربع سنوات ليتعلم قراءة المصحف وكيف يصلي ؟

فقلت لهما مستسخفا السؤال : ولماذا وجدت كليات الشريعة في الجامعات العربية والعالمية والأردنية ؟ لا تكاد دولة عربية أو إسلامية إلا وفيها كليات شريعة .

فقال عاصم بحيرته المعهودة فما هو إلا ببغاء لسمور الذي ساعده بالسفر لبلغاريا ودراسة الهندسة مثله على نفقة الحركة الشيوعية العربية : والله لا ادري فعلا لماذا ؟! ألم يمت الدين في أوروبا وشاعت العلمانية ؟!

فقال سمور مبررا سخطه : دراسة الدين اليوم ثقافة فقط .. كما يدرس تاريخ الأمم الهالكة .. ودراسة تاريخ الأديان والتراث القديم ثقافة ومعلومات .. ماذا ستجني من دراسة الدين يا مجنون ؟

تبسمت لحمقهم وقلت : سأزداد معرفة وفهم للدين الإسلامي.. أتعرف على دين الأمة .. وهل يلزم اذا أنتما كافران بالأديان أن اكفر مثلكما ؟! اعتبروها ثقافة فقط

احتد عاصم وصرخ محتجا وقال :أنا لست كافرا .. لست ملحدا .. أنا اؤمن بالخالق ووجوده .. ولكني اؤمن بالاشتراكية لحل مشاكل العصر والفقر وهي الحل الأمثل لتساوي الناس في معيشتهم وحياتهم .

ـ وهل يستوي النائم والمستيقظ ؟ والذي يعمل والذي لا يعمل ؟

فقال سمور مستدركا لرفض عاصم الكفر : لا يهم اليوم أن نعتقد بوجود اله يدير هذا الكون .. الدين يعطل الطاقات ويضيق الحياة على الناس.. هذا حرام هذا حرام .. هذا جائز هذا غير جائر .. صلاة .. صوم .. جامع

صحت بهما قائلا : لا يمكن أن اقتنع بتفاهاتكم .. أنا مؤمن .. أنا مؤمن

فصاح عاصم محتدا : تفاهات .. انك إنسان تافه .. دعنا منه يا سمور.. ليدرس الجغرافيا أيضا .. أستاذ الجغرافيا عبد الرحيم وصف جيد ولائق به .. جيد هذا الاسم أمام طلاب المدرسة

فأجابه سمور : هذا إهانة لنا يا عاصم .. سيندم غدا عندما يعين مدرسا لمادة التربية الإسلامية ببضع دنانير ليحفظ الطلاب سور القرآن .. علينا إنقاذه مما هو مقدم عليه ..

ضحكت قليلا وقلت : أنا الذي عليّ أن أنقذكم من الضلال والكفر والإلحاد .. أنا مؤمن وموقن أنكم غير مرتاحين في دنياكم .. أنت ماذا كسبت من إلحادك ؟ لقد سافرت أوروبا الشرقية وأنت تحمل أفكار ماركس ولينين .. كيف وجدت حياتهم ؟ الماركسية لا تصلح لنا ولبلادنا .. نحن دول فقيرة لسنا دولا صناعية لتكون عندنا مشاكل عمال ضخمة .. أين المصانع التي يعمل عشرات الألوف من العمال ؟ فظروفنا ليست كما يقول أستاذنا جابر ليست بحاجة

لاشتراكية السوفييت وكفر السوفييت .. ولا علمانية أمريكا وأوروبا الغربية .. نحن لنا دين الهي علينا أن نعتز به ونفخر به أمام كل العالم

هتف سمور ضاحكا متهكما : والله ها أنت تعرف أسماء ماركسية ومشاكل العمال والمصانع

ضحكت وقلت متهكما : جميل أن تقول الله .. بعدك لم تنس اسم الله

التفت سمور لعاصم وقال : كما تقول أنت لينين أقول الله ..

ـ جيد ! أنا ربي الله وأقرأ كتابه .. وأنت ربك لينين .. ولا تعرف عنه كتابا تقرأه مجرد كلام وشعارات وورقات فارغة .. وإذا قرأت تقرأ ما ترجم لك عنه وما أرادوا أنه يوصلوه لك من فكره العفن ..

فقال عاصم مستسلما : دعنا منه .. فليدرس ما يشاء

واستمر الجدال بيني وبينهم حول دراسة الشريعة في الجامعة الأردنية في عمان حتى التحقت بالجامعة وبدأت كتب الشريعة تهل على البيت فخفتت هذه الحوارات بيني وبين اخوي الملحدين وإن كان عاصم اقل كفرا وإلحادا من سمور .. أسال الله لهم الهداية .

حي القلعة

سكنّا في حي القلعة في وسط عمان العاصمة ، يخيل لي أنه من الأحياء القديمة في المدينة العامرة الصاعدة .. القلعة مكان اثري قديم ربما ينسب للرومان وهو يطل على المدرج الروماني المعروف بعمان وسط البلد .

جبل القلعة أحد أقدم جبال مدينة عمّان السبعة والذي اتخذه العمونيون منذ القدم مقراً لحكمهم في المدينة، ومن بعدهم كل من اليونان والرومان والبيزنطيين الذين احتلوا المدينة على التوالي إلى أن هلّ عليها الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، حيث بني على قمته القصر الأموي ، وبرز جبل القلعة حيث كان مقر عاصمة العمونيين، والذي ما زالت بقايا قصور العمونيين ماثلة فيه ، مثل جدران الأسوار، والآبار المحفورة في الصخر الجيري ، كما عثر في جبل القلعة على أربعة تماثيل لملوك العمونيين تعود إلى القرن الثامن ق.م ، يوجد في جبل القلعة أيضاً، آثار وأعمدة رومانية ومعبد لهرقل، كذلك يحوي على آثار إسلامية تعود إلى العصر الأموي ، حيث القصر الأموي ، بالإضافة لذلك يوجد متحف الآثار الأردني على قمة الجبل يحاكي تاريخ الأردن بشكل عام وعمّان بشكل خاص .

يرتفع جبل القلعة حوالي ٨٠٠ متراً فوق سطح البحر، وهو يتمتع بمزايا عسكرية واستراتيجية؛ حيث كان محاطاً بسور عالٍ وضخم، وكانت تقوم عليه أبراج للمراقبة والتي كانت ترتفع إلى عشرة أمتار تقريباً ، يوجد على جبل القلعة هيكل هرقل (أو يدعى معبد هرقل) ، والذي بناه الإمبراطور الروماني أوريليوس، وقد نصب تمثالاً لهرقل عند مدخل الهيكل وتدل بعض النقوش التي وجدت في الموقع بأن المعبد كان قد شيد في السنوات ١٦١-١٦٦م ، والذي بقي من المعبد هو واجهة مكونة من ستة أعمدة ضخام؛ كما يوجد على قمة جبل القلعة متحف الآثار الأردني والذي شيد سنة١٩٥١ م لكي يكون الشاهد على حضارات قديمة والتاريخ العريق الذي مرَّت به المنطقة؛ كما يبين المتحف مراحل التطور التاريخي الذي مرَّ به الأردن ، يعد جبل القلعة من أكثر المناطق جذباً للسياح في عمان، سواءً على المستوى

الخارجي أو الداخلي ، ويشاركه هذا الإقبال المدرج الروماني المقابل لجبل القلعة التاريخي وتقام على أكتاف جبل القلعة الحفلات الموسيقية، حيث يعتبر أحد أماكن الاحتفال الرئيسية ، نظراً لموقعه المطل على معظم مناطق العاصمة عمان- وخاصةً وسط البلد .

وتوجد منازل الناس اسفل جبل القلعة بينه وبين وسط البلاد من اغلب الجهات وبعض منازل الحي في وسط المدينة يفصلها عن شوارع وسط عمان عشرات الأمتار ..

ويبعد منزلنا عن وسط البلد كما نسميه سوى مئات الأمتار .. لم تكن ولادتي في عمان ؛ ولكن شبابي كان أكثره في عمان وشوارعها ، ووعيت تطوير وتحديث المدينة وعمرانها المستمر ، ورغم كره أبينا وأنا للسياسة واحاديثها فكل الأسرة تتحدث فيها وفي الأخبار التي تبثها الإذاعات المحلية والبي بي سي البريطانية .. أنا ولدت قبل حرب حزيران بست سنوات وكانت سبب خروجنا من الضفة الغربية للضفة الشرقية .. ورغم ابتعادي عن ذلك لكن الأحداث أحيانا تدفعك للمتابعة والسماع والتحليل والفهم خاصة أنت الفلسطيني ؛ لأن الكل يتحدث عن قضيتك وتشردك ومخيماتك .. فالمشاريع والأحلام لحل المأساة متشعبة ومتنوعة .. لا تدري لها أول ولا أخر .. اذا جرت انتخابات في بلد ما يحشرون الفلسطينيين في قضية الانتخابات .. سواء انتخابات مجالس إدارة محلية كالبلديات أو مجالس شعب وبرلمان .. الصراع الدولي اتخذ من قضية الشعب الفلسطيني حصان طروادة للمزايدات والانقلابات وبناء الأحزاب العربية والشرقية .. لماذا ؟! لا احد يجيبك بعلم وسبب .. تحليل .. وما اكثر المحللين ! وهم لا يملكون المعلومات الحقيقة .. أخبار تنشرها المجلات السياسية والاقتصادية والمخابراتية والمحطات الإذاعية العالمية .. في واشطن ولندن وباريس وموسكو .. قضية العرب فلسطين المحتلة .

كانت الثورة الخمينية في ايران بعد طول انتظار عام ١٩٧٩ في سنة التوجيهي شغلتنا وشغلت الأخبار والمجلات والصحف .. كانت الدول العربية خاضت ثورات خطيرة .. اشهرها الثورة على الملكية المصرية ١٩٥٢ والثورة اليمنية على الملكية اليمنية ١٩٦٢ والثورة العراقية قبل على الملكية العراقية ١٩٥٨ وكان ثورات فاشلة على ملكيات المغرب والأردن والسعودية .. ولا

تنسوا انقلابات سوريا .. وقبل سنوات عشر كانت ثورة على ملكية ليبيا .. وها هي الثورة على الملكية الإيرانية تنجح وظهر الثوار الشيعة وولاية الفقيه .. وبدأت تباشير الحرب العراقية الإيرانية تلوح في الأفق وكنت سنة شريعة أولى .

وكانت ثورة الخميني وعودته المسرحية من فرنسا إلى طهران حديث طلبة الجامعة ، ومنهم طلبة كليتنا .. لأنها كانت تحمل اسم الثورة الإسلامية ..لأن كثيرا من الناس لم يكونوا يفهموا ما هو المذهب الشيعي الاثني عشر حتى في لبنان حيث طائفة تحمل هذا المذهب العقدي تراهم يتزوجون من أهل السنة واهل السنة يتزوجون منهم .. الجهل من اهم الأسباب لهذا التصاهر والنسب، لم تظهر الفروقات حتى شاعت خلال الحرب العراقية الإيرانية بين الفريقين .. الخليج العربي .. الخليج الفارسي .. كان البعض يبني آمالا كبيرة على هذه الثورة .. الإخوان المسلمون .. وحزب التحرير .. وحركات إسلامية أخرى .. ثورة بدأت أنها تداعب وجدان الناس في الشرق الأوسط كما يسمى عالميا ..

ورغم ثقافتي البسيطة أيام الثانوية العامة ؛ ربما متأثرا من بعض شيوخ العلم في المدرسة والمسجد لم ترتح نفسي لهذه الثورة .. وأصيب الكثير من الإسلاميين بخيبة الأمل بعد حين حينما اشتعلت الحرب على البوابة الشرقية للأمة العربية كما يحب البعض ذكر هذا الاسم ..كنا نحلم أن سهام الحرب ستتوجه لفلسطين ، فقد تحولت سفارة إسرائيل لسفارة أو مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية ..واذا سألني احد عن هذا الموقف السلبي اتجاه تلك الثورة فكان جوابي يومئذ سطحي وبسيط .. عاطفي .. ثورة قادمة من فرنسا برعاية أوروبية .. لابد أن يكون هناك أسرار خلفها واسكت ..

ثم تفاجأ الناس مثلنا بحرب العراق وايران بعد الثورة بزمن يسير .. لماذا ؟ من المعتدي ؟ هل هو صراع حدود ونفوذ .. وسموا هذه الحرب حرب الخليج الأولى لأن الخليج العربي احد ساحاتها .

كنت تجد الطلبة المهتمين بالسياسة والأخبار في صراع بعضهم يقف مع ايران ويتهم العراق

بالعمالة للغرب وينفذ أجندة أمريكية ودعم خليجي غير محدود ، وبعضهم مع العراق العربي القومي بسبب القومية والهوية العربية ؛ لأن نصف عرب العراق من اتباع المذهب الشيعي الجعفري .. وكلهم يردد اسم فلسطين .. الإيراني والعراقي .. أيهم الصح ؟ لست ادري .. ولليوم لم افهم لماذا كانت تلك الحرب العنيفة ؟! ولماذا هلك عشرات الألاف من الرجال والشباب والنساء في تلك الحرب ؟ وقيل الملايين .. وكلما يشتد الصراع العربي الفارسي كما يحلو للبعض بتسميته يشتد الصراع بين الطلبة حسب انتماءاتهم الحزبية والفكرية .. حتى كنا نعجب من اصطفاف النظام البعثي السوري مع ايران مع أن البعث العراقي يحكم العراق أيضا .. حيرة !!

وكان خروج مصر من الصراع العربي الإسرائيلي مثيرا ومربكا ومعزوفة يتغنى بها الثوار والصحف والأخبار ..وقد نأيت بنفسي قدر الإمكان وبكل قوة عن الخوض في غمار السياسة لجهلي بالسياسة والأنظمة والحكومة .. وانشغلت بطلب العلم الشرعي على مقاعد الدرس في كلية الشريعة كنت كما يقال سمّيع ممتاز .. درست القرآن كتجويد في معهد التجويد والقراءات .. وسعيت لمن يسمون المشايخ الذين يتبرعون بعلمهم وجهدهم للناس بدون بمقابل ؛ كلما احدث عن شيخ معروف وحوله طلبة العلم الشرعي أسعى إليه لعلي احظى بالتعرف عليه والإعجاب بعلمه ونيل ما تيسر منه .

كنت أتحدث للحقيقة في السياسة بحذر وترقب .. إنهم يسمعون خبرا هنا وآخر هناك ويتقولون عليه شرقا وغربا .. بعضهم ينسب الأحداث لصراع خفي بين بريطانيا وأمريكا وبعضهم ينسبه لموسكو والصين والشيوعية .. فقد كان للعلمانية والقومية واليسارية سوقا رائجا في بلاد العرب وعندما يحدث اجتماع للأشقاء في البيت عند والديّ كنا نعاني من الصراع الفكري والأيدلوجي بيني وبين سمور وعاصم اللذان عارضا دخولي لكلية الشريعة مع أني وجدت فيها آلاف الطلبة ومن المحزن أن تأثر بهم عبد القادر طالب كلية الهندسة واعتقد أن السبب هو لهوه مع فتيات الجامعة المتحللات وليس الفكر الماركسي ؛ لأنه فكر ضعيف وضحل وغريب على المجتمع

المسلم بشكل عام وكله عوار وقد حارب الملكية العامة ثم تراجع عن جزء منها وحارب الأسرة فاصبح يبحث عن جيل جديد .. وقبل تخرجي بسنة دخلت إسرائيل عدونا البين المعلن ارض لبنان زاعمة القضاء على الفدائيين الفلسطينيين الذين يزعجون ويقلقون شمال إسرائيل .. وكان صراعا شديدا بين جيش الدفاع الإسرائيلي الاسم التمويهي الخبيث وقوات منظمة التحرير الفلسطينية .. كان شرق أوسط يغلي فعلا بالأحداث الجسام .. ولكن العلم والدراسة مستمرة كذلك .

***

الدراسة في الجامعة كانت ممتعة لي ، فقد تعرفت على اهم التيارات الدينية في البلد .. السلفية الناشئة على استحياء .. الصوفية الطرقية مثلها وطرق متعددة .. الحركات الإسلامية النشطة سياسيا هي حركة الإخوان المسلمون .. حزب التحرير الإسلامي .. أفكار التبليغيين لم يكن له زخم قوي بين الطلاب لأنها بطبعها بعيدة عن الحزبية والسياسة ونشاطها في المساجد حيث عرفتهم .. أفكار التكفيريين والحاكمية القطبية خاصة بعد اغتيال زعيم مصر الأول وجدت من يتحمس لهم دون ظهور واضح لهم في كليتي .. أفكار أسماء تتردد .. الأفكار الشيعية والأحزاب الشيعية في المنطقة بسبب الحرب التي اشتعلت بين العراق العربي وايران الإسلامية .. لهذه الأسماء صدى في مدرجات الجامعة وكلية الشريعة .. ولا انسى الجهاد الأفغاني ورموزه الجهاديين حكمتيار .. سياف .. عبد الله .. ضياء الحق .. رباني .. لقد زاد الحوار حدة بظهور الحرب العراقية الإيرانية أو ما سميت بحرب الخليج الأولى .. بدأت تظهر الكتب والرسائل للعلن ببيان مذهب الرافضة والعجم .. وتنتشر كتب خصومهم .. فكنت اسمع واسمع ؛ ربما كما تعودت في سماع أخبار السياسة ؛ بل كنت اعتبر الحديث عنها حديثا في السياسة والأخبار الكثير من الشباب يجهلون المذهب الشيعي الإيراني وأنا منهم .. لأنه مجهول بين طلبة الشريعة لا يدرس إلا في باب العقيدة والفرق الضالة ..كان النقاش يقوى أحيانا ويضعف حين أخر . سعى لكسبي جنديا في حزبهم وحركتهم بعض شباب تلك التيارات بل اعز صديقي في السنة

الأولى " حاتم " التحق كما صارحني بجماعة الإخوان .. وحاول تشجيعي لحسم امري والعمل ضمن اسر تلك الجمعية .. واصطدمت بشباب ينتمون لحزب التحرير الذي أسسه القاضي تقي الدين النبهاني في مطلع الخمسينات .. وكان اهم أهدافه إعادة الخلافة للمسلمين ولكنه من حيث العدد ضئيل بالمقارنة مع الإخوان ، وجماعة الأحباب الهندية التأسيس .. وهذا الحزب يبحث عن النصرة لدى الدول العربية والإسلامية والضباط .. تعرفت على بعض أفراد المدرسة الصوفية بطرقها الكثيرة .. أفكارهم موجودة ؛ ولكن نشاطهم ضعيف ..ولم يكن لهم القوة والنشاط الواضح .. فهم بعيدون عن السياسة ومشاكلها .. لقد شاهدت جدالات بين الشباب المسلم والشباب اليساري المنتشر في كليات أخرى .. وكان الصراع يشتد بين الإخوان والتحريرين في بعض الأوقات .

وفي البيت كلما التقي بسمور أو عاصم يدور حوار حول الماركسية والشيوعية والاشتراكية وحركات العمال في أنحاء العالم وكوبا كاسترو وغيره من بلدان أمريكا الجنوبية ..كانوا يريدون حل مشاكل الفقر من تلك الغرفة الصغيرة ، وهم لا يحسنون التحدث باللغة الإنجليزية .. أنا اعرف أن أخي ليس بصاحب الفكر والعقل القوي المبتكر ؛ إنما يردد ألفاظ يحفظها أو لقنها ؛ قبل سفره للدراسة في صوفيا وأثناء وجوده هناك مع شباب العرب من بقاع مختلفة الذين هم على شاكلتهم الإلحادية الفارغة .. الشيوعية حاربت الرق .. الشيوعية حاربت تعدد الزوجات .. الشيوعية حاربت الاستعمار .. الشيوعية انتصرت على النازية والفاشية واليابان .. الشيوعية حررت الضعفاء .. الشيوعية صنعت القنبلة النووية .. الشيوعية وصلت القمر وغزت الفضاء ويتعمدون جهلا أن الرأسمالية الغربية فعلت مثلهم وأكثر .. نسوا كم قتلت من المسلمين في آسيا .. كم اغتصبت من نساء المانيا عند احتلال المانيا وتقسيمها .. فإنه أمام الجدل والعلم يصمت ويحول الكلام إلى نشرة أخبار التقطها من رفاقه وزوجته ومن المجلات التي يقلبون صفحاتها ويعجبون بما فيها ؛ كأنها حقائق ومعلومات صادقة ..حب اعمى للهوى .. والحب يعمي ويصم .. وربما ينتقل الكلام إلى زوجته الملحدة مباشرة ؛ لأنه يعتبرها افهم أنثى في العالم

في الفكر الماركسي اذا صح أن يسمى فكرا ..إنما هو توهمات وخيالات قصصية لم تثبت على ارض الواقع .. وسأذكر قصة زواجه منها وكيف تزوجها ؟ أما عاصم فهو ببغاء ومهرج شيوعي أمي لا فكر عنده ، هو اكثر اطلاعا وثقافة من سمور للحق ، ولا يحب حفظ ما حفظه سمور من أدبيات الستالينية ..هدفه من التعلق باليسار كشقيقه الأكبر منه بسنة ترك العبادات الإسلامية كالصلاة والصوم ليسمح لنفسه بالفواحش والآثام حتى لا يحاسبه احد ويلومه .. ولكنه اكثر تحفظا بعلاقاته النسوية ؛ بل سبقه عبد القادر بالجنس والغرام ..هو شيوعي بدائي كانت دراستهم في أوروبا الشرقية فرصة للزنا والخمور والترنم بأسماء كبار الملحدين في العالم .. مع أن كبار هؤلاء الملحدين عاشوا بما يسمى بأوروبا الغربية في بريطانيا وفرنسا وألمانيا .. فماركس وانجلز ربما لم يدخلوا روسيا أبدا ولم يحلموا أن تطبق الاشتراكية العلمية التي اخترعوها والشيوعية في روسيا والصين كانوا يحلمون أن يرونها في أوروبا الغربية ..لكنها موجة انحلال راقت للشباب العربي في تلك البلاد .. مع أن الإباحية الجنسية موجودة في أوروبا الغربية بدون الحاد ماركس وانجلز .. والدعارة لها بيوت ومواخير باسم القانون .. ولها أحياء وقرى .. ولكن الأسوأ بالنسبة لي أخي عبد القادر توأمي منذ صار في الجامعة في الهندسة هجر الصلاة التي كان يمارسها منذ عهد بعيد وكما اهتم بها أيام الثانوية العامة .. الصوم اصبح للأطفال والكبار في السن .. اصبح يصاحب الطالبات دون ذرة حياء ويقول هذه هي المدنية التي حرمنا ويتغزل ببنات الناس المتحضرات في نظره ..وكان يتكسب من اخويه بسبب هذه التصرفات السخيفة ليغرق في المزيد من الشهوات .. الجنس والزنا اصبح عنده كالذي يأخذ إبرة بنسلين ..عملية بيولوجية تافهة .. فتيات متعطشات للفاحشة في نظره .. باسم الحب والعقدة الجنسية والكبت الجنسي .. كنت أتعجب من سقوطه إلى هذه الهاوية بسرعة الصاروخ .. كنت انصحه أول الأمر ثم أتشاجر معه بسبب ذلك الاستغراق في الشهوات والسهرات القبيحة حتى طلب مني عدم التدخل في شأنه الخاص .. الكفر والفواحش اصبحا شأنا خاصا لا يهم المجتمع .. واذكر في نفسي حديث النعمان بن بشير " مثل القائم على حدود الله والواقع

فيها " .. وأردد " هل اسكت ؟" .. فحمى الإباحية تغمر الشرق كما غمرت الغرب .. ولكن بصيص الصحوة الإسلامية واضح للعيان ..فها هي ثورة خميني يعدها بعضهم من بوادر تلك الصحوة .. لأن القومية العربية سقطت في حرب ٦٧ .. فطلب مني ترك الوصاية عليه .. وهو فرح في حياته الماجنة فاسكت حينا وأثور فيه حينا أخر .. وكان يقف مع سمور وعاصم محبوه في الانحلال والبعد عن الدين والتقاليد ؛ ولكنه لا ينكر الله وقدرته ؛ فكان ضائع من الضائعين المنبهرين بالحياة الغربية وأفلام هوليود الإباحية والخرافية .. هكذا كانت حياتنا في بيت القلعة قبل تخرجي من كلية الشريعة في صيف ٨٠ تزوج عاصم ؛ لأن الكثير من الشباب في بلادنا يتزوجون في الصيف ، وتزوج من ابنة احد الجيران في الحي .. والغريب في هذا الزواج أن هذه الفتاة التي تزوجها شقيقي عاصم كما علمت من أمي أنها فتاة متدينة إلى حد كبير .. كيف قبلت بأخي ؟ لست ادري .. ومن العجب انه لم يتزوج شيوعية من حزبه وحزب سمور .. وقد سعى سمور ليزوج عاصما من رفيقاته ورفيقات زوجته ؛ لكن السيد عاصم أبى ولم ينكح رفيقة يسارية كسمور .

كان بيت العائلة صغيرا لا يسمح للمتزوج بالسكن فيه ، فكل من يتزوج عليه بالخروج ويستأجر بيتا ويرحل اليه .. بعد خروج عاصم بقي أنا وعبد القادر . . لأن سمور كان يعيش مع فتاة في شقة خاصة لأهلها دون زواج رسمي .

كان أبي وحتى والدتي لا يحب أفكار سمور وعاصم ، وندم ندما شديدا عندما وافق على أرسالهما للدراسة في أوروبا الشرقية وعادا ملحدين دون مواربة ، وسأذكر لكم قصة سفرهما في الصفحات المقبلة .. مع أن سمورا تشرب مبادئ الشيوعية والماركسية قبل الخروج للدراسة في أوروبا الشرقية .. التقطها كما علمت لما كبرنا من المدرسة الثانوية يبدو أن معلمين شيوعين كانوا ضمن فريق التدريس أثناء دراسته في تلك المدرسة .. مع أن الأساتذة لا تنتشر مدارسهم الفكرية جهارا في المدارس العامة وحتى الخاصة حتى ذوي الفكر الغربي .

وخلال حرب لبنان أو ما سمي بالاجتياح الإسرائيلي للبنان ومحاصرة قوات منظمة التحرير

الفلسطينية في بيروت تزوج سمور الفتاة رسميا بسبب ولادتها للمرة الثانية دون عقد شرعي.
نحن أبناء أبناء فلسطين الهاربين الخارجين اللاجئين أي الأسماء قل قد صار التعليم لنا غاية ودينا .. الحصول على الشهادة اصبح كل شيء من جيل الخمسينات والستينات والسبعينات الأعمال والوظائف قليلة في البلاد العربية .. فكيف بالمشردين ؟ حتى في بعض البلاد محرم عليهم العمل إلا بأعمال محددة لا تتجاوز السبعين حرفة .. والزراعة والفلاحة انتهت بالنسبة لنا فكل سكان القرى من الفلاحين والزراع لقد ذهبت الأرض وقل الماء فكان التعليم والدراسة والجامعة الأرض الجديدة، وساعدت وساهمت وكالة الغوث التي أنشأتها الأمم المتحدة لتعليم وتغذية اللاجئين في انتشار رقعة التعليم بين أبناء الفلسطينيين في جميع المخيمات داخل فلسطين وخارجها ، وكان مجال العمل بالشهادات متاحا لنا في دول الخليج العربي .. أكثره بعد السبعينات ؛ حيث كثر النفط وتخلت عنها حكومة بريطانيا الاستعمارية .. وذهبت أهميتها بزوال حكمهم عن الهند وتقسيمها إلى دول ، وكذلك رحليها عن قناة السويس المصرية ومكنوا لإسرائيل خنجرا في وسط الدول العربية ، ولا ننسى غروب شمس فرنسا عن المغرب العربي بدوله الخمسة .

تخرجت من الجامعة في صيف١٩٨٣ وكنت متقدما في الدراسة على الكثير من الأقران ، فمنحت فرصة لدراسة الماجستير كمبتعث إلى جمهورية مصر العربية .. فسافرت إلى مصر إلى ارض الكنانة والنيل .. وستكون الدراسة في جامعة الأزهر .

وسأحتاج لسنتين وقد تقل أو تزيد بعض الشهور .. وأنا هناك علمت بتخرج عبد القادر كمهندس .. ثم علمت بتجدد أسقام أمي القديمة وكنت استعد للرجوع للبلد لرؤيتها لرغبتها في ذلك وكنت منشغلا بتحضير رسالتي في تلك الأيام فترددت بالعودة العاجلة ولكن جاءني نعيها فبكيت وصدمت وندمت لعدم سفري العاجل إليها وعزيت نفسي قائلا:" قدر الله وما شاء فعل "

مصر بلد عظيمة وكثيرة السكان بلد النيل ، وتجد فيها الفكر بأنواعه المتعددة ونوادي أو

صالونات البيوت والمقاهي والسياحة فقد حضرت اكثر من محاضرة في جمعيات فكرية وثقافية ونوادي فخضرت اكثر من ندوة حول الشيوعية والاشتراكية والإلحاد وقرأت كتبا كثيرة عن ذلك ، محطات ومواقع السماع للفكر والصراع الفكري الإسلامي والعلماني تزخر به بلاد النيل أما المساجد فحدث ولا حرج فتجد خطبا صوفية إخوانية تبليغية وما اكثر طرق الصوفية فيها ، حزب التحرير لم يكن له فيها نشاطا يذكر لم التق بأي شخص يحمل فكره فكنت استغل كل فرصة من الوقت لسماع المحاضرات والندوات في المراكز العلمية أو المقاهي التي يجتمع فيها الأدباء أو الشعراء أو القصاص أو المناظرات الثقافية .. ولا انسى مقرات النقابات فتحدث فيها النزاعات الفكرية وبرامج الانتخابات وحتى مقرات الصحف والمجلات .

حضرت محاضرة في جمعية إسلامية فكرية في مدينة القاهرة وكان عنوان المحاضرة الإلحاد المعاصر ورجاله ، وكانت محاضرته عن تاريخ وزعماء الشيوعية المعاصرة .

قدم لنا اسم العالم المؤرخ الدكتور سيف وكأنه من دولة خليجية ، فلهم حضور كبير في الساحة المصرية ، وبعد تمهيد لدقائق قال عن الماركسية : التقى الألمانيان فريدريك إنجلز في باريس بكارل ماركس وذلك في عام ١٨٤٤،، والذي كان يراسله منذ مدة في باريس، تأثر ماركس بفكر الاشتراكيين الفرنسيين والحياة الفرنسية، وهناك كتب إنجلز وماركس كتاب «العائلة المقدسة أو انتقاد النقاد»، قبل عام من صدور كتاب «حالة الطبقة العاملة في إنجلترا«، ليضع الأسس للاشتراكية العلمية ، ومن عام ١٨٤٥ إلى عام ١٨٤٧، عاش إنجلز ابن الصناعة الألمانية في بروكسل وباريس، رابطا دراسته العلمية بالنشاط العملي بين العمال الألمان في هاتين المدينتين ، وفي تلك الفترة أقام ماركس وإنجلز علاقات مع المنظمة الألمانية السرية المسماة «عصبة الشيوعيين» التي عهدت لهما بعرض المبادئ الأساسية للاشتراكية، التي صاغاها.

أما ثورة عام ١٨٤٨، التي اندلعت أولاً في باريس، ثم امتدت إلى البلدان الأخرى في أوروبا الغربية، فقد جعلت ماركس وإنجلز يقرران العودة إلى بلادهما، حيث أصدرا «جريدة الراين الجديدة» التي كانت تصدر في مدينة كولونيا، وكانا محور جميع المساعي الثورية الديمقراطية

في بروسيا، وقد دافعا بأقصى القوة والعزم عن مصالح الشعب والحرية ضد ما وصفوه بالقوى الرجعية، غير أن الغلبة كانت لهذه القوى ، فأوقفت الجريدة، وطرد ماركس حيث كانت قد انتزعت جنسيته البروسية أثناء هجرته، أما إنجلز فقد اشترك في انتفاضة الشعب المسلحة في ثلاث معارك ، وبعد الهزيمة هرب إلى لندن عن طريق سويسرا. بعد حركة ١٨٤٨ – ١٨٤٩، لم يكن نشاط ماركس وإنجلز في المنفى في ميدان العلم فقط ، فقد أسس ماركس في سنة ١٨٦٤ «جمعية العمال العالمية» التي قادها لمدة عشر سنوات، وكذلك أسهم إنجلز بقسط نشيط في شؤونها، أما «الجمعية العالمية» التي كانت حسب فكرة ماركس توحد البروليتاريين من جميع البلدان فقد كان نشاطها ذا أهمية كبرى في تطور الحركة العمالية ، وبعد وفاة ماركس، أصبح إنجلز المستشار والمرشد للاشتراكيين الأوروبيين ، توفي فريدريك إنجلز في ٥ أغسطس ١٨٩٥ في لندن ، لم يدركا نجاح أفكارهما وبيانهما الشيوعي في روسيا ، هلكا قبل ذلك .

هذان اهم أشخاص الشيوعية الحديثة التي سمياها الاشتراكية العلمية لاستغلالها العلم التجريبي للترويج لها بين المثقفين ، ثم تلاهما في التطبيق لينين وستالين بسبب نجاح الثورة في روسيا القيصرية وكان الحزب أو الأحزاب الاشتراكية من ضمنها ، لم تكن ثورة شيوعية وحدها كانت تضم كل الناقمين على حكم القيصر والأسرة الحاكمة أسرة رومانوف وعلى ورطة الاشتراك في الحرب الكونية الأولى ، وعلى ذكر أسرة رومانوف .. كانت هي الأسرة المالكة الثانية بعد أسرة روريك والأخيرة في حكم روسيا، فقد تأسست عام ١٦١٣ واستمرت حتى تنازل القيصر نيقولا الثاني في ١٥ مارس ١٩١٧، نتيجة لثورة فبراير.. الثورة التي مكنت البلاشفة بعد شهور من الاستلاء على البلاد ، ومن ثم حدثت الحرب الأهلية حتى استقر الحكم للشيوعيين بزعامة لينين وستالين وتروتسكي

وللعلم أنه جاء في أسفار تاريخ أسرة آل رومانوف أن أجداد أفراد الأسرة أتوا إلى روسيا من بروسيا إقليم في شرق ألمانيا في مطلع القرن الرابع عشر، لكن بعض المؤرخين الروس يعتقدون أن أصولهم تعود إلى مدينة نوفغورود الروسية.

نعود والعود أحمد .. الشيوعية الماركسية حرَكةٌ فِكرية واقتصاديَّة ضد الرأسمالية والدين بكل مسمياته ومذاهبه وضعَها كارل ماركس وانجلز واشهر ما فيها أنها تقوم على الإلْحاد .. لا اله والحياة مادة ، لا وجود للروح والآخرة وتقوم على إلْغاء الملكية الفرديَّة عماد الرأسمالية الصناعية ، وإلْغاء التوارث لأن العائلات الصناعية كانوا يتوارثون أملاك العائلة الصناعية ، وتقوم على إشراك الناس كلِّهم في الإنتاج على حدٍّ سواء ذكورا أم وإناثا ، مؤسِّس الشيوعية الحديثة هو كارل ماركس، يهودي ألْماني، من عائلة نصرانية متحولة عن اليهودية ، تحوَّلت عن اليهودية إلى النصرانية لأسبابٍ معيشيَّة، وقد أقام كارل ماركس مذهبَه على المادية الاقتصادية، وكان قِوامُ هذا المذهب أنَّ الدِّيانات والعقائد جميعًا إنما هي انعكاسُ للضرورات الاقتصادية في المجتمع، كما تتمثَّل في عباداته.. أي إنها صناعة بشرية وليست وحيا .

الشيوعيَّة الماركسية الحديثة أعْلنها ماركس بمعونة زميله (إنجلز) سنة ١٨٤٨م ثورةً شيوعية ضدَّ الرأسمالية الغربية، وضدَّ الكَنيسة المتحكِّمة في رقاب العباد، ولكنَّها كانت ثورةً طاغية عاتيةً أيضًا.. ولم تنجح في أوروبا الغربية ولا الشرقية، وبقيتِ الشيوعية دعوةً نظرية، حتى قامتِ الثورة الشيوعية الشهيرة في روسيا سَنَة ١٩١٧م، بقيادة لينين ، وهي الآن تَجْثُم على رقْعة كبيرة مِن المعمورة، تشمل أقْصى شرْق وشمال آسيا، وما دونها مِن أراضي البلاد الإسلامية، وشمال شرق أوروبا، إضافةً إلى مناطق نفوذها التي تتَّسع بالحديد والنار يومًا بعدَ يوم! خاصَّة في إفريقيا وجنوب شرْق آسيا وأمريكا الجنوبية وغيرها.

الشيوعيَّة مبدأٌ وفِكرة مُوغِلة في القِدم لم تكن ولادة عصر ماركس وانجلز ، فقد ظهرتْ في التاريخ أكثرَ من مرة، ففي عام ٤٨٧م ظهَر في بلاد فارس رجلٌ اسمه (مزدك)، ودعَا إلى الشيوعية واشتراك الناسِ في الأموال والنِّساء، وتُسمَّى حركته بالمزدكية، ثم قُتِل، كما دعا إلى الشيوعية (حمدان قرمط)، الذي تُنسَب إليه حركةُ القرامطة المشهورة، التي ظهرَتْ سنة ٢٨٨هـ، وما بعدَها في البحرين واليمن والعراق .

وضعتِ الشيوعية أُسسَها الفكرية النظرية على يدِ أبيهم الرُّوحي كارل ماركس اليهودي الألْماني

ومِن مؤلَّفاته: "البيان الشيوعي"، الذي صَدر سنة ١٨٤٨م. "رأس المال"، ظهر سنة ١٨٦٧م. ساعدَه في التنظير للمذهَب فردريك إنجلز ، وهو صديق "كارل ماركس" الحميم، كما أنَّه ظلَّ ينفق على ماركس وعائلته حتى مات، ومِن مؤلفاته: أَصْل الأُسرة، الثنائية في الطبيعة، الاشتراكية الخرافية والاشتراكية العلميَّة.

ومن قادتها لينين اسمُه الحقيقي: فلاديمير أليتش بوليانوف، وهو قائِد الثورة البلشفية الدامية في روسيا ١٩١٧م، ودكتاتورها المرهوب وهو الذي وضَع الشيوعية موضعَ التنفيذ، وله كُتُب كثيرة، وخُطَب ونشرات، أهمها ما جُمِع فيما يُسَمَّى مجموعة المؤلَّفات الكبرى.

ستالين: واسمه الحقيقي جوزيف فاديونوفتش زوجا شفلي ١٨٧٩ - ١٩٥٣م، وهو من جورجيا ، وهو سكرتير الحِزْب الشيوعي ورئيسه بعدَ لينين، اشتهر بالقَسْوة والجَبروت والطُّغيان والدكتاتورية، وشدَّة الإصرار على رأْيه، يعتمد في تصفيةِ خُصومه على القتْل والنفي، كما أثبتتْ تصرُّفاته أنَّه مستعدٌّ للتضحية بالشَّعْب كلِّه في سبيل شخْصه، وقد ناقشتْه زوجتُه مرة فقتَلَها!

تروتسكي: اغتيل سنة ١٩٤٠م بتدبيرٍ مِن ستالين، واسمه الحقيقي: بروشتاين، له مكانةٌ هامَّة في الحِزْب، وقد تولَّى الشؤون الخارجية بعدَ الثورة، ثم أسندتْ إليه شؤون الحِزب، ثم فُصِل من الحِزب بتهمة العمل ضدَّ مصلحة الحِزْب ليخلوَ الجو لستالين الذي دبَّر اغتياله للخَلاَص منه نهائيًّا .

وطغيان زعماء الشيوعيَّة طُغيانًا لَم يُعرف له نظير، ممَّا ظَهر في المجازِر البشريَّة القاسية، وعدد الضحايا الهائِل في روسيا، وسجون الاعْتقال، والتشريد والنَّفْي إلى مجاهِل سيبيريا، والبطْش بخصومها في الرأي، والتنكيل بمعارِضيها في الفكر، والقضاء على الطبقات المعارِضة لها في بلادها متَّخِذة من بعض الشِّعارات العارية عن الصِّحَّة سبيلاً لِخداع مشاعر الشعوب، كالإخاء والحريَّة والمساواة.

أما من حيث الانتشار بعد انتصارها في سان بطرس بورغ ، فتنتشر الشيوعية في أماكنَ كثيرة

من العالَم، فعلى مستوى الأفراد لا يكاد صقْع من أصقاع العالَم يخلو مِن معتنِقِين لها، أمَّا على مستوى الحكومات، والأحزاب والتنظيمات، فتنتشر في أماكنَ عديدة، فالشيوعية حَكَمت عدَّة دول، منها: الاتحاد السوفيتي. الصين. تشيكوسلوفاكيا المجر بلغاريا بولندا ألمانيا الشرقية رومانيا يوغسلافيا. ألبانيا. كوبا. كوريا الشمالية فيتنام لاوس .

ومعلومٌ أنَّ دخول الشيوعيَّة لتلك الدول كان بقوَّة الحديد والنار، والتسلط الاستعماري؛ وليس بالفكر والحجة والبرهان ؛ ولذلك فإنَّ جُلَّ شعوب تلك الدول أصبحتْ تتململ مِن قبضة الشيوعية بعدَ أن استبانتْ لها الحقيقة الواضِحة، فلم تكنِ الشيوعية هي الفردوسَ المنتظر!

فالشيوعية اكتسحتْ أفغانستان، وشرَّدت شعبها المسلم، كما أنَّها تحكم بعضَ الدول الإسلامية بواسطة عملائها، كما أنَّها أسَّست أحزابًا لها في مصر، والعراق، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، والأردن، وسوريا، والجزائر، واليمن، وغيرها، ومواقف تلك الأحزاب العربية مِن قضايا العرَب والمسلمين لا تخفَى، فهي تعجُّ بالخيانة، ويُصدِّق ذلك ويشْهد له الحقائقُ الدامغة لدَى الباحثين والمتابعين ، وقامتِ الشيوعية الماركسيَّة من أول أمرها لمناهضة الأديان والأخلاق، والثقافات والمعاملات، وإقامة دولة شيوعيَّة عالميَّة تحت زعامة أقطاب الشيوعيَّة.

هذه احدى المحاضرات التي سمعتها وسجلت على اشرطه الكاسيت واملك نسخة صوتية منها ، وهي في مكتبتي الخاصة ، وسمعت محاضرات في اللغة العربية وعن الصهيونية والعقيدة الإسلامية وحضرت مؤتمرات إسلامية فقهية وسبب اهتمامي بالشيوعية لوجود الشيوعية في بيتنا كما تعلمون وتجد هذا في عدد لا بأس من الأسر الفلسطينية تلك الفترة للظروف المؤلمة التي عصفت بنا وبالعرب جميعهم .

حدثت مقارنة بين المجتمع المسلم والمجتمع السوفيتي الملحد وكانت في قاعة محاضرات في جامعة الأزهر فمما ذكر فيها : فإن الذين يزعمون أنَّ الإسلام لا يصلح للمعاملات العصرية قد جمعوا أسبابهم كلها في مسألة المصارف والقروض، أو فيما سموه مسألة الربا على غير فهم لأحكام الإسلام فيه مع فلسفتهم المعلومة عن رءوس الأموال وعن الاستغلال وبيع النقد كما

تباع السلع لفائدة أصحاب «الأعمال» وعلى حساب طوائف العمال!

فماذا يقول الشيوعي إذا أراد أن ينقد الإسلام في تحريمه الربا والاتجار بأعيان النقود؟ إنه يسكت السكوت الذي يستحق الرثاء، فإنه ليقف هنا موقف العاجز عن تحريك لسانه بالثناء، وهو لا يريد الثناء، أو بالمذمة والتجريح ولا وجه عنده لمذمة أو تجريح.

أما الحدود والقصاص في الإسلام فنقول :

أولًا: أنَّ الحدود مقيدة بشروط وأركان، لا بد من توافرها جميعًا بالبينة القاطعة، وإلا سقط الحد، أو انتقل إلى عقوبات التعزيز، إذا كان ثبوته لم يبلغ من اليقين مبلغ الثبوت الواجب لإقامة الحدود.

ثانيًا: أنَّ القصاص مشروط فيه العمد وإرادة الأذى بعينه، فإن لم يثبت العمد فالجزاء الدية أو التعزير، وقد يجتمعان، أو يكتفى بالدية دون التعزير أو بالتعزير دون الدية.

ولنذكر أنَّ جرائم التعزير تشمل جميع الجرائم التي يعاقب عليها بالسجن أو بالغرامة أو بالعقوبات البدنية. ولنذكر في جميع هذه الأحوال أنَّ الشريعة الإسلامية توجب درء الحدود بالشبهات، فإذا قامت الشبهة للشك في ركن من أركان الجناية أو ركن من أركان الشهادة، فلا يقام الحد، وينظر ولي الأمر في التأديب بعقوبة من عقوبات التعزير.

وقد كانت عقوبات القتل والتمثيل قائمة في جميع الأمم مع قيام الجريمة وقيام أسباب الحذر منها، وظلت كذلك إلى القرن السابع عشر في البلاد الأوروبية التي استقر فيها الأمن بعد الفزع، وانتظمت فيها حراسة الطريق بعد الفوضى التي طغت عليها من جراء فوضى الجوار بين الحكومات.

ولا بد أن يمتد نظر الباحث على مدى مئات السنين قبل أن يسأل عن صلاح الشريعة لعصرٍ من العصور، ولا محل لسؤاله إذا أراد أن يحصر هذه الشريعة في زمنٍ واحد وبيئةٍ واحدة، ولكنه يحسن السؤال إذا عرض أمامه أحوالًا للأمم فيها القديم والحديث، وفيها الهمجي والمتحضر، وفيها المسالم المأمون والشرير المحذور، ثم سأل: هل في الشريعة قصور عن حالة من الحالات

التي تعرض لتلك الأمم في جميع أطوارها؟ وهل هناك عقوبة نصت عليها الشريعة لم تكن صالحة في حالة من تلك الحالات؟ فكذا توزن الشرائع التي تحيط بالمجتمعات في مئات السنين ومئات البيئات، وبغير هذا الوزن تكثر منافذ الخطأ أو يبطل السؤال فلا محل للسؤال.

وننظر إلى المجتمع الإنساني الذي يقيمه الإسلام بعد هذه النظرات المجملة إلى مسألة الرق ومسألة المرأة ومسألة المعاملات ومسائل العقوبات، فنحن إذن خلقاء أن نرى فارقًا بين المجتمعين ـ مجتمع الإسلام ومجتمع الشيوعية ـ لا تستوي فيه وجوه القياس؛ لأنه فارق بين وهم مفروض على التخمين، ولم يحدث بعد كما نشاهد لليوم لم تتحقق الجنة الشيوعية في روسيا والصين وكوبا ،وبين حقيقة واقعة من حقائق الماضي والحاضر وحقائق المستقبل، كما يراها من يشهده رأي العين.

فالمجتمع الشيوعي فرض خيالي قوامه دعوى المدعين أنه سيأتي ـ إن أتى ـ سويًّا بغير طبقات، وأنَّ الشرور الاجتماعية وشرور الطبائع كافة ستفارقه أبد الآبدين إذا فارقه شيء واحد، وهو رأس المال ، هذه هي الخرافة التي يسمونها بالمجتمع الشيوعي الذي سيتحقق غدًا متى حقت الدعوى، أو حق الفرض والتخمين.

أما المجتمع الإسلامي فهو هذا المجتمع الإنساني المتجدد الذي يحق على سنة التقدم بما يحققه من مبادئ الإسلام، وهي مبادئ لا تنتشر وتنطوي في مدى أيام ومدى أعوام.

يقوم المجتمع الإنساني على المساواة بين الناس بغير تفرقة بين الأنساب والألوان والأجناس، ولا تمنعه المساواة أن يعطي المزايا النافعة حقها من الإنصاف لمصلحة المنتفعين بتلك المزايا في جميع الطبقات، ولا تفاضل في الحقوق بالمال أو بالوراثة، فإنما يكون التفاضل بينهم بالعلم والعمل : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

والإسلام أيها الأخوة الكرام : لا يحل مشكلة الفقر بالصدقات المفروضة على الأغنياء لمعونة المحرومين والمعوزين، ولكنه جعل هذه الصدقات منذ ألف وأربعمائة سنة لمن جعلتها لهم دول العصر الحديث من العجزة والمرضى والشيوخ والمنقطعين، وحل مشكلة الفقر بخلع القداسة

التي كانت تجلله في كثيرٍ من الأديان ، ثم حلها بإيجاب العمل على القادرين، وإيجاب تدبيره على الإمام المسئول لكل قادرٍ عليه.

والمجتمع الإسلامي لا يهدم شيئًا من كيان الاجتماع الذي استفاده بنو الإنسان من أطوار حياتهم الاجتماعية في الحقب الطوال؛ لأن كيان الاجتماع في الإسلام لا يتهدم، بل يزداد قوة على قوة، ويدعمه الإسلام ليؤسس به بنيانًا مرصوصًا يشد بعضه بعضًا، ويتعاون على البر والتقوى، ولا يتعاون على الإثم والعدوان.

وأدعى من ذلك إلى الابتسام قول الزعيم «خروتشيف» في تقريره للمؤتمر العشرين من مؤتمرات الحزب الشيوعي كما نشرته «برافدا» في الخامس عشر من فبراير سنة ١٩٥٦ : إننا لا نستطيع أن نتجاهل الحقيقة الواقعة التي تلاحظ في هيئات كثيرة من هيئات الحزب الشيوعي، وهي الحذر من ترشيح النساء للمراكز الرئيسية. فإن عدد النساء قليل جدًا بين أصحاب المراكز الموجهة في الأعمال السوفيتية، ولا سيما مراكز السكرتارية في اللجان ومراكز الرئاسة في اللجان التنفيذية والمشروعات الصناعية والحقول المشتركة وحقول الدولة.

لقدْ زَعمتِ الشيوعية لاتباعها ومناصريها بأنَّها ستحقِّق العدل، وتنشره بيْن الناس؛ حيث ستلغي الفوارق بيْن الطبقات، وستجعل الناس يعيشون في مستوًى اقتصاديٍّ واحد، وسيأخذ كلّ واحد منهم قدرَ حاجته من المال والإنتاج . وإذا كان النِّظامُ الشيوعي يدَّعي تلك الدعوى، فإنَّ واقعه يُكذِّبها؛ فما تلك الدعاوى سوى شِعارات برَّاقة، ووعود معْسولة كاذِبة، يخدعون بها السُّذَّج دونما الْتزام بها، وإليكم بعض الأمثلة:

تفاوت الأُجور: فمعدَّل الأجْر المتوسِّط للعامل في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٥م حوالي ١٨٠٠ روبل سنويًّا، في الوقت الذي بلَغ فيه راتب الأمِين العام للجنة الغزْل والحرير الصناعي مبلغ ٤٥ ألف روبل سنويًّا. ثم إنَّ أجرة الفلاَّح الروسي ٣٠٠ روبل شهريًّا، ويقتطع منها ١٥٠ روبلاً لتقوية الصناعات، في الوقت الذي يتقاضَى فيه أهلُ الطبقة المثقَّفة – كما يزعمون – من الممثِّلين والفنانين، والأدباء والراقصات أجورًا عالية تصل إلى ٢٠ ألف روبل شهريًّا!

تفاوت مستويات التعليم: فأبناء الطبقة المثقَّفة يتمتَّعون بالتعليم الجامعي المجَّاني وغَيْر المجاني، أما أبناء الفلاَّحين، فلا يستطيعون ذلك.

إقرار الحوافِز: فهؤلاء الذين يرفعون شِعارَ المساواة والعدْل، ورفْض الطبقية أقرُّوا الحوافِزَ والجوائز؛ فلقدْ أذاعت وكالة الأنباء السوفيتية – تاس – أنَّ جائزة ستالين للموسيقى وقدْرُها مائة ألف روبل – قد منحت سنة ١٩٤٧م لجوزيف كلينا؛ مِن أجل أنه لَحَّنَ أغنيةً عن ستالين. وأنَّ جائزة ستالين للتصوير – وقدْرُها مائة ألف روبل – قد مُنحت لأراكلي طويزر؛ من أجْل تصويره ستالين يخطُب في احتفال الذِّكرى الرابعة والعشرين لثورة أكتوبر. بالإضافة إلى جوائز أخرى سُلِّمت لموسيقيين، ورسَّامين، ونحَّاتين؛ من أجْل أعمال قاموا بها لشخْص ستالين.

ولمَّا رَأَوْا أنَّ العمال لا يُمكن أن يعملوا بجِدٍّ وإخلاص طالمَا أنَّ جهدهم يتمتَّع به غيرهم، لجؤوا إلى الحوافز، واضطروا إلى الاعتراف بها لتشجيعِ المنتجِين من فلاحين ورعاة، وعمَّال مصانع؛ فأخذتِ الدولة تُمَلِّكهم شيئًا من إنتاجهم ؛ فأين المساواة؟ وأين محاربةُ المِلْكية الفردية؟! عادوا للملكية الخاصة وحتى توريثها للأبناء والأحفاد .

سحْق العمَّال تحت نِظام السخرة في المصانع: والسخرة هي العمَل المجَّاني، حيث يقوم العمَّال بالعمل دون أن يكونَ لأحدٍ من نصيب، إلا حد الكفاف لا الكفاية.

فالعامل الفَرْد في ظلِّ هذا النظام يُجبَر على أن يُحشَر هو وكل أفراد أسرته في غُرْفة واحدة، هي غرْفة جلوسهم، ونوْمهم ومطبخهم ، ثم هي غرْفة في مجمع سكَّاني ضخْم غير متجانس، ويشترك سكَّان الشقة في ضروريات واحِدة دون خصوصية ، وربَّما كانت الأسرة والثلاثة يعيشون في غرْفة واحدة، يفصِل بينهم حبْلٌ من حبال الغسيل تُثبَّت به قطعة من القماش ، ثم إنَّ الطعام الذي توزِّعه المزارع الجماعية لا يكاد يسدُّ الرمق ، أضِف إلى ذلك غلاءُ الأسعار الفاحِش، فثمن الكيلو غرام الواحِد من الزبدة في السُّوق الحرَّة يوازي الأجْر الشهري للعامِل العادي، وثمن زَوْج الأحذية يوازي أجْر شهرين، وإذا مرِض أحدٌ من عامَّة الناس لم يُهتمَّ بعلاجه.

وأما الطبقة الحاكِمة فهي غارقة في التَّرَف والنعيم: ففي الوقت الذي يُسحَق فيه عامَّة الناس، وإذا مرِض واحد من أعضاء الحزب بُودِر في علاجه بأرْقى أنواع العلاج.

تسلُّط الحزب الحاكِم واستبداده: فبالرغم من أنَّ الاتحاد السوفيتي يتكوَّن من ١٥ ولاية رئيسة، فُرِض عليها الاتحاد فرْضًا، وفي كلٍّ منها مجلس وزراء، إلاَّ أنَّ سلطاتها تنحصر في الأمور العادية. أمَّا الحَل والعَقْد، والبتُّ في الأمور، فيملكه الحِزب في موسكو، ولا يُناقشه أحد في ذلك.

حيث اتَّسمتْ سياسة الشيوعيَّة بعدَ التطبيق بالبطْش والإرْهاب، والتدمير والتعذيب، والتنكيل الذي لَم يسبق له – على مدى التاريخ – مثيل .

توالتِ الخلافات بيْن الدول الشيوعيَّة، بل داخل الدولة الواحِدة وبيْن أعضاء الحِزْب الواحد؛ فلا يكاد يجمعُهم سوى خوفِ كلٍّ طرف من الطرف الآخر، فهناك خلافاتُ لينين مع ستالين، والتي كان لينين بسببها ينوي إقْصاء ستالين مِن مكانته ، وهناك الخِلافات بين ستالين وتروتسكي ، والتي أدَّتْ بستالين إلى تدبير اغتيال تروتسكي! وكلَّما وصل رئيس إلى سُدَّة الحُكم ندَّد بسلفه، وأقذع في شتْمه وسبِّه، ومن ذلك ما حصَل في المؤتمر الخمسين للحِزْب الشيوعي، عندما وقَف الرئيس خروتشوف يندِّد بستالين، ويقول عنه: إنَّه ديكتاتور سفَّاح، مجرِم سافل دنيء، وإنه غلطة لا ينبغي أن تتكرَّر، وإنه ارتكب مِن الجرائم البشعة ما تقْشَعِرُّ له الأبدان.

ورزت الإسكندرية والحق اكثر من مرة ، فهي مدينة تنسب إلى الإسكندر المقدوني ، ويقال أن هناك عشر مدن تحمل اسمه ، اشهرها إسكندرية مصر ، وهي ميناء مصري مهم ، ولها تاريخ عريق ، واكثر سكانها جاءوا من محافظات مصر واستقروا فيها ، فهي خليط من المصريين والأجانب سافرت إليها مع زملاء عرب للسياحة وسماع ندوة أو مؤتمر شبابي ، وكان من ضمن ما طرح محاضرة حول عصر الشيوعية التي بدأت تحتضر كما قال احد المحاضرين فقال : وبعد أربعين سنة من اللغط «بالرجعية» في وصف الإسلام ، والتقدم في المذهب المادي القائم على العلم ورعاية القوانين الطبيعية في زعم أصحابه، يحق للناقد المسلم أن يبتسم، وهو يرى في كل يوم ضربة من ضربات الفطرة ترتد بالسخرية على من يخرجون عليها، وقال ضاحكا :

ونقرأ في خطب الفلاسفة الماديين كلامًا عن الأسرة ـ الملعونة في عرف الماديين ـ يقيم عليها دعائم المجتمع الصناعي الذي ينبغي أن يعصف بالأسرة عصفًا إذا صح ما قدره له «كارل ماركس» وأتباعه، ويقول لنا الفيلسوف «خروتشوف» من خطاب للشبان الشيوعيين أذيع في الثلاثين من شهر يناير سنة ١٩٥٦ : «إن الأسرة السوفيتية الناشئة تخلق من أجل العمل المشترك على مصلحة الوطن ، كي تزوده بأبناء وبنات مجتهدين مخلصين ، وإن سعادة الأسرة لن تنفصل عن سعادة المجتمع الاشتراكي وجهوده"

" ولكنه لا يتمارى في جناية المذهب المادي على الأسرة وجنايته من ثم على المجتمع في حاضره ومصيره، ولن يتمارى في حقيقة النظام الذي ينقذ المرأة من براثن الاستغلال والابتذال، فلن يكون خلاصها من الاستغلال على يد النظام الذي يرسلها إلى الأسواق والمصانع ومعارك السياسة والكفاح، ولن تخلص من الاستغلال إلا إذا ملكت بيتها أُمًّا وربة أسرة وسيدة للعالم الصغير الذي ينشأ منه الغد ويسكن إليه الحاضر من وعثاء الكفاح في الأسواق والمصانع ومعارك السياسة .

فالتحرُّكات في المجتمع الشيوعي مُراقبة، والاتصالات الهاتفية مسجَّلة، والزيارات – وخاصَّة من الغرباء – مراقبة تمامًا، ولقد روى ذلك كثيرٌ من الزائرين لروسيا بعدَ أن لاحظوا مَن يراقبهم، ويرصد تحركاتهم. ولذلك يتحاشَى الرُّوس الحديث عن السياسة، وكثيرًا ما يردِّدون عبارات جاهِزة مكرَّرة في مدْح سياسة بلادهم بمناسبة أو بغَيْر مناسبة؛ فقد يكون جزاء المقصِّر أو المتجاوز النفيَ إلى سيبيريا؛ حيث البَرْدُ القارس، والأعمال الشاقة.

وقد قال أحد الكُتَّاب: إنَّ نصف سكَّان موسكو جواسيس على النصف الآخر، فقال له صاحبه: ولكن النِّصف الآخر جواسيس أيضًا على النِّصف الأول، وتلك فكاهةٌ ليستْ ببعيدة عن واقع المجتمعات الشيوعيَّة. ويدلُّ على ذلك ما حصَل في ألمانيا الشرقيَّة عندما سقطتِ الشيوعيَّة؛ حيث ذهب بعضُ الناس لأقسام الشرطة والمباحث؛ ليتسلَّمَ ما كُتِب عنه مِن تقارير؛ ففوجئ كثيرٌ منهم بأنَّ الذي تجسَّس عليه أمُّه، أو زوجته، أو أخوه، أو أقربُ الناس إليه!

فمُعظَم الأمور هناك أسرارٌ غامِضة؛ فلا دليلَ للهاتف، ولا مخطَّط للمدينة، ولا كُتُب عن مشاهيرِ الناس. أما أعضاء الحكومة فحياتُهم وأماكن سكناهم، واجتماعاتهم وتحرُّكاتهم، فسِرٌّ مغلق، لا يُعلن عنه، ولا يُتحدَّث فيه، بل مِن الصعب أن تقابل روسيًّا عاديًّا على انفراد! ومما اعتاده الناسُ هناك اختفاءُ بعض الناس في ظروف غامِضة، سواء كانوا مسؤولين أم مِن عامَّة الناس، ثم إنه لا يجرؤ أحدٌ على السؤال عنهم أو الاستفسار! يقول آرثر كستلر عن مجتمع الحِزب الشيوعي: "كان عالَمًا يسكنه أناسٌ يُعرفون بأسمائهم الأولى فقط، أمَّا أسماء أُسَرهم، أو عناوين سكناهم فلم يكنْ لها وجود، كان الجوُّ متناقضًا؛ فهو خليط من الزَّمالة الأُخوية، والارْتياب المتبادل، ويمكن أن نقول: إنَّ الشعار هنا هو: أَحْبِب رفيقك، ولكن لا تثِق فيه أُنملةً لصالحك؛ لأنَّه يشي بك ولصالِحه؛ إذ مِن الخير له ألا تعرِّضه للإغراء والوشاية.

فجميع الصُّحف ودُور النشْر خاضعةٌ تمامًا لرقابة الدولة، ومُهمتها كيْل المديح الأجوفِ المُمل لقادة الحزب، مع تسويغ أعمالهم وحماقاتهم. وأبرز مثال على ذلك: دائرة المعارف الرُّوسية، التي مُلِئتْ بالتشويهات وقلْب الحقائق؛ إرضاءً لهوى المتسلِّط.

وبالجملة، فإنَّ البلادَ التي ساد فيها النِّظام الشيوعي قد تحوَّلت إلى سجْن كبير، لا مكانَ فيه لحريَّة الرأي، ولا يستطيع الفَرْد أن يُفصِح عمَّا يدور في خَلَده تجاهَ النظام؛ فهو يعيش في رعْب دائم، وقلقٍ مستمرّ. فالمرأة في النِّظام الشيوعي أداةٌ من أدوات الإنتاج. فمِن أهداف نظام الشيوعية القضاءُ على نظام الأُسْرة؛ فالكيان الأسري الذي يربط أفرادَ الأسرة بروابطَ لها قوتها وقدسيتها، يتعارض في نظر الماركسية مع الرابطة المقدَّسة الكبرى الأم، التي هي الدولة.

وكانت هناك محاضرة عن الإلحاد وسببه وخطره وذكر فيها المحاضر ما قاله شيخ الأزهر محمد الخضر حسين عنه بعنوان : أسباب الإلحاد وخطره على المجتمع المسلم والإنساني فذكر ما قاله الإمام الراحل عن ضرر الإلحاد رحمه الله :

من أسباب الإلحاد الفردي والجماعي أولا :أن ينشأ الشخص أيها الأخوة في بيت خالٍ من الإسلام ، ومبادئ هدايته ، فلا يرى الناشئ فيمن يقوم على أمر تربيته – من نحو والد أو أم أو

أخ – استقامة وطاعة ، ولا يتلقى عنه والديه ما يطبعه على حب الدين، ويجعله على بصيرة من حكمته، أي القدوة الحسنة أيها الأحباب فأقلُّ شُبه تَمَسُّ ذهن هذا الناشئ تنحدر به في هاوية الضلال والغي والإلحاد . ثانيا : أن يتصل الفتى الضعيف النفس بملحد يكون أقوى منه نفساً، وأبرع لساناً، فيأخذه ببراعته إلى سوء العقيدة وكما قالوا الصاحب ساحب والمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وقال الشاعر القديم :

عَنِ المَرْءِ لا تَسْأَلْ وَأَبصِرْ قَرينَهُ ... فإِنَّ القَرينَ بالمُقارِنِ مُقتَدِ

وقال آخر :

وينشَأُ ناشئُ الفتيانِ منا ... على ما كان عوَّدَه أبوه

وأما السبب الثالث للإلحاد : أن يقرأ الناشئ مؤلفات وكتب ومجلات وصحف الملحدين والرابع : أن تغلب الشهوات على نفس الرجل والشاب والشابة .

وأذكركم كما قال العالم الكبير بصفات وطبائع أهل الإلحاد وبها يمكنك أن تعرف هؤلاء الملحدين : يفرح الملحدون بإشاعة الإلحاد عن بعض العلماء المفكرين وترى تناقضهم في الأقوال ، وترى أيضا انهماكهم بالفسوق والفجور بشرب الخمر والزنى والمجون ، وكذلك إلصاقهم بالدين أشياء لا تطابق الحكمة والمماراة في القرآن والسنة والتأويل الفاسد والمنحرف ، صداقتهم للمجاهرين بالجحود والإعجاب بهم ونشر أفكارهم ، واعلم أن غاية الملحد أن يطعن في الدين، ويصد عن سبيله بقلمه أو لسانه، ومن حقدهم وبغضهم ومن طبائع الملحدين الحطُّ من شأن علماء الدين المستقيمين ، ودعوتهم إلى الإلحاد ونشره باسم حرية الراي في الدين فإن رأوه الشاب أو الشابة قد ضعف أمام هذه الشبه، أكثروا من إلقاء أمثالها عليه حتى يقع في حيرة، ويستبينوا منه .

عرفنا أن من طباع الإلحاد: اتباع الشهوات، والانطلاق في الإباحية، فالملحد لا يحافظ على عِرْضِ أحد، ولا على ماله، ولا على حرمه، إلا أن يعجز عن الوصول إلى شيء من ذلك، ومتى ساعدته الفرصة، وظن أنه بمأمن من العقوبة، عاث في الأعراض والأموال غير متحرج من انتهاك

حرماتها، وقد يقع انتهاك الأعراض ونحوها من غير الملحد بدافع الشهوة ، أما الملحد، فإنه يأتيها مستبيحاً لها، وضرر الطائفة التي ترتكب الفسوق مستبيحة له أشد من ضرر من يفعله معتقداً أنه يأتي أمراً محرماً وانظر لواقعنا اليوم .

إذ أن الملاحدة يبيحون موبقة الزنى وما يضاهيها من الفواحش، ويبيحون الخمور، ولا يتحرجون أن يضموا إليهم أموال غيرهم بغير حق، وإذا وجدت في أهل الدين من لا يفعل فاحشة، أو لا يعتدي على حق، ولو أمن من أن يطلع عليه مخلوق، فإن الملحد لا يكف نفسه عن الهوى، إلا أن يخاف ألماً يأتيه من الناس أكبر من ذلك الهوى .

أما اليوم، فقد ظهر الإلحاد، ورفع رأسه، وتجاوز المجالس الخاصة إلى الصحف والمؤلفات، ولهذا – فيما أرى – أربعة أسباب:

أحدها: أن بعض الحكومات صارت تضع قوانينها الدستورية في عبارات لا يرى فيها الملحد قيداً يكفه عن إعلان إلحاده، أو الدعوة إليه كما يشاء.

ثانيها: أن كثيراً من المنتمين إلى علوم الشريعة، فرَّطوا في جانب الغيرة على الحق، فتراهم يوادّون من يصفهم الناس بالإلحاد، ويتملقونهم بالإطراء، ويشهدون لهم بالإخلاص للدين، يفعلون هذا رجاء متاع الحياة الدنيا، وهم يعلمون أنهم إنما يمدحون طائفة تفسد على الأمة أمر دينها وأخلاقها.

ثالثها: أن بعض الحكومات الإسلامية ترفع إلى مناصبها العالية من لم يتلقوا من علوم الدين ما يميزون به المفسد من المصلح، فيجد الجاحدون لديهم حظوة، ولو مع إعلانهم الإلحاد، وجراءتهم على الطعن في الشريعة الغراء، وإقبال كبراء الدولة على الملحد وتمكينه من المناصب التي يتخذها وسيلة لنفث سموم إلحاده، قد يكون مشجعاً لغيره من زائغي العقيدة على أن يجهروا بزيغهم، ويدعوا إليه وهم آمنون.

رابعها: أن بعض الملاحدة دخلوا في الحركات الوطنية، وتظاهروا بالغيرة على الوطن، فانخدع بهم الناس حتى خلعوا عليهم بلقب الزعامة، فأخذ هؤلاء الزعماء الملاحدة يعملون لنشر

الإلحاد بين من يتصل بهم من الشبان

سؤال :كيف يعالج الإلحاد؟ متى قيَّضَ الله للحكومات الإسلامية رجالاً يقدّرون فضل الدين في إصلاح حال الأفراد والجماعات، وفضله في إخراج رجال يطمحون إلى العزة، ويقتحمون كل ما يعترضهم في سبيلها من عقبات، وفضله في بسط الأمن في البلاد، متى قدر أولو الأمر فضل الدين، ومتى تضافر علماء الشريعة على الدعوة إلى الحق بحكمة، وعلى مكافحة الزائغين بالحجة، طهرت الأمة من خبث الإلحاد، وبلغت أقصى غايات المجد والفلاح يستهزئون في مجالسهم بالدين .. ويمكن أن نضيف ما نتج واثمر الإلحاد على الإنسانية

١- فالملاحِدة مَحْرومون من طمأنينة القلْب، وسكون النفْس، قال الله – تعالى -: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

٢- الأثرة والأنانية: فلا رَحْمةَ ولا شفَقة، ولا برَّ بالوالدين، ولا صِلةَ للأرحام، ولا إحسانَ إلى الجيران وسائر الناس؛ فكلُّ فرْد معنِيٌّ بنفسه فحسْبُ، فالإلحاد لا يعير هذه الروابط أدْنى اهتمام.

٣- : فالملحِد يجد في نفسه حبًّا للجريمة، وإرادة الانتقام، ورغْبة في التشفِّي من كل موجود.

٤- فالملحِد لا يُحافظ على عِرْض أحد، ولا يُؤتَمن على مال، أو حُرْمة، إلا أن يعجز عن الوصولِ إلى شيءٍ من ذلك.

٥- الإجرام السياسي: وهذا مِن أعظم آثار الإلْحاد؛ ذلك أنَّ الأخلاق المادية الإلحادية ملأتْ قلوبَ أصحابها بالقسوة والجبروت، ممَّا دفَعَهم إلى تطبيق ذلك عمليًّا؛ ولذلك ترَى الدول الكبرى، كيف تفعل بالدول المستعمرة مِن الإهانة والقتْل، والإذلال والتشريد

وكانت محاضرة في آخر يوم عن المادية الشيوعية بعنوان : عصر الشيوعية

وأبرز المبادئ التي تقوم عليها الشيوعية:

أولاً: الماديَّة: (المادية) نِسبة إلى المادة لا اله والحياة مادة ، وهي الموجود الذي يُدرَك بإحدى الحواس، مما يخضع لتجرِبة الإنسان وملاحظاته، ولقد أصبحتْ عبادة المادة هي الأساسَ المشترك لجميع الملاحِدة، على اختلاف مذاهبهم .

ثانيًا: الجدلية "الديالكيتك": لقد أصبحتِ المادة عند الشيوعيِّين هي كل شيء، وليس وراءَها شيء، وأنَّها تتطور صعودًا وَفقَ قانون "الجدلية الديالكيتك"، والتاريخ نفسه يسيرُ حسْبَ هذا القانون حتمًا - بزعمهم - وتكون هذه المادة وَفقَ ما تقترن به، فتُسمَّى المادية الجدلية في الكون، إذا كانتْ تتعلَّق بتغيرات الكون وأحْداثه، وإذا كانت تتعلَّق بسلوك الناس سموها المادية الجدليَّة في التاريخ، فالجدَليَّة: في المذهب الماركسي تُعتَبر بمثابة رُكْن من أركانه، وأنَّها هي قانون حركة الوجود كله.

ثالثًا: "التطور": كما تطور الإنسان من حشرة إلى قرد ثم إنسان .

رابعًا: أنَّ السلطة في الدولة الشيوعية يجب أن تكونَ في أيدي العمَّال، ويُسميهم الشيوعيون (البروليتاريا) ، وهذا المبدأ يُقصَد به إثارةُ حقْد الفقراء والعمَّال ضدَّ أصحاب الأموال والسلطات، وتحريض أصحاب النَّزعات والشهوات البهيميَّة على الفَوْضى وإشاعة الفاحِشة كما أنَّ لهم أفكارًا ومعتقداتٍ مِن أبرزها: "إنكار وجود الله تعالى، وكل الغيبيَّات، والقول بأنَّ المادة هي أساسُ كل شيء، وشعارهم: نؤمن بثلاثة: ماركس ولينين وستالين، ونكْفُر بثلاثة: الله، الدين، الملكيَّة الخاصَّة، ولا يعتقدون بأنَّ هناك آخرة. الحياة من اجل الحياة، يحاربون الأديان ويَعتبرونها وسيلةً لتخدير الشعوب ويسمونها أفيون الشعوب ، وخادمًا للرأسمالية والإمبريالية والاستغلال . يحاربون الملكية الفردية، ويقولون بشيوعية الأموال، وإلْغاء الوراثة. إنَّ كل تغيير في العالَم في نظرهم إنَّما هو نتيجة حتميَّة لتغيُّر وسائل الإنتاج، وإنَّ الفكر والحضارة والثقافة، هي وليدةُ التطور الاقتصادي. والغاية عندَهم تبرِّر الوسيلة"

سؤال مهم : لماذا نجحت الشيوعية على مستوى العالم ؟ فلذلك أسباب التي أدَّتْ إلى قيام الشيوعية فمنها:

١- الطغيان والفساد الكَنسي: الذي حارَب العِلم والعقل، ومكَّن للجهل والخُرافة، وأعان الحكَّام الظلمة، وفرَض على الناس الضرائب والعشور، وما إلى ذلك، ممَّا قامتْ به الكنيسة الأوروبية، فكان أنْ قامت الشيوعية كردَّة فعْل لذلك الطغيان . فهي نشأت متأثرة بقانون

داروين ومستغلة للعلم في الأحياء والفيزياء ،وهي محاربة للكنيسة وطبقة النبلاء . كانت أوروبا غارقة في صراعات دينية كاثوليك وبروتستانت وأرثودوكس ونهضة صناعية وظهور أمريكا وثورتها وحربها الأهلية .

٢- مظالم النظام الرأسمالي: حيث طغَى الرأسماليون، وأفسدوا واستبدوا، فقام الشيوعيون - بزعمهم - بمحاولة الإصلاح.. زاعمين الشفقة على طبقة العمال في المصانع وغيرها .

٣- الخواء الرُّوحي: إذْ إنَّ الكنيسة لا تقدِّم منهجًا يزكي النفس، ويجلب السعادة والطمأنينة للأفراد والمجتمعات، ممَّا جعَل النفوسَ تهفو إلى ما يُنقِذها مما هي فيه من القَلق والاضطراب والحَيْرة.

٤- انتشار الاستعمار وما خلَفَه من دمار: فلذلك أثرُه الواضح في انحطاط الشعوبِ المُسْتَعْمَرة، وذلك عن طريق الكَبْت، وقفْل باب الحريَّة، مما أفسح المجال لنشْر الشيوعية لتنقذهم من براثن الاستعباد .

٥- فمما ساعَدَ على قيام الشيوعيَّة ما قام به أربابُها من دعاية وهالة؛ لتحسين ضلالتهم، وترويج مذهبِهم، فإذا سمع الجاهلُ عن ذلك هالَه الأمر، واغترَّ بالشيوعية، وظنَّ صدقها مع أنَّ كل عاقلٍ منصف يعلم بطلانَها وزيفَها.

٦- الانقلاب الصناعي: فما يقوم به الشيوعيُّون من بحْث علمي جادٍّ، مستند على أدلَّة مغرية، صار سببًا لاغترار كثيرٍ من الخلق بهم؛ حيث ظنُّوا - بجهلهم - أنَّ الترقي الدنيوي دليلٌ على أنَّ أهله على حقٍّ وصواب في كلِّ شيء. لأنَّه لا تلازمَ بيْن التقدم الصناعي وصحَّة المعتقد والمبدأ، فقد يكون الإنسانُ من أمهرِ الناس في أمور الطبيعة وهو أجهلُ الناس في الدِّين والأخلاق!. ها هم في اليابان والهند يعبدون بوذا والبقر ولديهم صناعات وقوة اقتصادية وحداثة .

٧- فلقد فتَح العالَم المادي أبوابًا عظيمة من أبواب الرفاهية والتَّرف؛ فالمراكب الفخْمة الفارهة؛ من سيَّارات وقطارات، وبواخر وطائرات، وكذلك الملابس والمطاعِم، ووسائل التسلية والترفيه، كل ذلك مكَّن للغفلة، وجعلَها تستحكِم على النفوس، ولا تشعرُ بالعاقبة، مما فتَح

المجال لترويج أيِّ مبدأ.

هناك كما تعلمون غايات لقيام الشيوعية: معارَضة الدِّين، والملكية الفردية، وحرية الرأي ، نشْر الإلحاد، والفساد والإباحية ، القضاء على الأديان الموجودة ، القضاءُ على الحياة الأُسرية ومؤسسة الزواج ، وجعْل الولاء مقصورًا على السلطة الحاكمة، مع تخويل السُّلطة الحاكِمة بألاَّ تحكم وفقَ قوانين ثابتة، وإنَّما تتغيَّر القوانين حسبَ مصالح الحاكم الخاصَّة، وأهوائه الذاتية المتقلِّبة من وقت لآخرَ.

أساليب الشيوعية في نشر فكرها ومذهبها توزيع ملايين: الكتيِّبات والنشرات مجانًا في كافَّة أنحاء العالَم داعيةً إلى مذهبها. وقامت الشيوعية بتأسيس أحزابًا: لها في كل الدول العربية والإسلامية تقريبًا، فنجد لها أحزابًا في مصر وسورية، ولبنان وفلسطين، والأردن وتونس، وغيرها. الترويج لحلم: تحقيق الحكومة العالميَّة التي يحلمون بها، ويسعَوْن لتحقيق الأمميَّة من خلالها، وهذا من تصوُّرهم لعالمية الشيوعيَّة، وإبراز ذلك على أنه قضية مسلَّمة.

كيف دخلت الشيوعية بلادنا العربية والإسلامية ؟ اليهود هم الذين أدْخلوا الشيوعية في الدول العربية والعالَم الإسلامي، فقد جاء "جوزيف برجر" اليهودي البولوني إلى لبنان سنة ١٩٢٠م، عن طريق حيفا، وأخَذَ يدعو لوَحْدة الطبقة العاملة، والإخاء الإنساني، ومقاومة الاستعمار، وأسَّس حزبًا شيوعيًّا مرتبطًا بالحزب الشيوعي في فلسطين ، ثم جاء بعدَه يهودي آخرُ من أصل ليتواني اسمه "إلياهو تيبر"، وكان قد تدرَّب على العمل في بلجيكا، حيث اعتنَق الشيوعية، وجاء يدعو لها في سوريا مِن قِبل "الكومنترن". اللينني ، وفي هذه الأثناء عمِل أرتين مادونيان، وهيكازون بوياجيان، زعيمًا لحرَكة سبارناكوس الأرمينية اليسارية على تأسيسِ الحِزْب الشيوعي في سوريا في أوساط الأرْمن الأكراد. ثم جاءَ مِن أوديسا في روسيا اليهودي: نخمان ليتفسكَى، ومعه زوجتُه؛ لاختيار الشباب العربي الذي يصلُح لتلقِّي التعاليم الماركسية في معهد الشيوعيِّين الشرقيِّين في موسكو، وكان في مقدِّمة المختارين الموفدين خالد بكداش سنة ١٩٣٠، وكان في الخامسة والعشرين من عُمره. أُعْلن في سنة ١٩٢٩م عن ارتباط الحِزْب الشيوعي

اللبناني مع الحِزْب الشيوعي السوري، مع الحِزْب الشيوعي اليهودي في تل أبيب، تحتَ قيادة الحزب الشيوعي الفَرَنْسي في باريس، ومن المعروف أنَّ موسكو تستخدم الأحزابَ الشيوعية الأخرى للتدخُّل حتى تبدوَ بعيدةً عن الأحداث، مع أنها هي التي توجِّهها وتنميها، فقد كانتْ بلغاريا مثلاً : تُشرِف على الأحزاب الشيوعية في "الشرق"، وتقوم برعايتها، كما تولَّت كوريا الشمالية بعضَ هذه المسؤولية بالنِّيابة عن موسكو.

وقد مهَّد للفكر الاشتراكي في مصر شبلي شميل اللبناني، وفرح أنطوان، الذي كان يدعو إلى دِين الإنسانية؛ ليحلَّ محلَّ الدين التقليدي، ويقصد به الإسلام، كما أخَذ سلامة موسى يبشِّر بالاشتراكية بعدَ زيارته لفرنسا، حيث مركزُ التوجيه الشيوعي للشرق في باريس . وقد أسَّس الحزبَ الشيوعي المصري اليهوديُّ روزنتال سنة ١٩٢٢، وهو بائع مجوهرات، وساعدته في ذلك ابنتُه شارلوت، وخلَفَه في العمل الخواجة فاسيليف تحت سِتار تجارة القطن، ثم اليهودي هنري كوريل، الذي كان يُلقَّب بالمليونير الأحمر؛ لكثرة ما يُنفِق بلا حساب من مساعداتِ موسكو، ومِن مشاهير اليهود الشيوعيِّين أيضًا في مصر إيللي شوارتز، ويوسف درويش، وريمون دويك، وأوديت وزوجها سلامون سدني.

فقدْ وفَد الخياط الروسي بيتروف من الأمميَّة السوفيتية سنة ١٩٢٩، وأقام في مدينة الناصرية، وقد أطلق الشيوعيُّون على بتروف اسمَ "بطرس أبو ناصر"، وقد انتسب يوسف سلْمان إلى الحزب الشيوعي العراقي، وكان عميلاً للصِّهْيونيَّة في نفس الوقت، وأشهر قيادات الحِزب العراقي ناجي شميل، وكوهين وناجي شاؤول، وشالوم مير، ويوسف ساسون، وناظِم يعقوب يونا، وداود دانييل، وهارون زلخة، وكلهم يهود.

وقد أسَّس الحزبَ الشيوعي في سوريا الأرمني أرتين مادونيان، وما لبث أن انتزعَ منه الزعامةَ خالدُ بكداش"

الشيوعيَّة دخلتْ بلاد الإسلام لأسباب عديدة، منها: انحراف كثيرٍ من المسلمين، وجهْلِهم بعقيدتهم ، الهزيمة النفسيَّة الداخلية، التي أفقدتِ العزَّة، ومَكَّنتِ الشيوعية وغيرها مِن الدُّخول

التأخُّر المادي والعسكري، الاستعمار وما خلَّفه مِن دمار، وامتصاص المستعمرين لخيرات المسلمين.، فيروج الشيوعيُّون وأذنابهم من المنتسبين للإسلام أنَّ دين الإسلام دينُ تخلُّف، وانحطاط، وتأخُّر عن مُوَاكبةِ الأحْداث ، انتشار الخُرافات والبِدَع؛ حيث شاعتْ في بلاد الإسلام بِدعٌ وضلالات، تروِّج لها المذاهبُ الباطلة، كل ذلك اغتنمه الشيوعيُّون، وسدَّدوا مِنْ خلاله سهامَهم نحوَ الدين؛ ليروِّجوا أن الدِّين خرافةٌ ودجَل. سقوط الخِلافة الإسلاميَّة: فلقد كانتْ تجمع المسلمين، وتُرهِب أعداءَ الله،

ترْك الجهاد في سبيل الله تعالى؛ حيث ركَن أكثرُ المسلمين إلى ملذَّات الحياة الدنيا، فدبَّت إلى الجفون غفوة، فلم تكدِ الأُمَّة تستفِق منها إلا ويدٌ أجنبية تقبض على زِمامها، وتُديرها كما تَشاء. تركيز الغَرْب على إفساد التعليم والإعلام والمرأة، فشوَّه الإعلامُ صورةَ الإسلام وعلمائه. الابتِعاث وما فيه مِن مفاسد؛ حيث يبتعث إلى بلادِ الكُفْر مَنْ هو خالي الوفاض – في الغالب – فلا علمَ لديه، ولا ورَع يزمُّه، ولا تقوى تردَعُه، ولا عزَّة تمنعه، فيعيش في تلك البلاد فترةً من الزمان، فيتأثَّر بما فيها مِن انحلال، وفساد، وكفر، وربَّما رجَع بشهادة الدكتوراه بعد أن يفقدَ شهادة أن لا إله إلا الله، فيُصبح بذلك مِعْولَ هدْم لأمَّته، وربَّما تولَّى زِمام التأثير في المجالات المهمَّة؛ فيفرغ فيها كثبةً مِن سمومه، وفساده. خيانات العُملاء والمنافِقين؛ فلهؤلاء دوْرٌ كبير في نشْر الشيوعية، والتمكين لها ، سوء التربية؛ وذلك بأنْ ينشأ الشخصُ في بيْتٍ خالٍ من آداب الإسلام ومبادِئ هدايته، فلا يرَى فيه مَن يقوم على أمْر تربيته، وغيرها .

عدت للقاهرة بعد أسبوع حافل بالندوات والتاريخ ، فكان لديّ شغف بسماع كل شيء الاشتراكية والمادية بكل أشكالها وأكثرها اهتماما الماركسية لأنني عرفتها عن قرب ورأيت شغف إخوتي الأكبر بها والعيش فيها ، وكان بعض الزملاء يعلم شغفي بسماع اعترافات الماركسيين والملحدين وحياتهم الغريبة وسماع ما يقال عنهم وما ينشرونه في كتبهم ومجلاتهم فدعينا ذات ليلة لمحاضرة أخرى عن الإسلام والشيوعية في بيت عالم كبير كان متأثرا بها ثم ترك الالحاد والشيوعية فتشجعت لمرافقته وسماع ما يقول العالم التائب .

الإسلام والشيوعية

قال : اطلع «ماركس» و«إنجلز» على بعض مراجع «الأنثروبولوجي» علم الإنسان التي تكلم أصحابها عن عبادات القبائل الأولى؛ لأنهما يستدلان بأحوال المجتمع في تلك القبائل على سبق النظام الشيوعي البدائي لنظام الملك الخاص والطبقة المستأثرة بوسائل الإنتاج، ولا يظهر من كلامهما على الأديان الكبرى أنهما توسعا في الاطلاع عليها ، ولم يطلعا على الإسلام الصحيح ربما رأيا ما كتبه المستشرقون عنه ، وقاساه على النصرانية واليهودية ، ولا يظهر من كلامهما العاجل عن الإسلام والمسلمين أنهما اطلعا على قواعد الإسلام، والإسلام كما هو معلوم نظام اجتماعي إلى جانب عقائده وشعائره الدينية أي عقيدة وشريعة ، ونظرة الشيوعيين إليه في دور تطبيق المذهب الشيوعي على الخصوص كنظرتهم إلى مزاحم خطير لبغضهم للدين مهما كان اسم هذا الدين حتى ولو كان دين بوذا وعبادة البقر كالهندوس ، كانوا يخشون منه أن ينازعهم السلطان على عقول الأمم وضمائرها في مسائل الأخلاق والمعاملات، مع ما يوحيه إلى العقول والضمائر من إيمان وثيق لا طاقة به لفلسفة الحياة كما يبسطها الماديون ، فهم يزعمون أنَّ الدين خدر للشعوب ويروضها على الفقر والمسكنة، ويلهيها بالآخرة والجنة عن نعيم الدنيا؛ ليستأثر به سادة المجتمع ويغتصبوا منه علانية ـ أو يسرقوا منه خلسة ـ ما طاب لهم أن يغتصبوه أو يسرقوه. .. جعلوا الدين سبب خضوع العمال والعامة لسطوة وسيطرة النبلاء والكنيسة على الناس .

فالإسلام كما تعلمون يأبى للمسلم أن ينسى نصيبه من الدنيا، ويأمره أن يأخذ من طيباتها وزينتها وسعادتها ؛ وليس من الإسلام أن يتجرد المسلم من زينة الدنيا ليُقبل على الآخرة، بل هو مأمور بأن يأخذ نصيبه من الزينة وهو بين يدي الله، وأن يعد زينة القوة من نعمه التي يشكره عليها :يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا * إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . وقال ﷻ : وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً.

ولم يخطر لعدو من أعداء الإسلام أن يتهمه بتحسين الجبن والخور والاستكانة لأتباعه والذل لغير الله وإلا لماذا كان واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيقولون عنه عن الإسلام : إنه دين السيف أو دين القتال ، فقد كان الإسلام مبتلى بسيوف أعدائه قبل أن يكون له سيف يذود به عن نفسه، ومكث الرسول ﷺ اكثر من عقد يدعو باللسان قبل السنان ، ولم يأمر الإسلام قط بتجريد السيف عدوانًا على أحد، وها نحن نرى أكبر دولة إسلامية بشرا اليوم إندونيسيا لم تسلم بالجهاد السيفي ، وأصدق ما يقال عن الإسلام في أمر السيف: إنه يأمر بالسيف؛ لأنه ينهى عن الجبن وينهى عن العدوان، ولم يأمر به ليوضع في غير موضعه أينما كان قال الحق : وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا، فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ، وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ.

ومقاتلة البغي واجبة على المسلم ، ومن الواجبات الاجتماعية المفروضة على الجماعة في الإسلام أن يكون منها آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر، يتولون عنها هذه الفريضة التي لا تنساها جماعة إنسانية إلا بادر إليها الفناء ، ومهما يتعنت صاحب الهوى في توجيه الكلمات ومعانيها، فما هو بقادرٍ على أن يتخذ من أوامر الإسلام حجة لتسخير المجتمع في خدمة أصحاب الأموال أو القابضين على وسائل الإنتاج، كما يقول المفسرون الماديون للأديان، فقد كان السادة في الجزيرة العربية يربحون من الربا المضاعف ومن احتكار التجارة، فجاء الإسلام بتحريم هذا وذاك أشد التحريم ومنع الإسلام الاحتكار والاستغلال ، منع الإسلام الاحتيال بالمتاجرة بالأعيان سترًا للربا الذي يحرمه ، ويسمى عند الفقهاء ربا الفضل ، ومن الاحتكار الممنوع أن يجتمع المال في أيدي طبقة من الأمة : كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ.

ولم يكن في سنة الإسلام أن يبيح لمنكر أن يقول كما قيل كثيرًا: إنَّ الشرائع إنما توضع للفقراء ولا تسري على الأغنياء، فلو فاطمة بنت محمد سرقت لأقمت عليها الحد .. فلا نرى في هذه البيئة الكبرى حجة لمن يقول: إنَّ الدين ينشأ في البيئة لخدمة سادتها واستبقاء سيادتهم عليها، فقد كان

سادة العرب على خصلةٍ لم يشتهروا بخصلةٍ أشهر منها، وهي الكبرياء بالنسب والعصبية العربية وكان أميرهم يترفع عن مصاهرة الأكاسرة وهو تابع لهم في دولتهم؛ لأن عزة الملك لا ترفعه إلى مقام الكفاءة العربية، فلو صدق القائلون بأن الدين من إملاء السادة في بيئتهم لما خرج من هذه البيئة دين إنساني يخاطب الناس كافة ، ويستنكر المفاخرة بالأنساب والعصبيات، ويسوي بين العرب والعجم، وبين القرشي والحبشي، بل يفضل الأعجمي على العربي والحبشي على القرشي إذا فضله بالصلاح والتقوى.

ولم تأت فيه وصايا المساواة عَرَضًا في سياق وصاياه النافلة التي تستحب ولا تكره مخالفتها، والنبي ﷺ يقول: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى» ويتمم هذا الأدب الإلهي الذي لا تفاضل فيه بين الناس بغير الأعمال قد نشأ في وكر الأنساب والعصبيات، فليس في نشأته هذه ما يفسر نشوء الأديان لخدمة السادة في المجتمع واستبقاء سيادتهم عليه .

وإذا خابت وفشلت الفلسفة المادية في تفسير نشأة الإسلام بإملاء البيئة أو بإملاء السادة عليها، فإنها لأخيب من ذلك في تفسير هذه النشأة بإملاء الديانات التي سبقت الإسلام، ثم جاء الإسلام من جوف الجزيرة العربية ليعم بالدعوة أبناء آدم كافة، وكأنما قُضِيَ على الفلسفة المادية أن تبتلى بكل حجة من قبل الإسلام على أوفاها، فلا توسط بين حقيقة الإسلام وبين فروض الفلسفة المادية: دعوة عالمية من طرف تقابلها من الطرف الآخر تبعة فردية يستقل بها الإنسان في طويته، كأنه وحده عالم قائم بنفسه.

وظلت الشيوعية المادية شيوعة ماركس ولينين كذلك حتى دخلت في دور التطبيق، وحلت محل القيصرية الروسية في علاقاتها بالعالم الآسيوي داخل بلادها وعلى تخومها، فاستجد لها من أسباب العداء له سبب أقوى لديها من كل سبب؛ لأنها وجدت فيه نظامًا اجتماعيًّا يتعرض لكل مشكلة من مشكلاتها، ولم تجد مثل هذا النظام لملةٍ من الملل التي تعاملها، وتجتهد في نشر الدعاية بين أبنائها.

فالنظام الاجتماعي ـ أو السياسي ـ الذي أخذت به اليهودية قبل عشرين قرنًا لا يسري اليوم على

بقعة من الأرض، ولا يخشى منه على الدعاية الشيوعية في المستقبل، والمسيحية قد نشأت بين مزدحم الشرائع والنظم السياسية من جانب الهيكل وجانب الدولة، فتركت معترك السياسة، وقصرت دعوتها على الأخلاق والعبادات ، ولا يخفى أن العهد بالأديان العالمية التي يتبعها الملايين أنها تملك هذه الحيوية لتعيش بها في الأجيال المتعاقبة، أو تفقدها، فتنحل وتزول ويخلو مكانها لدعوة من الدعوات كيفما كانت، أو تتخبط في مكانها بين الإنكار والشك والبوار، فكانت للإسلام هذه الحيوية التي أعيت خصومه في حرب الاستعمار وحرب الإلحاد والإنكار. وشنوا عليه حملة شعواء من أشنع حملات القمع والاضطهاد ، وحملة أخرى في مثل شناعتها من حملات التشويه والتشريد مع تكميم الأفواه عن المناقشة أو الدفاع.. والغزو التنصيري والثقافي والإباحي والتمثيل والغناء وغير ذلك من الحرب .

لنرى عظم الجريمة في حق المسلمين فانظر إلى فريضة الحج في كل عام كشفت الاضطهاد الشيوعي ، فإنَّ حجاج الأمم الإسلامية كانوا يلتقون في مكة بالألوف من أبناء الأقطار الأوربية والآسيوية فلم يجاوز عددهم ثلاثين أو أربعين حاجًّا في كل مرَّة منعوا من الحج ، موسوعة الثقافة الشيوعية، فإنها وصمت الإسلام بوصمة الرجعية ومعاونة الاستغلال، واعتبرته من عقبات التقدم وموانع الحضارة العصرية، وأفردته بالعداوة التي تستحقها كل عقيدة تصلح لمنازعة المذهب المادي على ضمير الإنسان.

وما كانت الخصومة الشيوعية لتتورع عن الدعاية الرخيصة، كلما أعوزتها أسانيد الدعاية المُقَنَّعَة لأن الأديان لا توجد لتلغى وتعاد كل صباح ومساء، فإما أن توجد لتدين أمة في أجيالها المتعاقبة، أو لا توجد على الإطلاق، ولا يتصور لها وجود، وإذا كان طول الأجل مأخذًا على الدين، فالإسلام لا يؤخذ بهذا المأخذ الهزيل؛ لأنه آخر الأديان الكتابية في تاريخ الظهور.

ولا كان كذلك من وجهة المآخذ التي أحصاها الشيوعيون، وأهمها الرق وتعدد الزوجات وحدود العقاب وشروط المعاملات الاقتصادية، لم يأت بحكم من الأحكام في مسألة من هذه المسائل إلا كان فيه إصلاح للحالة التي كان عليها في عصر الدعوة ، وحض على الإصلاح في

العصور المباشرة التي تليه ، فشبهة الرق فالإسلام لم يشرع الرق ، أتى الإسلام والرق نظام معمول به بين الأمم والشعوب ومتوارثا ، وهو الذي كان مشروعًا في جميع الأديان الكتابية وغير الكتابية ، وكان الفيلسوف «أرسطو» يسوغه بآرائه الاجتماعية والسياسية، وقسم الجنس البشري إلى فريقين: فريق يعمل بعقله ومشيئته، وفريق يؤدي للفريق الأول أعماله كما تؤديها الآلات.

أما الإسلام للقضاء عليه أو الحد من انتشاره فشرع العتق وحض عليه ، وجعله من الكفارات للإفطار العمد نهار رمضان للظهار من الزوجات لليمين والقتل ، وما أباحه الإسلام من الرق لا يزال مباحًا إلى اليوم بين أمم الحضارة في حروبها، فإن الأسرى يعتقلون ويسخرون في العمل، ولا تفك قيودهم إلا بالمبادلة أو سداد الغرامة والتعويض، ولا يبيح الإسلام استرقاق الأسير في كل قتال، بل يشترط في القتال أن يعلنه الإمام مع عدو لا ذمام معه ولا معاهدة، ويأمر بمعاملة الأسرة معاملة لا يحلم بها أسير في حرب من حروب الحضارة الحديثة، وإذا كان الإسلام لا يسوي بين الأحرار والعبيد في جميع الحقوق ، فالأسرى في العصور الحديثة لا حقوق لهم ولا مساواة بينهم وبين من يأسرونهم ما داموا على ذمة الفكاك أو الفداء، وغاية الفرق بين العصر الحديث والعصر القديم أنَّ الدول في هذا العصر تتولى المبادلة على الفداء بعد معاهدة الصلح بين الغالب والمغلوب، وأما في العصور الغابرة فلم تكن للدول عناية بهذه المبادلة ولا بالتعاهد على الصلح في جميع الأحوال، ومن لم يَفْدِهِ أهله من الأسرى فلا شأن به للدولة التي كان ينتمي إليها، ولا استثناء لذلك في شرائع الحرب والسلم إلا بعد قيام الدولة الإسلامية، وتفرقتها بين الأمم المسالمة والأمم المعاهدة والأمم المقاتلة، فإن الدولة الإسلامية قد أوجبت على الإمام فكاك الأسرى من جنوده ما استطاع.

والنظام الاجتماعي الذي جاء به الإسلام قد صنع في مسألة تعدد الزوجات ما قد صنعه في مسألة الرق، حالة سيئة تعانيها المرأة من حرمان المجتمع والقانون أصلحها الإسلام ومهد لمسايرة التقدم الطبيعي الذي يأتي مع الزمن من ضروب الإصلاح.

فإن الشائع بين الغربيين والمتفرنجين من الشرقيين أنَّ الإسلام هو الدين الكتابي الوحيد الذي لم يحرم تعدد الزوجات، وذلك وهم يخالف النصوص ووقائع التاريخ، فإنَّ تعدد الزوجات بغير قيد هو القاعدة الغالبية في زواج الآباء والأنبياء الذين ذكرت زوجاتهم في كتب العهد القديم، وليس في الأناجيل نص على تحريم ما أباحه العهد القديم التوراة ، وقد أفتى القديس «أوغسطين» في كتابه عن الزواج الأمثل بإباحة التسري لمن عقمت زوجته وثبت عليها العقم ، وحرم مثل ذلك على المرأة التي يعقم زوجها؛ لأن الأسرة لا يكون لها غير سيد واحد، وكان لشرلمان أولاد شرعيون من عدة زوجات معترف بهن، وبحث المشرع المشهور «جورتيوس» موضوع تعدد الزوجات من الناحية الفقهية، فصوب شريعة الآباء في العهد القديم، وقال «وسترمارك» المؤرخ الحجة في شئون الزواج: إنَّ الكنيسة والدولة كانتا تُقِرَّان تعدد الزوجات إلى القرن السابع عشر، وكان يقع غير نادر في الحالات، التي لا تحفظ في سجلات الكنيسة أو الدولة ، ولم يوجبه على أحد لأنه أباحه، بل أوجب على الزوج أن يعدل في المعاملة إذا بنى بأكثر من زوجة يكون فيها تعدد الزوجات خيرًا من الطلاق أو من العقم ،وإنه لمن السخف أن يقال: إنَّ تطليق الزوجة المريضة أو قبول العقم أفضل في جميع الأحوال من الجمع بين زوجتين، وإنه لأسخف من هذا أن يقال: إن متاجرة المرأة بعرضها عند التفاوت بين عدد الرجال والنساء أكرم من تعدد الزوجات، وكان رأي المرأة في الزواج مهملًا لا يعتد به سواء خطبت لرجل متزوج أو غير ذي زوج، فقيد الإسلام هذه الإباحة المطلقة، وجعل للمرأة رأيًا مشروطًا في زواجها، ونبه الرجل الذي يتزوج بأكثر من واحدة إلى وجوب العدل في المعاملة فخرج منها بعقيدة احتقار الجسد، وتصوير المرأة في صورة النجاسة المحذورة؛ لأنها عنوان المتعة الجسدية والشهوات الحسية، فهبطت في معيار الأخلاق والعقائد إلى حطة النجاسة، وبقيت في معيار التشريع حيث أبقتها أم الشرائع في العصور القديمة ـ دولة الرومان ـ ولم تزد في شريعتها كثيرًا عن منزلة الرقيق المملوك الذي لا يستقل عن مشيئة رب الأسرة بحقٍ من الحقوق.

وقوام الأمر إذن أن تكون المساواة العادلة مساواة في الفرص والوسائل، فلا يحرم إنسان فرصته

لإحراز القدرة، التي تمكنه من النهوض بواجب من الواجبات، ولا يحرم وسيلته التي يتوسل بها إلى بلوغ تلك الفرصة ما استطاع من وسائل السعي المشروع.

لأنَّ الجهل كان حظًّا مشتركًا بين الجنسين ولم يكن مفروضًا على النساء وحدهن دون الرجال، ومن زعم أنَّ الرجل فرض الجهل على المرأة فقبلته وأذعنت له، فقد قال: إنه أقدر من المرأة، أو إنه أحوج إلى العلم وأحرص عليه منها ، وليس الاستبداد في القرون الأولى سببًا صالحًا لتعليل تلك الفوارق؛ لأنَّ استبداد الحكومات كان يصيب الرجل في الحياة العامة، قبل أن يصيب المرأة في حياتها العامة وليس عجز المرأة عن مجاراة الرجل في الأعمال العامة ناشئًا من قلة المزاولة لتلك الأعمال؛ لأنها زاولت أعمال البيت ألوف السنين ولا يزال الرجل يَبُزُّهَا في هذه الأعمال كلما اشتغل بصناعاتها، فهو أقدر منها على الطهو وعلى التفصيل وفنون التجميل وتركيب الأثاث وكل ما يشتركان فيه من أعمال البيوت ، وقد يرجع الأمر إلى الخصائص النفسية فيحتفظ فيها الرجل بتفوقه على الرغم من استعداد المرأة لتلك الخصائص من أقدم عصور التاريخ، فالنواح على الموتى عادة تفرغت لها المرأة منذ عرف الناس الحداد على الأموات، ولكن الآداب النسوية لم تخرج لنا يومًا قصيدة من قصائد الرثاء تضارع ما نظمه الشعراء الرجال سواء منهم الأميون والمتعلمون، وقد كان أكثر الشعراء في العهود القديمة من الأميين نعم، إنَّ المرأة في المجتمعات الحديثة تضطر إلى العمل لكسب معيشتها، إلا أنَّ هذا الاضطرار خلل في المجتمع يؤسف له ولا يغتبط به ولا يبنى عليه قوام الحاضر والمستقبل، وقديمًا كان الطفل الصغير مضطرًا إلى العمل لكسب معيشته، فلم يكن هذا فضيلة للمجتمع الذي يحدث فيه تستوجب التشجيع والإقرار، وتستقيم عليه أسس التربية والتشريع، بل كان خللًا وخيم العاقبة تتضافر الجهود على سداده وتحريمه، وتحاربه الشرائع والآداب على الرغم من الاضطرار إليه في كثيرٍ من الأحوال. . ونكتفي اليوم بهذا وقل مثل ذلك في إصلاح نظام العقوبات والاقتصاد والسلام عليكم ومن احب الاستفسار فمرحبا بذلك .

وبعد طرح الأسئلة والمناقشة تحدث الدكتور صاحب البيت عن شبهات أخرى يثيروها

الشيوعيون فقال المضيف للحاضرين :

مِن شُبه الشيوعية المعروفة إنكار وجود الله وهذه الشُّبه تتعلَّق بأصْل المذهب، والتي جعلت أساسًا يقوم عليه مذهبهم الفاسد ، لكنَّهم اجتهدوا في بثِّها للعالَم كمُسلَّمات ينبغي الأَخْذُ بها، وهي كثيرة، مِن أبرزها: رفض وجود خالق للوجود والكون والحياة والإنسان ويعرِض سؤال : هل البشر في حاجةٍ إلى أدلَّة لإثبات وجود الله تعالى؟ لا يُمكن أن نجدَ إنسانًا سليمَ العقل والفطرة يعتقد أنَّ الله يخفَى على عباده، فالعقل والكَوْن كله، وجميع المخلوقات مِن ناس وجماد، وساكِن ومتحرِّك، كلها تدلُّ على وجود الله – سبحانه وتعالى – وتشْهَد بقُدرته وحِكمته، ولطفه وعظمته، وجميع ذرَّات هذا الكون؛ ولهذا فلسْنا في حاجة إلى الإتيان بحشود الأدلَّة على وجوده، فهو أمْر فطري، وفي كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيِّه – ﷺ – ما يَشْفي ويَكْفي لِمَن عنده أدْنى شك في وجود المولَى – ﷻ – ومِن العجيب أن يستدلَّ الملاحدة على إنْكار وجود الله تعالى بأدلَّة، هي أقوى الأدلَّة على وجوده وخلْقه لهذا الكون وتدبيره له.

ويزعمون أن المجتمع قام على الشيوعية في بدايته والرد أن هذه خرافة وادعاء كاذب : وهذا ما هو إلا افتراض وظنون، لا يملكون على صحَّتها أي دليل صحيح، بل كل شيء يُكذِّبهم.

ويعتقدون أنَّ البشر كانوا بمنزلة البهائم في بدايتهم: ويعتمدون على أبحاث داروين وهذا هو الظُّلم والكذِب على البشريَّة بعيْنه، وردٌّ صريح لكلِّ ما يثبت في الأديان السماوية مِن تكريم الله تعالى للبشَر، ورفْعهم عن منزلة الحيوانات البهيميَّة.

زعَم الملاحدة أنَّ الناس في الشيوعية الأولى كانوا يعيشون عيشةً متساوية لا فرْق بينهم: وهو افتراض ينقُصه الدليل، فمِن أين لهم أنَّهم ما كانوا يشعرون بالفوارقِ فيما بينهم؟! وأقل ما فيها فوارق في الذَّكاء، فوارق في إتْقان العمل، فوارق في القوَّة الجسديَّة والنفسية، وفوارق في الشجاعة، وفوارق في المال، إلى آخر الفوارق التي لا يجهلها أيُّ إنسان سليم العقْل.

موقِف الإسلام من الشيوعيَّة هو الرفْض التام لكلِّ الأسس الفكرية التي انبثقتْ عنها الشيوعية، مثل: إنكار وجود الله تعالى، وتفسير تاريخ البشريَّة من خلال مفهوم الصِّراع الطبقي، ومحاربة

الأديان، ومحاربة المِلْكية الفردية، والمناداة بأزلية المادة، وأنَّ العوامل الاقتصادية هي المحرِّك الأوَّل للأفراد والجماعات، ويلخِّص هذا الرفْضَ التام للشيوعيَّة موقفُ الأمَّة من الشيوعيَّة في فتوى أصْدرها كبارُ علماء الأمَّة الإسلامية من خلال المجْمع الفقهي بتاريخ: ١٧/ ٨/ ١٣٩٨هـ، بعد أن تبيَّن لنا أنَّ الشيوعية مذهب كُفري باطل، بل يُعدُّ أحطَّ المذاهب الكفرية على مدار التاريخ، نأتي إلى حُكم الانتماء إلى ذلك المذهب مِن خلال فتوى المجمع الفقهي الإسلامي، فلقد عُرِض موضوع الشيوعيَّة على مجلس المجْمع في دورته الأولى المنعقدة في ١٠- ١٧/ ٨/ ١٣٩٨هـ، وبعد أنِ استعرض المجلس ذلك الموضوع، أصْدر فيه قرارًا بيَّن فيه حُكم الشيوعية والانتماء إليها، وهذا نصُّه: الحمد لله، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعده، وبعد: فإنَّ مجلس المجمع الفِقهي درس فيما درسَه من أمور خطيرة (موضوع الشيوعيَّة والاشتراكية)، ... ولقدْ رأى المجمع الفقهي أنَّ كثيرًا من الدول في العالَم الإسلامي تُعاني فراغًا فكريًّا، وعقائديًّا، خاصَّة أنَّ هذه الأفكار والعقائد المستوردة قد أُعِدَّتْ بطريقة نفذت إلى المجتمعات الإسلامية، وأحْدثت فيها خللاً في العقائد، وانحلالاً في التفكير والسُّلوك، وتحطيمًا للقِيَم الإنسانية، وزعْزعة لكلِّ مقوِّمات الخير في المجتمع. وإنه ليبدو واضحًا جليًّا أنَّ الدول الكبرى على اختلاف نُظُمها واتجاهها قد حاولتْ جاهدةً تمزيقَ شمل كل دولة تنتسب للإسلام؛ عداوةً له، وخوفًا من امتدادِه، ويقظةِ أهله. لذا ركَّزت جميعُ الدول المعادية للإسلام على أمرين مهمَّين: هما العقائد والأخلاق؛ ففي ميْدان العقائد شجَّعت كلَّ مَن يعتنق المبدأ الشيوعي المعبِّر عنه مبدئيًّا عند كثيرين بالاشتراكية، فجنَّدَتْ له الإذاعات والصحف، والدعايات البرَّاقة والكتَّاب المأجورين، وسمَّتْه حينًا بالحريَّة، وحينًا بالتقدميَّة، وحينًا بالديمقراطيَّة، وغير ذلك من الألفاظ.

وسَمَّتْ كلَّ ما يضاد ذلك من إصلاحات ومحافظة على القِيَم والمُثل السامية، والتعاليم الإسلامية: رجعيةً، وتأخُّرًا وانتهازية، ونحو ذلك. وفي ميْدان الأخْلاق دعتْ إلى الإباحية، واختلاط الجِنسين، وسمَّت ذلك - أيضًا - تقدُّمًا وحريَّة، فهي تعرِف تمام المعرفة أنَّها متى قضَتْ على الدين والأخلاق، فقد تمكَّنت من السيطرة الفِكرية والمادية والسياسية.

وإذا ما تمَّ ذلك لها تمكَّنت مِن السيطرة التامَّة على جميعِ مقوِّمات الخير والإصلاح، وصرَّفتْها كما تشاء، فانبثق ذلك الصِّراعُ الفكري، والعقائدي والسياسي، وقامتْ بتقوية الجانبِ الموالي لها، وأمدَّتْه بالمال والسلاح، والدِّعاية؛ حتى يتمركزَ في مجتمعه، ويسيطرَ على الحُكْم، ثم لا تسأل عما يحدُث بعد ذلك من تقتيلٍ وتشريد، وكبْت للحريات، وسجْن لكلِّ ذي دِين، أو خُلُق كريم.

ولهذا لَمَّا كان الغزو الشيوعي قد اجتاح دولاً إسلاميَّة لم تتحصَّن بمقوماتها الدينية والأخلاقية تُجاهَه، وكان على المجْمع الفقهي في حدود اختصاصه العِلمي والدِّيني أن ينبَّه إلى المخاطِر، والتي تترتَّب على هذا الغزو الفكري، والعقائدي والسياسي الخطير الذي يتمُّ بمختلف الوسائل الإعلامية والعسكرية، وغيرها، فإنَّ مجلس المجمع الفقهي الإسلامي المنعقِد في مكة المكرَّمة، يُقرِّر ما يلي:

يرى مجلس المجمع لفت نظر دول وشعوب العالم الإسلامي إلى أنه من المسلَّم به يقينًا أنَّ الشيوعية منافيةٌ للإسلام، وأنَّ اعتناقها كفْر بالدِّين الذي ارْتضاه الله لعباده، وهي هدْم للمُثل الإنسانية، والقِيَم الأخلاقية، وانحلال للمجتمعات البشريَّة. وفي مؤتمر الحِزب الشيوعي، الذي عُقِد في موسكو في ٢٨/ ٦/ ١٩٨٨م دعَا جورباتشوف إلى إصلاحات جذريَّة في الشؤون السياسية والاقتصادية للاتحاد السوفيتي، كما انتقد سياسةَ ستالين وبريجنيف، التي حجَرَتْ على الفِكر في الاتحاد السوفيتي – وصدَق الله إذ يقول: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

قدم لنا شراب الحلبة ثم تأجل الحديث عن محاربة الشيوعيين واليساريين للإسلام لليلة التالية وكان ذلك ورافقت زميلي مرة أخرى وبعد ترحيب المضيف بطلبة الجامعة والضيوف بدأت الجلسة ونحن نتناول اكواب الشاي المصري الثقيل إلى حد ما

قال المضيف اسمعوا وعوا : فإنَّ الرِّفاق الذين يراقبون حركةَ الدِّين في الاتحاد السوفيتي صرَّحوا – كما تذكر مجلَّة (العلم والدين) الروسية في عددها الصادر في أوَّل كانون الثاني من سنة ١٩٦١م – بما نصُّه: إنَّنا نواجه في الاتِّحاد السوفييتي تَحدِّياتٍ داخليَّة في المناطِق الإسلامية، وكأنَّ مبادئ

لينين لَم تتشرَّ بْها دِماءُ المسلمين. ولهذا جاء في الوثيقة بيانٌ للبنود التي يجِب على الشيوعيِّين محاربةُ الإسلام من خلالها، أختارُ بعضًا منها: أولا : عليكم مهادنة الإسلام والمسايرة ؛ لتتمَّ الغلبةُ عليه، والمهادنة لأَجَل؛ حتى نضمنَ السيطرة، ونجتذبَ الشعوب العربية للاشتراكية أولا لبحجة تحسين أوضاع البسطاء والفقراء وان لهم حق في ثروة الأغنياء ومصانع الأغنياء

وثانيا : علينا تشْويه سُمعة رِجال الدِّين والشخصيات البارزة في العلم ، وتشويه سمعة الحكَّام المتدينين، واتِّهامهم بالعمالة للاستعمار والصِّهْيونيَّة وان تدينهم لخداع الجماهير بحضورهم المؤتمرات الدينية وحضور صلاة الجمعة والذهاب للعمرة والحج .

والأمر الثالث : تشجيع تعميم دِراسة الاشتراكية في جميع المعاهِد، والكليات، والمدارس في جميع المراحِل، ومزاحمة الإسلام ومحاصرته؛ حتى لا يصبح قوَّة تهدِّد الاشتراكية.. والدفع بأن الاشتراكية افضل مئات المرات من الرأسمالية الاستعمارية

وأيضا الحيلولة دون قيام حرَكات دينيَّة في البلاد وأحزاب نفسها إسلامي ولو ضعيفة ، مهما كان شأنُها ضعيفًا، والعمل الدائم بيقظة لمحوِ أيِّ انبعاث دِيني، والضَّرْب بعُنف لا رحمة فيه لكلِّ مَن يدعو إلى الدين، ولو أدَّى إلى الموت! وهذه الفقرة في دول آسيا الإسلامية ، ومع هذا لا يغيب عنَّا أنَّ للدِّين دورَه الخطير في بناء المجتمعات ، ولقد رأيتم ما صنعت فرنسا في الجزائر بقرن ونصف ولم تغير دين الناس ، فالأمر ليس سهلا ؛ ولذا وجَب أن نحاصرَه من كلِّ الجهات، وفي كلِّ مكان، وإلْصاق التُّهم به، وتنفير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينمُّ عن معاداة الإسلام. وعلينا في محاربة الإسلام تشجيع الكُتَّاب الملحدين واللادينيين ، وإعطاؤهم الحريَّةَ كلها في مواجهة الدِّين، والشعور الدِّيني، والضمير الدِّيني، والعبقرية الدِّينية، والتركيز في الأذهان على أنَّ الإسلام انتهى عصرُه.. ونحن أبناء القرن العشرين وأن الإسلام دين البدو والصحراء والخنوع والخضوع لسلطة رجال الدين واسيادهم من الحكام والاستعمار .

وكذلك قطْع الروابط الدِّينية بيْن الشعوب قطعًا تامًّا وان الحج والكعبة عبادة للحجارة والحجر الأسود ، وإحلال الرابطة الاشتراكية محلَّ الرابطة الإسلامية، التي هي أكبرُ خطرٍ على اشتراكيتنا

العلميَّة. إنَّ فصم روابطِ الدِّين ومحو الدِّين لا يتمَّان بهدْم المساجد والكنائس؛ لأنَّ الدين يكمن في الضمير، والمعابِد مظهرٌ من مظاهر الدين الخارجية، والمطلوب هو هدْم الضمير الدِّيني.

وعلينا مُزاحَمة الوعي الدِّيني بالوعي العِلمي، وطرْد الوعي الدِّيني بالوعي العِلمي والتقدم الصناعي والتكنولوجي

ولِخداع الجماهير بأنْ نزعم لهم أنَّ المسيح المنتظر لدى الطوائف المختلفة اشتراكي، وإمام الاشتراكية؛ فهو فقير، ومِن أسرة فقيرة، وأتباعه فُقراء كادحون، ودعَا إلى محاربة الأغنياء، وهذا يُمَكِّننا من استخدام المسيح نفسِه؛ لتثبيت الاشتراكية لدَى المسيحيِّين. ونقول عن محمَّد: إنَّه إمام الاشتراكيِّين؛ فهو فقير، وتَبِعَه فُقراء، وحارَب الأغنياء المحتكِرين، والإقطاعيِّين، والمرابين، والرأسماليين وثارَ عليهم .. ونذكرهم بابِي ذر الاشتراكي المسلم الأول .

وهذا مما طفح من خططهم وحيلهم ومكرهم واذكر هنا مِن جرائمِ الشيوعيِّين التي أنزلوها بالمسلمين صورُ التعذيب، وأفانينه العجيبة، فمِن ذلك ما حلَّ بمسلِمي تركستان الشرقية، عندما رفَضُوا إلحاديةَ ماركس، التي منها:

١ - دقُّ مساميرَ طويلة في رأس المُعذَّب، حتى تصل إلى مُخِّه.

٢- صبُّ البترول على المُعذَّب، ثم إشْعال النار فيه حتى يحترِق.

٣- جعْل المسجون المعذَّب هدفًا لرَصاص الجنود الذين يتدرَّبون على تسديد الأهداف.

٤- حبْس المعتقَلِين في سجون لا تدخل إليها الشمس، ولا ينفذ منها هواء، وتجويعهم حتى الموت.

٥- وضْع خوذات معدنيَّة على رأس المعذَّب، وإمرار تيَّار كهربائي فيها؛ لاقْتلاع العيون.

٦- ربْط رأس المعذَّب في طرْف آلة ميكانيكية، وربْط باقي الجسم في آلة أخرى، ثم تحريك كلٍّ مِن الآلتين في تباعُد وتقارب شدًّا وضغطًا على المُعذَّب، حتى يعترفَ على نفسه وغيره، أو يموت.

٧- كيُّ كلِّ عضوٍ من الجِسْم بقطعة من الحديد المحْمِي إلى درجة الاحمرار يقول إنجلز: إذا لم

يكن المناضِل الشيوعي قادرًا على أن يغيِّر أخلاقه وسلوكه وَفقًا للظروف مهما تطلَّب منه ذلك من كذِب، وتضليل، وخداع – فإنَّه لن يكون مناضلاً ثوريًّا حقيقيًّا.

أرأيتم إجرام الشيوعيين في مسلمي أسيا وغيرها ؟! أهذا فعل البشر ؟ ويدعون الحرية والديمقراطية ، وقد خطَّطوا للمرأة، واستطاعوا أن يجعلوا مِن البعض منهنَّ أُلعوبةً في أيديهم، رائدات للشيوعية في العالَم الإسلامي، داعيات إليها بطُرق مباشرة أو غير مباشرة، وتشربها الكثير من الغافلات والمغترَّات بتلك الدعوات باسمِ الحرية، فانسقْنَ خلفها، وضاعتْ هُويَّة المرأة المسلمة. صار الإسلام على يدِ الشيوعيِّين وأتباعهم اشتراكيًّا في الجزائر، واشتراكيًّا دستوريًّا في تونس، وملكيًّا دستوريًّا في المغرب.. وليبيا واليمن الجنوبي حقا أن افعالهم يندى لها الجبين ولا تمت للإنسانية بشيء .. السادية مخيفة ومرعبة .. لا يعرف العاقل بماذا يصف هؤلاء الوحوش ولعلهم فاقوا هتلر بمعسكرات الاعتقال وشكرا لكم وبارك الله لكم .

قال لي رفيقي : أتعلم أنهم يقدسون لينين حتى كأنه نبي مرسل مع أنه مجرم عتيد وقتل في زمنه ما يقارب المليون روسي خلال الحرب الأهلية عندما استولى على الثورة .

ـ لا أحد يتحدث عن ذلك

ـ حتى أنه تعرض للاغتيال وكاد يموت فورا ومات بعد سنوات قليلة متأثرا بذلك الرصاص .. لقد كان أسوأ من هتلر النازي .. ولكن كما يقال التاريخ يكتبه المنتصر ولكن إلى حين سأعطيك مذكرة عن لينين زعيم البلاشفة الأول .

ناقشت الرسالة واخذت استعد لوداع الأساتذة والزملاء ومعارف العامين عندما تلقيت رسالة الزميل صالح التي فيها معلومات عن مؤسس الاتحاد السوفيني المحامي لينين .وكان فيها :

فلاديمير لينين : هو أبو الدولة السوفيتية، وُلد في عام ١٨٧٠ وتخرّج محامياً لكنه أصبح ثورياً وعندما قرأ كتب ماركس وأنجلز تغيّر نمط حياته فأصبح رجلاً ماركسياً متأثراً بالماركسية وبدأ نشاطاته الثورية ضد الإمبراطورية الروسية وإقامة دولة شيوعية ، وعندما قامت الثورة ضد القيصر نيقولاي الثاني تمكن الثوار من تحقيق النصر فقامت حكومة روسية مؤقتة

وكان فلاديمير لينين يريد الوصول إلى سدة الحكم وإقامة دولة روسية شيوعية تتبع النظام الاشتراكي فقام البلاشفة عام ١٩١٧ بالثورة التي عُرفت بالثورة البلشفية تحت إمرة لينين ، تمكن البولشيفيك من القضاء على الحكومة الروسية المؤقتة وقيام جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية الاشتراكية وأصبح لينين زعيماً لروسيا وكان مساعده الأول في الثورة ليون تروتسكي ، قد تعرّض لمحاولة اغتيال برصاصتين وأصيب برأسه ولكنه لم يستسلم ، أصبح لينين قائد الدولة السوفيتية في الحرب الأهلية الروسية وتحقق الانتصار لصالح لينين ، قام الأطباء بعمليات جراحية وتمكّنوا من إخراج رصاصة واحدة أما الأخرى فبقيت ولم يستطيعوا إخراجها فتعرّض لينين إلى جلطات دماغية وكانت آخر واحدة هي القاتلة فتوفي لينين عام ١٩٢٤ ، وأُقيمت جنازة كبيرة له وتم تحنيطه ووضعه في الضريح واعتبر ضريحه جزءاً من الساحة الحمراء. وأصبحت محجا لاتباع الشيوعية الروسية .

ولد فلاديمير أوليانوف المعروف بلينين في مدينة سيمبرسك ، وبعد أن أنهى المدرسة دخل كلية الحقوق في جامعة مدينة قازان، إلا أنه فصل من الجامعة بسبب مشاركته في مظاهرات الطلاب، بعد إعدام أخيه ألكسندر بسبب مشاركته في تنظيم محاولة اغتيال القيصر ألكسندر الثالث .

عاد لينين إلى مدينة قازان وانضم إلى إحدى الجمعيات الماركسية فيها، وفي عام ١٨٩٣ انتقل لينين إلى العاصمة سانت بطرسبرغ وبدأ بتأليف كتب في موضوع علم الاقتصاد الماركسي وتاريخ حركة الفلاحين والعمال في روسيا .وتتواصل محطات حياة لينين مع اعتقاله بسبب نشاطه السياسي الماركسي. فتم نفيه إلى سيبيريا لمدة عام، وتمكن هناك من تخصيص فترات طويلة من وقته للكتابة إلى المفكرين الشيوعيين في أوروبا .وفي عام ١٩٠٠ سافر لينين إلى سويسرا وبقي خارج روسيا حتى عام ١٩٠٥ . وخلال هذه الفترة تم اختياره لزعامة حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي الذي تكوّن في عام ١٨٩٨ .

لم يمارس لينين مهنة المحاماة بعد حصوله على الرخصة القانونية التي تؤهله، في ٧ ديسمبر

١٨٩٥ ، تم إلقاء القبض عليه وتوقيفه لمدة عام كامل وفي يوليو من عام ١٨٩٨م تزوج لينين من الاشتراكية ناديجدا كروبسكايا وفي أبريل من عام ١٨٩٩م تمكن لينين من إصدار كتابه المعنون بـتطور الرأسمالية في روسيا .ومع نهاية مدة نفيه في سيبيريا عام ١٩٠٠م وعمل على إنشاء الصحيفة الاشتراكية اسكرا كما عمل على نشر الكتب المتعلقة بالعمل الثوري. كان لينين من الأعضاء النشطين في حزب العمل الاشتراكي الاجتماعي حيث تولى في عام ١٩٠٣م زعامة الحزب البلشفي. وتم اختياره لزعامة حزب العمل الاشتراكي الاجتماعي عام ١٩٠٦م وانتقل إلى العيش في فنلندا عام ١٩٠٧لدواعي أمنية.

توفي والده وهو في السادسة عشرة، وفي السنة التالية أعدم أخوه ألكسندر شنقاً بتهمة الاشتراك في مؤامرة لاغتيال القيصر، وقد تركت هذه الحادثة أبلغ الأثر في نفسه وخصوصاً كلمات أخيه أثناء المحاكمة، إذ اعترف بما نسب إليه قائلاً :إنه أراد قتل القيصر لأنها الوسيلة الوحيدة لتحقيق الحرية السياسية للشعب الروسي ، أنهى لينين دروسه الثانوية بامتياز وحصل على الميدالية الذهبية ،وفي الخريف انتسب إلى جامعة قازان ولكنه طرد منها بسبب تزعمه لفئة احتجت على انعدام الحرية في الجامعة.

بعد قبول جامعة بترسبورغ طلبه للانتساب إليها شرط عدم حضور الدروس، والاكتفاء بالمجيء إلى الحرم الجامعي في نهاية السنة الدراسية للاشتراك في الامتحانات حصل لينين على شهادة الحقوق عام ١٨٩١ ثم بدأ العمل في مكتب للمحاماة في سامارا. وفي تلك الفترة راح يقرأ كتابات كارل ماركس بعمق حتى العام ١٨٩٣ حين انضم إلى منظمة ماركسية تدعى الديمقراطية الاجتماعية وما لبث أن عاد إلى بترسبورغ حيث تولى قيادة تلك المنظمة.

توفي القيصر الكسندر الثالث عام ١٨٩٤ فخلفه ابنه نيقولا الثاني ، أما لينين فقد أمضى معظم العام ١٨٩٥ في فرنسا وألمانيا وسويسرا حيث التقى معظم الماركسيين النشطين هناك .

عاد لينين خلال ثورة عام ١٩٠٥ إلى وطنه ليشارك في التمرد ضد الحكومة، وفي عام ١٩٠٨ توجه مرة أخرى إلى سويسرا وبعد ذلك سافر إلى باريس، وفي عام ١٩١٦ بعد انقسام شهده

حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي ترأس لينين الحزب البلشفي .ومع نشوب الحرب العالمية الأولى دعا لينين إلى تحويل الحرب العالمية إلى حروب أهلية ضد حكومات رأسمالية في الدول الأوروبية، وبعد انتهاء الحكم القيصري في روسيا بانتصار ثورة فبراير ١٩١٧ وتولي الحكومة المؤقتة السلطة في البلد سمحت ألمانيا للينين مع مجموعة من أنصاره بالعودة إلى روسيا .وفي أكتوبر عام ١٩١٧ قاد لينين ثورة أدت إلى تولي الحزب البلشفي السلطة في البلد ونشوء الحرب الأهلية .بعد هذه الأحداث وتكوين الدولة السوفيتية واجه لينين خطر الغزو الألماني ووقع اتفاقية سلام مع حكومة برلين، وفي عام ١٩١٨ تعرض لينين لمحاولة اغتيال من قبل «فانيا كابلان» التي كانت تنتمي لأحد الأحزاب المعارضة للينين حيث أصابته بـ ٣ رصاصات استقرت في كتفه ورئتيه لكن الموت لم يدركه، وسرعان ما أخذت محاولة الاغتيال وهموم إدارة الدولة نصيبها من صحة لينين فأصيب بالعديد من الجلطات القلبية التي أفقدته القدرة على النطق فأبعدته عن الحياة السياسة ليفارق بعدها الحياة وذلك في عام ١٩٢٤.

وفي ١٦أبريل ١٩١٧ عاد لينين مرة أخرى إلى روسيا عقب الإطاحة بالقيصر الروسي نيقولا الثاني وتبوّأ مكانته من بين البلاشفة في روسيا ونشر في صحيفة الـبرافدا أطروحة أبريل التي تروي وجهة نظر لينين في كيفية إدارة روسيا سياسياً. وبعد الثورة العمالية الفاشلة في يوليو من نفس العام اضطر لينين للمغادرة إلى فنلندا مرة أخرى لدواعي أمنية ومن ثم عاود الرجوع إلى روسيا في أكتوبر مدججاً بالسلاح ليقود الثورة ضد حكومة كيرنسكي المؤقتة.

أول محاولة للينين لتصدير الاشتراكية الثورية كان عن طريق غزو بولندا بعدما قامت الثانية بغزو أوكرانيا في الماضي . وتمثل الفكر اللينيني في تصدير الثورة إلى غرب أوروبا إلى فرنسا وألمانيا بالاستعانة بالجيش الأحمر مروراً ببولندا عام ١٩٢٠

وبسبب الثورات المضادة لم تتم عملية تصدير الثورة إلى أوروبا الغربية، لم يكن النفي إلى سيبيريا سجنا بكل معنى الكلمة فقد كانت الحكومة تدفع للمنفيين علاوة شهرية بسيطة، وكانوا يختارون مكان إقامتهم ضمن حدود معينة. وقد اختار لينين بلدة شوشانسكايا في آباكان،

وأمضى فترة النفي في الكتابة بعد زواجه من ناديا كروبسكايا عام ١٨٩٨ التي كانت هي الأخرى منفية بسبب نشاطاتها السياسية. وأهم ما كتبه هناك تطور الرأسمالية في روسيا .في تلك الأثناء اتحدت معظم الحركات الماركسية السرية في روسيا وشكلت حزب «العمل الديمقراطي الروسي»، ومنها الحركة التي انتمى إليها فلاديمير لينين.

بعد انتهاء مدة نفيه في مطلع عام ١٩٠٠ غادر لينين إلى ألمانيا للمساعدة في إصدار جريدة الحزب الشرارة ثم جريدة الفجر وكانتا ممنوعتان وتوزع أعدادهما بعد تهريبها إلى روسيا. وهناك بدأ فلاديمير إيليانوف يستعمل اسم لينين، كما فعل سواه من الكتاب الذين اتخذوا أسماء مستعارة لتضليل بوليس القيصر السري. خلال ذلك انقسم الحزب إلى جماعتين: البلشفيين – ومعناها بالروسية الأكثرية – والمانشيفيين – الأقلية – بسبب التنظيمات الداخلية للحزب، وأهمها رغبة البولشفيين في اقتصار الانتماء إلى الحزب على المناضلين الثوريين، ورغبة الأقلية في أن يكون باب الانضمام مفتوحاً أمام الجميع.

مع بداية العام ١٩٠٠ بدأت تتكون في روسيا نقمة عارمة ضد القيصر بسبب تردي الأوضاع على كافة الأصعدة. وارتفعت المطالبات بمزيد من الحريات السياسية، السماح للفلاحين بزراعة الأراضي التي يمتلكها الإقطاعيون، زيادة أجور العمال وتحسين ظروف العمل، إنهاء الحرب ضد اليابان. وفي يوم الأحد ٢٢ يناير ١٩٠٥ نظم كاهن أرثوذكسي يدعى جورج غابون مظاهرة اشترك فيها أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ مواطن في بترسبورغ. وكانت مظاهرة سلمية تهدف إلى ايصال المطالب الشعبية إلى القيصر. ولكن رجاله أطلقوا النار على المتظاهرين وقتلوا عدة مئات منهم. وكانت تلك هي الشرارة التي أشعلت الثورة الروسية وامتدت، على درجات متفاوتة من الحدة، حتى سقوط النظام القيصري في عام ١٩١٧م.

وحين أصدر الحزب صحيفة البرافدا – تعني بالعربية الحقيقة – كانت مقالات لينين تشكل القسم الأكبر منها.

في الأول من أغسطس عام ١٩١٤م أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا. وبحلول العام ١٩١٧ كان

الشعب الروسي يئن تحت وطأة الفاقة والعوز، وبدا أن المجاعة على الأبواب. وظهر نقص في المواد الغذائية على اختلافها حتى الخبز. والحكومة عاجزة عن عمل أي شيء. العمال يضربون عن العمل وصفوف النسوة تطول أمام الأفران يوماً بعد يوم. وبدأت المظاهرات العارمة، ورفض الجنود هذه المرة تنفيذ أوامر قياداتهم بإطلاق النار، ما اضطر القيصر إلى التنازل عن العرش وتسليم السلطة إلى حكومة برئاسة الأمير جورج ليفوف في ١٥ مارس ١٩١٧م.

عاد لينين إلى روسيا وكذلك معظم قيادات الحزب البولشيفي الذين كانوا منفيين إلى سيبيريا. وفي ١٦ إبريل عام ١٩١٧م وصلوا إلى بتروغراد واستقبلوا استقبال الأبطال. طالب لينين بإنهاء الحرب ضد ألمانيا فوراً وبأن تعود ملكية الأراضي إلى الدولة وبإسقاط حكومة ليفوف. واستطاع استعادة زمام قيادة الحزب البولشفي إلا أنه لم يتمكن من الوصول إلى السلطة. في تموز شكلت حكومة جديدة برئاسة الكسندر كيرينسكي، وأصدرت أمراً بإلقاء القبض على لينين بتهمة العمالة للألمان. فغادر إلى فنلندا حيث كتب واحداً من أهم أعماله الدولة والثورة وفيه شرح كيفية تنظيم الثورة ونوع الحكومة التي يجب أن تتولى السلطة بعد إسقاط الحكم القائم. ثم أرسل كتاباً إلى الهيئة المركزية للحزب البولشيفي معلناً أن زمن الخطابات قد ولى وحان وقت العمل الثوري قائلاً: إن التاريخ لن يغفر لنا إذا لم نستعد السلطة الآن.

عاد لينين إلى بتروغراد في أكتوبر عام ١٩١٧ ودعا الهيئة المركزية للحزب إلى إعلان الثورة حالاً. كانت حكومة كيرينسكي ضعيفة، وكان ليون تروتسكي أحد القادة البارزين في الحزب يحظى بولاء مجموعات كبيرة من الجنود. وأعلن بعض فرق البحرية تأييد الثورة. وهكذا قرر البلاشفة التحرك. سقطت بتروغراد بأيديهم دون مقاومة تذكر – ٧ نوفمبر، الموافق ٢٥ أكتوبر حسب التقويم الشرقي – في موسكو كانت المقاومة أشد إلا أن البلاشفة سيطروا على المدينة في أقل من أسبوع. وهكذا صارت كل الروسيا تحت سلطتهم. واستطاعوا اكتساب ثقة الأهالي بالشعار البسيط الذي رفعوه :الخبز والسلام والأرض للجميع.

اجتمع مجلس السوفييت -فروع الحزب – الأعلى في ٨ نوفمبر ١٩١٧م وضم ممثلين عن كافة

الأقاليم الروسية. وانتخبوا مجلس مفوضي الشعب الذي انتخب لينين رئيسا له. وهكذا صار فعلياً رئيس الدولة الروسية. وفي الاجتماع الأول سأل لينين المجلس أن يعطيه تفويضاً بإعلان إنهاء الحرب ضد ألمانيا وبإلغاء الملكية الفردية. فوافق المجلس على الشأنين. وهكذا بدأت مفاوضات السلام مع ألمانيا وبدأ العمل على إلغاء الملكية الخاصة للأراضي وإلحاقها بممتلكات الدولة. ليتم فيما بعد توزيعها على الفلاحين.

لم تكن السنوات الأولى لحكم لينين سنوات سهلة. فالجيش كان مشتتاً بسبب الحرب والقوات الألمانية تتقدم على الجبهات فيما أعداء البلاشفة يتكتلون للإطاحة بهم. بذل لينين جهوداً جبارة لإنهاء الحرب مع ألمانيا مقدماً بعض التنازلات في المقاطعات التي كانت تحت حكم القياصرة كفنلندا وبولندا. وهكذا وقعت معاهدة السلام في بريستيلوفسك يوم ٣ مارس ١٩١٨م. وفي العام نفسه طلب لينين تغيير اسم الحزب من حزب العمل الديمقراطي الاجتماعي الروسي إلى الحزب الاشتراكي الشيوعي الروسي .في شهر أغسطس تعرض لينين لمحاولة اغتيال فأُصيب برصاصتين ولكنه نجا من الموت، إلا أن واحدة منهما بقيت في عنقه. بدأ المعارضون للحكم الاشتراكي بالقيام بأعمال العنف في المدن وتحولت تلك الأعمال إلى ما يشبه الحرب الأهلية في الأرياف. ولكن المعارضين كانت تنقصهم وحدة الهدف والرؤية فاستطاعت الحكومة القضاء على تمردهم بحلول العام ١٩٢٠م حيث كانت تنتظر الحكومة معركة هامة على الصعيد الخارجي. يعد لينين من أهم المفكرين في العصر الحديث الذين تناولوا نظرية الاستعمار – وقد تناول لينين نظرية الاستعمار كوسيلة لنقد النظرية الليبرالية والدول الرأسمالية، حيث يبدو جليا أنه لم يسعَ لتوضيح موقفه من الاستعمار أو تحديد أسباب الاستعمار بقدر ما سعى لربط الاستعمار بالدولة الرأسمالية، وبرز ذلك في جملته الشهيرة والتي جعلها عنوانا لكتابه «الإمبريالية أعلى درجات الرأسمالية». – رأى لينين أن الدول الرأسمالية تتحول تدريجيا من المنافسة والفرص المتساوية والسوق الحر إلى الاحتكار، حيث تبدأ الدول الرأسمالية بقواعد المنافسة الحرة والفرص المتساوية للجميع ثم بعد ذلك تتحول تدريجيا إلى الاحتكار وهي المرحلة

التي فيها تتركز الثروة في يد عدد قليل جدا من الأفراد وهم أيضا الذين يتولون السلطة ثم تتسع الهوة بين هذه الطبقة وبين طبقة العمال التي تمثل غالبية المواطنين والذين يصلوا لحد خطير من الفقر - ومع توسع الدول الرأسمالية في الإنتاج تظهر إشكالية جديدة تتمثل في الحاجة لأسواق جديدة لتصريف المنتجات والحاجة أيضا لمواد خام بأسعار منخفضة وأيدي عاملة بأسعار زهيدة وهنا تتجه الدول الرأسمالية الكبرى إلى الاستعمار والبحث عن مستعمرات لها لفرض عليها حمايتها والحصول منها على المواد الخام بتكاليف منخفضة أو ربما بدون تكاليف ثم تكمل التصنيع في بلادها وتعيد تصريف المنتج النهائي في المستعمرات بأسعار مرتفعة. - وقد ربط لينين بين فكرة الاستعمار هذه وبين الحرب العالمية التي تجري بين الدول حيث أشار إلى أن وجود أكثر من دولة رأسمالية في النظام الدولي يترتب عليها وصولهم جميعا إلى مرحلة الحاجة لمستعمرات لتصريف فيها المنتجات وبالتالي يتولد صراع وخلافات بين هذه الدول الكبرى للسيطرة على المستعمرات وبالتالي تحدث الحرب العالمية بين الدول، وكان لينين متأثرًا بالحرب العالمية الأولى التي وقعت بين الدول الرأسمالية في هذا التحليل. علاقته بالدين

لم يكن لينين يهتم كثيرا بالشؤون الدينية ونادرا ما كان يتحدث عن الأديان لكنه أعطى حرية العبادة للمتدينين وقد تبين ذلك في نص ورسالة وجهها إلى المسلمين في ٢٤ نوفمبر ١٩١٧ جاء فيها: يا أيها المسلمون بروسيا وسيبيريا وتركستان والقوقاز ... يا أيها الذين هدم القياصرة مساجدهم وعبث الطغاة بمعتقداتهم وعاداتهم أن معتقداتكم وعاداتكم ومؤسساتكم القومية والثقافية أصبحت اليوم حرة مقدسة، نظموا حياتكم القومية بكامل الحرية وبدون قيد فهي حق لكم. وأعلموا أن الثورة العظيمة وسوفياتات النواب والعمال والجنود والفلاحيين تحمي حقوقكم وحقوق جميع شعوب روسيا. وقد تم وضع برنامج ضخم لما يمكن أن يطلق عليه اليوم "التمييز المضـــاد"، سُمي بالكورنيزاتسيا، أي إحلال السكان المحليين محل المستوطنين الروس. وقد بدأ بطرد المستعمرين الروس والقوزاق والمتحدثين باسمهم من الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في تلك المناطق. وتوقفت اللغة الروسية عن

الهيمنة، وعادت اللغات المحلية إلى المدارس وإلى الحكومة وإلى المطبوعات. وقد تمت ترقية السكان المحليين ليشغلوا مناصب في الدولة وفي الأحزاب الشيوعية المحلية وأعطوا أولوية حتى عن الروس في التعيينات. وقد أُنشئت جامعات لتدريب جيل جديد من القادة غير الروس.

أيضا أُعيدت الآثار والكتب الإسلامية المقدسة التي نهبتها القيصرية إلى المساجد .وقد تم تسليم القرآن الكريم المعروف بقرآن عثمان في احتفال مهيب إلى المجلس الإسلامي في بتروجراد في ٢٥ديسمبر سنة ١٩١٧. وقد أُعلن يوم الجمعة، يوم الاحتفال الديني بالنسبة للمسلمين، ويوم الإجازة الرسمية في كل آسيا الوسطى.

في ٣٠ آب ١٩١٨ أطلقت فانيا كابلان النار على لينين وأصابته في رئتيه وكتفه قائلةً: «اليوم أطلقت النار على لينين لأنه خان الثورة»، ولكنه عاش بعدها رغم أنه لم يتعافَ كلياً وكان للرصاصة التي أصابت عنقه أكبر الأثر في انهيار صحته هكذا قيل ، وقد أزالها الأطباء من عنقه عام ١٩٢٢، ولكنهم لم يستطيعوا إلغاء آثارها القاتلة حيث كانت محاولة الاغتيال إضافة لهموم إدارة الدولة قد أخذت نصيبها من صحة لينين فأصيب بجلطة في مايو عام ١٩٢٢شلّت نصف جسمه الأيمن وقللت من مشاركاته السياسية وبحلول شهر ديسمبر من نفس العام، ألّمت به جلطة ثانية حينها أمرت الإدارة السياسية أن يبقى لينين بعيداً عن الأضواء. وفي مارس١٩٢٣ ، أُصيب لينين بجلطة دموية ثالثة ألزمته الفراش وحرمته القدرة على الكلام قبل أن يفارق الحياة بجلطة أخيرة في ٢١يناير ١٩٢٤ وقد حُنّط جسد لينين ودُفن في الساحة الحمراء في موسكو.

الحق يقال أن الحياة الفكرية والثقافية نشيطة في مصر خاصة القاهرة التي عشت فيها سنتي الدراسة منذ وجدت فيها والندوات والمحاضرات والمجالس الخاصة في كل مكان والمكتبات الخاصة مفتوحة لطلبة العلم والدراسات العليا فلا تجد وقتا للفراغ ندوات ومؤتمرات في قاعات ومدرجات الجامعات في طول البلاد وعرضها ستجد ذلك اذا كنت مهتما بالنشاطات الحرة

الكل يتحرك الأحزاب لها نشاطات في مراكزها سواء إسلامية أم علمانية او يسارية فانا اهتمت ربما اكثر من اللازم بالفكر الشيوعي ومحاضرات المثقفين حوله لما عانيته من سمور وعاصم ولكن لكل شيء نهاية حصلت على الشهادة وتقرر العودة لعمان .

ماتت أمي

في أواخر عام ٨٥ ماتت أمي رحمها الله كما ذكرت لكم ذلك ولم أتمكن من العودة بسبب الاستعداد لمناقشة رسالة الماجستير ،وقبل أن استرسل في بقية مراحل حياتي عليّ أن أعود للوراء للماضي القريب للتاريخ الذي يصعب نسيانه من قبل جيل التشرد والبؤس والرحيل وظل في وجدان الإباء والأجداد وانتقل لنا نحن الأبناء ، ولابد أن نورثه لأبنائنا ، فما تجلس في مجلس فرح أو عزاء أو سهرة ويلتقي جيل النكبة إلا وحديثهم عن قراهم وبياراتهم وبرتقالهم وحسرتهم على تلك الأيام ، مع أنها لم تكن في نظري أياما وردية ؛ لكنها ارض الوطن حيث ولدوا وشبوا وحصدوا وزرعوا وفرحوا وحزنوا .

كان قرار التقسيم الأممي عام ١٩٤٧ لأرض فلسطين اعتراف بدولة إسرائيل قبل أن تظهر ككيان رسمي ومعترف به دوليا ، وبأن جزء كبير من وطننا السليب حق لليهود وهذا حق القوي على الضعفاء .. اشتد الصراع بين عرب فلسطين ويهود العالم المدعوم من الغرب والاستعمار بغض عن تغيير المسميات .. بدأت قرى الساحل الفلسطيني منذ إعلان بريطانيا عن الخروج من فلسطين تتساقط رويدا رويدا وتهوي في أيدي عصابات الصهاينة والصهيونية العالمية .. أخذت القرى تفرغ من أهلها باتجاه المدن الكبرى التي أصبحت بدورها في خط النار الأول .. كان عمر أبي" محسن سالم " خمس سنوات عندما ترك قريته الأولى .. قريته كانت صغيرة بضع عائلات تقطنها، وكان لأهل القرية امتدادات عائلية في قرى أخرى ؛ كأن تلك العائلات عندما جاءت فلسطين انتشروا في عدة قرى .. وكان خروجهم من قراهم دون ضجيج إعلامي ، لأن الخروج كان بسبب الفقر والإرهاب الصهيوني وضغط نفسي من بريطانيا المنتدبة من قبل عصبة الأمم على فلسطين التي انتدبت من عصبة الأمم لتعلم الناس على الإدارة والحكم الحديث .. رحلوا إلى قرية اكبر وفيها أناس اكثر يعملون عند أقاربهم كرعاة أو فلاحين في المواسم .. كانوا خمسة أخوة وأختين .. كانت القرية قريبة من مدينة يافا الشهيرة في ذلك الزمن فهي عروس فلسطين وبلد البرتقال الفلسطيني والصحافة الفلسطينية

الناشئة ، وبعد حين رحلوا من تلك القرية مع أحداث النكبة الفلسطينية الشهيرة ١٩٤٨ .. مشوا في ذلك المشهد المهول للخروج من القرى والبلدات والمدن الفلسطينية الساحلية مشوا نحو الشرق نحو الضفة الغربية كان عمر أبي في الهجرة الثانية ابن سبعة عشر عاما .

في سنة خمسين تزوج أبي محسن سالم من أمي فاطمة محمود ..وكان عمرها أربعة عشر عاما .. أمي قريبة لأم أبي .. كان يسكن أهل جدتي في تلك القرية الكبيرة .. فلما تزوجها جدي سالم رحلت لقريته ولما ترك القرية الصغيرة سكن قريتها حيث ولد أبي محسن وبعد الرحيل تزوج قريبة لجدتي وهي أمي فاطمة .

كان ترتيبه الثالث بين أخوته الذكور تحصل أبي على بعض العلم في كتاتيب القرية ونال بعضه من مدارسها الصغيرة ..ربما درس للصف الرابع أو السادس .. وحتى أمي أتيح قبل النكبة الدراسة في مدارس الأرياف الناشئة .

اشتغل أبي محسن في وكالة الغوث الناشئة حديثا لإغاثة المهجرين كعامل يؤمنون ويوزعون المواد الغذائية على الأسر المهاجرة والذين يسمون اللاجئين ، فقد انتشرت المخيمات في غزة والضفة الغربية والشرقية ولبنان وسوريا ، الدول المجاورة لفلسطين .

ولما توحدت الضفتان بعد عام ١٩٤٩ بعد عدة مؤتمرات تأييد للوحدة بقيت وكالة الغوث الأونروا ترعى اللاجئين صحيا وتعليميا وغذائيا وتوظيفا تجمع المساعدة من دول العالم وتوزعها بتلك الصور على هؤلاء اللاجئين .. تمكن والدي من العمل كموظف صغير لدى الحكومة الأردنية وترك عمله في الوكالة .. وسكن نفس مدينة نابلس في شمال فلسطين .. وأصيب بشظية أثناء حرب ١٩٦٧ فنقل لعمان للعلاج واستقر فيها ثم رحلنا اليه .. في جبل القلعة بعمان .

قبل السكن في بيت في ذلك الحي سكننا عند قريب يخدم في الجيش العربي ، ولما تحسنت صحة الوالد سكننا في ذلك الحي التاريخي المسكون بالبشر قبل ٧٠٠٠ سنة على ذمة أهل الأثار والحفريات .

ولما تعافى الوالد النحيف البنية أصلا عاد للعمل في دائرة حكومية في عمان كبواب هذه المرة في مبنى الدائرة .. وقد اصبح يعرج بسبب الحادث .كان أبي محسن مسالما طيبا في رأيي بسيط الذكاء ، وكذلك أمي الأمية يحبون الستر في الحياة ويحلمون بحظ أوفر واحسن للأبناء .. لم يكن أيام فلسطين والفلاحة التعليم مهما كثيرا لهم ، إنهم يتعلمون لقراءة القرآن والرسائل اذا كان هناك رسائل .. فثقافتهما بسيطة بالممارسة والسماع وأمثال القرية وخطب الوعاظ والقصاص . كان والدي مصليا بالفطرة كالكثير من أبناء الفلاحين والقرى .. ولكن بعد النكبة ترك الكثير من الناس الصلاة والصوم جهلا وحمقا واحتجاجا على القدر والعياذ بالله .. وظهر الكفر سواء كفر منظم كالذين اتصلوا بالحركات الإلحادية واليسارية أو الكفر الفوضوي .. فالفكر الشيوعي تضخم في فترة الخمسينات في أنحاء العالم .. بعد انتصار الشيوعية الروسية على هتلر النازي .. والثورة الصينية ثورة ماو وفيتنام وكوريا الشمالية .. وكوبا .. لذلك ظهر التهاون من الآباء في تعليم أبنائهم الصلاة والصوم ..المهم المال والشغل ولو ببيع الكعك المحمص والحلاوة وما شابهها .. وظهرت أفكار تحارب التدين وتزعم أنه سبب نكبة الشعب الفلسطيني وتشرده في بقاع العالم .

بعد ولادة عاصم مرضت أمي بسبب هذه الولادة وأصيبت بالعقم .. مما ازعج والدي ونحن شعب حبب اليه المزيد من الذرية في ذاك الحين .. وكانت قد ولدت بكرهما أخي الفاضل سميح في سنة ١٩٥١ في نابلس ثم سمور بعد بسنتين ونصف وسمي على اسم احد أجداد أبي وبعده بسنة ولد عاصم .. فاخذ الوالد يطارد بها بين الأطباء والحكماء في الحكومة ووكالة الغوث وربما الحجابين لقد كان سوقهم رائج في المعالجات والشعوذة .. حتى حملت أمنا بتوأم من الإناث في عام ٥٧ وبنفس المعاناة وضعت بنتا أخرى .. وكلهن اليوم متزوجات بفضل الله من أقاربنا وشرفت أنا وعبد القادر قبلي بساعة أو أقل في منتصف عام واحد وستين .. ظهرنا للوجود في مدينة نابلس العريقة حيث رحل إليها عددا لا بأس من أسرتنا واهل قريتنا .. ولما حلت الهزيمة الثانية بالدول العربية انتقلنا كما رويت سابقا للحياة في قلب عمان الغالية ..

والسبب إصابة أبي بشظية من انفجار قنبلة .. فجاءوا به للعلاج في عمان ؛ لأنه من رعايا الحكومة وأصيب أثناء العمل .. وسكن عند قريب له ولما تعافى اشترى منزلا بحي القلعة بمساعدة قريبه ابن الجيش العربي .. وسمحت لنا إسرائيل باللحاق به لعمان العز .

لم نكن من أهل اليسار كنا نقتات بالدخل البسيط لأبي ، ومن ثمن بعض التطريز لأمي الذي تقوم به أمي للميسورات من أبناء المدن والقرى سواء المهاجرة أو التي لم تهاجر من أهالي الضفة الغربية الأصليين .. كان أخي سميح منذ وعى يعمل مع الأقارب في حرف ومهن فلم يتابع التدريس حتى المجاني في خيم وكالة الغوث .. وكان يساعد أبي وأمي وكانت المصروفات قليلة تلك الأيام والذي يصعبها قلة الدخل .. اشتغل ليس لفقرنا لا إنما اشتغل لعدم حبه المدرسة .

كان الراتب في ذلك العهد رغم بساطته وقلته يسد الحاجة ناكل ونشرب ونكتسي مرة في السنة واحيانا مرتين .

كان بكر أبي كما قلت آنفا أخي سميح .. ولم يكن محظوظا في الدراسة ومع تصارع الأحداث تعلم مطلع حياته ثم عمل مع معارف أبي ، وثم تعلم قيادة السيارات وبعد أحداث السبعين في الأردن بين الجيش العربي والفدائيين الفلسطينيين تيسر له العمل كسائق في احدى الوزارات بمعاونة أبي ، وبعض أقاربنا الضباط في الجيش .. وفي سنة ١٩٧١ تزوج ابنة عمه محمد سالم وكانت بكره قد انجبها عام ١٩٧٢ وسماها سليمة وبعد عامين ولد محسن .

وأما سمور فبمساعدة احد رجال حركة القوميين العرب التي نشأت في لبنان وسوريا في فترة الخمسينيات وقد هرب هذا الرجال للبنان بعد أحداث أيلول عام ١٩٧٠ م وكان الرجل قد رتب لسمور بعثة دراسية في بلغاريا ، وذلك على حساب منظمة التحرير التي كانت قد ظهرت في عام ١٩٦٤ أو ١٩٦٥ للوجود بزعامة احمد الشقيري وبدعم من عبد الناصر زعيم العرب ومصر في تلك الأيام الرمادية .. وكان سمور ابن الحركة الشيوعية قبل عام ٧٢ حيث تقدم للثانوية العامة ونجح وأثناء زواج سميح كان يدرس في بلغاريا باسم منظمة التحرير الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .. وربما عاد للبلد خلال سنوات دراسة الهندسة بضع مرات .. وبعده

بسنة نجح عاصم ولحق به بمساعدته ومساعدة رجال المنظمة .

كانت الشيوعية العالمية رغم اعترافها بدولة إسرائيل عند تأسيسها تناصر وتدعم القضية الفلسطينية واتخذتها يدا للتحكم في الشيوعيين العرب والقوميين العرب .. وربما السبب الحقيقي بسبب الحرب الباردة الناشبة بين الغرب والشرق والقتال عنهم بالوكالة كما نقول اليوم وما يقدم من دعم وسلاح هو سلاح بسيط للدفاع اكثر من الهجوم وللعمليات المحدودة .. ودفاع عنهم في بعض محافل الأمم المتحدة والعالم .. فالدول الغربية تتحكم بكثير من الأنظمة العربية لمحاربة المد الشيوعي كما يزعمون ، وكانت الدول الغربية هي من تدعم وكالة الغوث لإغاثة الشعب الفلسطيني تغذية ودراسة وعلاجا .. إذن الدعم السوفيتي والصيني للصراع الكبير بين زعماء العالم وأقطابه ليس إلا .

الفكر القومي كانت بدايته الأولى ظهرت في أوروبا الغربية بظهور الدول القومية بتوحيد فرنسا وإيطاليا وألمانيا ، وقلما تجد دولة أوروبية تتكلم بلغة واحدة ؛ فكان أوروبيا قبل انتقاله للشرق ودول العالم الأخرى . . وانتشرت القومية في الشرق مطلع القرن العشرين .. ولما بدأت الدول العربية تستقل عن الاستعباد الفرنسي والبريطاني شاعت القومية وتأججت بثورة أو انقلاب مصر على الملكية بمصر ثم سوريا والعراق واليمن فبرزت وأصبحت شعارا للأحزاب القومية ، وحركة القوميين العرب ظهرت في لبنان تحلم أن تجمع العرب بقومية واحدة ، هكذا سافر أخي سمور الذي لم يكن مسلحا بالدين والإيمان إلى بلغاريا ليدرس الهندسة .. سافر شقيقي إلى بلغاريا بعد أحداث الأردن وتعلم الهندسة والإلحاد وتضايق منه أبي في أول الأمر ثم اعتاد على ذلك الإلحاد ويقول " ماذا افعل لشاب أطول مني ومتعلم ؟" ثم نسي الأمر بعد رحيل أخي سريعا عن البيت والتحق أو عاد لخلايا الشيوعيين السرية في الأردن .. ورغم تحريم الشيوعية في بلادنا بقانون قديم كانت الدولة تغض الطرف عنهم نتيجة للصراع الدولي بين الغرب والاتحاد السوفيتي وما سمي بالحرب الباردة .

واحيانا أخرى تداهمهم أجهزة الأمن فتقبض على بعضهم ثم تحبسهم ثم يخرجون فتثير البلبلة

في صفوفهم .. وكان لهم انتشار في الجامعات والنوادي والنقابات وبين المدرسين والأطباء والمهندسين وغيرهم .

وأخواتي الثلاثة كن يتزوجن قبل بلوغ الثانوية العامة ، ولم يكن لديهن الحماس للتوجيهي تزوجن من أقارب لنا في فلسطين والأردن ، فلنا أعمام لم يخرجوا من الضفة الغربية ، ولو بعد ٦٧ .

ولما انهى عاصم الثانوية كما قلت استطاع سمور أن يدبر له مقعدا في بلغاريا الشيوعية ودرس في نفس جامعة سمور .. وكلاهما رجع يحمل شهادة هندسة في عام ١٩٧٨ .. تأخر سمور سنة هناك ليعود مع شقيقه عاصم .

نحن أبناء أسرة ريفية مغمورة ولكن أحداث فلسطين العاصفة منذ بداية الانتداب وربما قبله غيرت مسيرة حياة الكثير من القرويين المهاجرين من ديارهم وتهيأت لنا فرص التعليم والكفاح اكثر من بقية شعوب المنطقة .

في الأربعينيات من القرن العشرين بدأ يزداد انتشار الفكر الشيوعي في بلاد العرب ورافقه الفكر القومي والوطني لظهور الدول القومية في لبنان وسوريا والعراق .. وكذلك ظهرت الحركات الإسلامية كحركة الإخوان المسلمون في مصر وانتقلت لعدد من الدول العربية كالأردن وسوريا .. واخذ الاستعمار الرسمي والعسكري ينحسر شيئا فشيئا عن الأقطار العربية .. وظهرت الانقلابات العسكرية في سوريا ومصر والعراق واليمن .. وكانت نكبة فلسطين ضربة مدوية للعرب شرقيهم وغربيهم آسيويهم وأفريقيهم .. وبرزت الأمم المتحدة للوجود على موت عصبة الأمم وبدأ عملها بالاعتراف بإسرائيل ككيان يحق له الحياة في فلسطين .

إذن ظهرت إسرائيل العبرية اللسان كدولة بين الدول والقومية العربية ذات اللسان العربي .. والغريب أن النصارى العرب لهم وجود اكثر من اليهود في البلاد العربية ومع ذلك لم يكن لهم دولة قومية خاصة وإن حكموا لبنان المختلط بالوان من الطوائف، الرئيس ماروني ورئيس الوزراء سني ورئاسة مجلس النواب للشيعة .. والغريب أن الكرد لهم وجود في الوطن العربي

ومع ذلك لم يظهر لهم كيان مستقل .. لماذا اليهود جعل لهم هذا الكيان ؟ وفي ارض فلسطين ؟ هل الغرب النووي بحاجة لهم لتمزيق أقطار العرب ؟

مأساة فلسطين لم تستوعبها الشعوب العربية ولا الإسلامية .. وذلك كالخلافة التي حذفت من الوجود قبل ٢٤ سنة من نكبة فلسطين .. لقد أصبحت الأمة دولا كثيرة ضعيفة مهيضة الجناح لقد تشتتنا في العالم العربي وأنحاء العالم .. وتعددت حركات تحرير فلسطين وكلها تخضع لمن يمول ويدفع لا استقلالية لها .. فنشأت منظمة التحرير لتحرير يافا وعكا وحيفا في عام ١٩٦٤ ثم أصبحت تسعى لتحرير نابلس ورام الله بعد اعترافها بقرار الأمم المتحدة ٢٤٢ وغيره ..

انتهت يافا وحيفا وعكا من قاموس التحرير ومن المية للمية . ثم وقعت هذه المنظمة بأحزابها الهلامية في حروب مأساوية مع الدول العربية ومع بعضها البعض بأسماء متفرقة ، في الأردن ولبنان .

عاد أخي سمور وعاصم من أوروبا الشرقية يحملان الفكر الشيوعي السطحي ويرون أنهم يسعون لتحرير الشعب الفلسطيني من نير الصهيونية العالمية مع أن ستالين السوفييت زعيم الشيوعية الأول من أول الدول التي اعترفت بإسرائيل ككيان مستقل ، ويحق لها الحياة في فلسطين .. وللشيوعيين العرب في هذا الموقف تبريرات لهذا الاعتراف السريع لا يبررها الروس انفسهم .

المهم في حياة أسرتنا عاد الأخ مناضلا يساريا ووجد جفاء في البيت فترك البيت سريعا ومن خلال عمله ورفاقه ؛ كما يسميهم تعرف على ناشطة شيوعية مثله وبعد سنوات أصبحت زوجة غير شرعية فهم ينكرون الزواج الشرعي والمحاكم الشرعية ولكن للظروف وعادات البلد اضطرا لعمل عقد زواج في المحكمة الشرعية ، ولما تخرجت وفاء من الجامعة كان له منها طفلان ذكر وأنثى .

العودة

أنهيت الماجستير في مصر وعدت للوطن للحاجة للعمل لجمع المال لدراسة الدكتوراه وكان رجوعي صيف ١٩٨٥ وكانت الشرق الأوسط ما زال هائجا فقد اغتيل زعيم مصر وانتشرت الحركات الجهادية في مصر ولبنان وغيرهما وكانت الحرب في لبنان بين الشيعة الممثلة بحركة امل والمنظمات الفلسطينية القريبة من سوريا ، وظهور حزب شيعي آخر في لبنان ومدعوم من الخميني الإيراني ، وسبقت ذلك أحداث طرابلس بين منظمات فلسطينية مدعومة من سوريا وبقايا عناصر فتح التي لم تخرج من بيروت مع قوات المنظمة أو خرجت ثم تسللت عن طريق سوريا أو البحر .. كان شرق متكهرب وظهرت حركات تنازع الشيوعية في شرق أوروبا وبذات في بولندا بظهور حركة التضامن وظهرت الإصلاحات السوفيتية في عهد ميخائيل غورباتشوف التي اطلق عليها البيريسترويكا تعني إعادة الهيكلة «هي برنامج للإصلاحات الاقتصادية أطلقه رئيس للاتحاد السوفييتي، ميخائيل غورباتشوف وتشير إلى إعادة بناء اقتصاد الاتحاد السوفيتي ، صاحبت البيريسترويكا سياسة غلاسنوست والتي تعني الشفافية. بدأت مع استلامه الحكم ١٩٨٥ ، يطرح البعض أن تلك السياستين أدتا إلي تفكك الاتحاد السوفيتي وتفككه سنة ١٩٩٠ .

شهدت الثورة الروسية عام ١٩١٧ تأسيس أول دولة شيوعية على مستوى العالم عُرِفت باسم اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، عندما أطاح البلاشفة بالحكومة المؤقتة وحكموا الدولة بالعنف والديكتاتورية كما فعل هتلر وموسوليني فيما بعد ، خلال فترة ما بين الحربين العالميتين كانت الشيوعية تزداد شعبيتها في أجزاء كثيرة من العالم، بسبب ظهورها القوي في روسيا وبغض العالم للرأسمالية الغربية والاستعمار ، والدعاية السوفيتية ودغدغة مشاعر التحرر من الاستبداد وكذلك في البلدات والمدن ، ونجمَ عن ذلك سلسلة من عمليات التطهير في العديد من البلدان بهدف تضييق الخناق على الحركة تسبّبت المقاومة العنيفة لهذا القمع في تصاعد التأييد للشيوعية في وسط وشرق أوروبا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا .

في المراحل الأولى من الحرب العالمية الثانية، عمِلت كل من ألمانيا النازية والاتحاد السوفيتي على غزو واحتلال دول أوروبا الشرقية بعد توقيع الاتفاق الألماني السوفييتي (اتفاق مولوتوف–ريبنتروب) رسميًا عُرِفت هذه المعاهدة العدوانية باسم معاهدة عدم الاعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي ، هي معاهدة وقعت في العاصمة السوفيتية موسكو في ٢٣أغسطس ١٩٣٩ بين وزير الخارجية الألماني ريبنتروب ونظيره السوفيتي مولوتوف، نصت هذه المعاهدة على بقاء كل من ألمانيا النازية والاتحاد السوفيتي على الحياد في حالة تعرض أحد الطرفين لهجوم من طرف ثالث ، وقد تضمنت المعاهدة بروتوكولاً سرياً يقسم شمال وشرق أوروبا إلى مناطق نفوذ سوفيتي وألماني ترقباً لإعادة الترتيب السياسي والحدودي لهذه الدول .. سايكس بيكو جديد لكن ساحته أوروبا .

وعلى إثر هذا الاتفاق العدواني ، قامت ألمانيا هتلر في الأول من سبتمبر والاتحاد السوفيتي ستالين في ١٧ سبتمبر بمهاجمة بولندا واقتسامها بينهما ، ثم تلى ذلك ضم الاتحاد السوفيتي لإستونيا ولاتيفيا وليتوانيا ، قبل أن يهاجم فنلندا مجبراً إياها على التنازل على أجزاء من أراضيها بقيت اتفاقية عدم الاعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي سارية المفعول حتى ٢٢ يونيو ١٩٤١ حينما أقدمت ألمانيا على غزو الاتحاد السوفيتي .. فانقلبت ألمانيا ضد الاتحاد السوفييتي وأقدمت على غزوه ؛ كانت معارك الجبهة الشرقية هذه الأكبر في التاريخ ، انضمّ الاتحاد السوفياتي على اثر غدر المانيا النازية للحلفاء وفي المؤتمرات التي عُقِدت في طهران ويالطا وافق الحلفاء على وضع أوروبا الوسطى والشرقية ضمن «مجال النفوذ السياسي السوفيتي». حارب الاتحاد السوفيتي الألمان واستطاع أخيرًا إيقافهم، ووصل إلى برلين قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ، كانت الأيديولوجية النازية معادية للشيوعية، وقمع النازيون بوحشية الحركات الشيوعية في البلدان التي احتلوها ، لعب الشيوعيون دورًا مهمًّا في مقاومة النازيين في هذه البلدان عندما أجبر السوفييتيون الألمان على الانسحاب، تولّوا السيطرة المؤقتة على هذه المناطق المدمّر بعد الحرب العالمية الثانية، أكّد السوفييت أن الشيوعيين الموالين لموسكو استولوا على السلطة

في البلدان التي احتلّها السوفييتيون احتفظ السوفييت بقوّاتهم المنتشرة في جميع أنحاء هذه المناطق واختبرت وعانت هذه الدول الحرب الباردة، المرتبطة بميثاق وارسو، وعانت من التوتّرات المستمرّة مع الغرب الرأسمالي، المرتبط بحلف الناتو، وفي اقصى الشرق أرست الثورة الصينية الشيوعية في الصين في عام ١٩٤٩ سفينتها وسيطر ت على معظم البلاد وتخلصت من اليابانيين .

خلال الثورة الهنغارية التي قامت ضد السوفييت والشيوعية عام ١٩٥٦، وهي ثورة عفوية ضد الاستبداد اندلعت في عموم البلاد ، غزا الاتحاد السوفيتي المجر هنغاريا بهدف توطيد سيطرته ودعم الحزب الشيوعي فيها ، وبنفس الطريقة قمع الاتحاد السوفيتي ربيع براغ من خلال تنظيم غزو حلف وارسو للأراضي التشيكوسلوفاكية في عام ١٩٦٨، الانتفاضات كانت تثور وتخمد خلال الاحتلال السوفيتي لتلك البلدان ، أدّت الاضطرابات العمالية خلال عام ١٩٨٠ في بولندا إلى تشكيل حركة تضامن (اتحاد نقابة العمال البولندي)، بقيادة ليخ فاونسا، والتي أصبحت مع مرور الوقت قوّة سياسية مرعبة ، في ١٣ ديسمبر ١٩٨١، بدأ رئيس الوزراء البولندي فويتشخ ياروزلسكي حملة قمع ضد حركة التضامن من خلال إعلان العمل بالأحكام العرفية في بولندا ، وتعليق النقابة، وسجن جميع قادتها مؤقتًا.. لكن العفريت خرج من القمقم على الرغم من أن العديد من دول الكتلة الشرقية قد حاولت إجراء بعض الإصلاحات الاقتصادية والسياسية الفاشلة والمحدودة منذ خمسينيات القرن العشرين (مثل الثورة الهنغارية عام ١٩٥٦ وربيع براغ ربيع ١٩٦٨)، إلا أن صعود الزعيم السوفيتي ذي الميول الإصلاحية ميخائيل غورباتشوف في عام ١٩٨٥ أشار إلى نحو المزيد من التحرّر ، خلال منتصف ثمانينيات القرن العشرين، بدأ جيل أصغر من العملاء السوفييت (أبارتشيك)، بقيادة غورباتشوف، في الدعوة إلى الإصلاح الجذري من أجل قلب سنوات الركود في زمن بريجنيف ، بعد عقود من النمو والحرب الباردة والفضاء ، كان الاتحاد السوفيتي يواجه الآن فترة من التدهور الاقتصادي الحاد وبحاجة إلى التقانة الغربية والتكنولوجيا الغربية والائتمانات للتعويض عن تراجعه

المتزايد ، وقد زادت تكاليف الحفاظ على وجود قواته العسكرية في دول الحلف وارسو وحربه في أفغانستان المكلفة ، وتكاليف لجنة أمن الدولة «كيه بي جي»، والإعانات المقدّمة إلى الدول الأجنبية العميلة من توتّر الاقتصاد السوفيتي المُحتضر ، فظهرت أولى علامات الإصلاح الرئيسي في عام ١٩٨٦ عندما أطلق غورباتشوف سياسة الغلاسنوست (الانفتاح) في الاتحاد السوفيتي، وأكّد الحاجة إلى البيريسترويكا (إعادة الهيكلة الاقتصادية).. فكانت الضربة القاضية لانكشاف عوار الاشتراكية الشيوعية التي أدت في سنوات قليلة إلى موته كما ماتت حضارات أخرى .. لم يطل نزاعه فاختفى ما يسمى الاتحاد السوفيتي وعادت روسيا للوجود باسم الاتحاد الروسي .

تفاجأ الكثير من قادة وزعماء لم حل بحلف وارسو والاتحاد السوفيتي وسرعة الانهيار .

***

نحن وإن كنا بعيدين عن عواصف العالم مباشرة كنا نتأثر كغيرنا بما يجري شرقا وغربا ؛ لأننا نحن وقود الحرب الباردة بين الأقطاب الكبار الخمسة ، لحقت بالجيش كخدمة علم تسمى أو التجنيد الإجباري ، لأنني أجلت الالتحاق حتى إنهاء الماجستير في الأزهر ، فعبد القادر التحق بالجيش مهندسا قبل رجوعي من مصر ، وأما سمور وعاصم وقبلهم سميح فلا يلحقون بخدمة العلم لأنهم اكبر من سن الخضوع للعلم ، ولما أنهيت دورة التأسيس والمشاة ألحقت بمدارس الثقافة العسكرية التابعة للجيش ، ولما مضى العامان اشتغلت محاضرا في كلية شريعة محلية وقدمت للعمل في دول الخليج العربي ولو لزمن محدود ، وكان أبي يلح علينا بالزواج من بنات أخيه عمي ماهر وكنت أتعذر بالسعي للدكتوراه قبل الانشغال بالمرأة والأطفال ، وطلب أخي سمور للعمل في مكتب الجبهة التي يسرت له البعثة في العراق في بغداد ، سمور مهندس ميكانيكي فيشرف على مصانع وماكينات تركيب وصيانة ، يقوم بأعمال تخص المكتب ، وليس موظفا في المكتب ، فترك زوجته وأطفاله وسافر ، وكانت الشيوعية العربية تهتز بقوة بسبب ضعفها الأصلي النابع من جذورها الأولى وبسبب التحركات في شرق أوروبا وظهور أحزاب

تطالب بالإصلاح والانفتاح على الغرب والتكنولوجيا الغربية ، فكنت كلما التقي بشقيقي عاصم أتهكم عليه قائلا : ما بال السوفييت لا يتدخلون ببولندا كما فعلوا في هنغاريا وبراغ وألمانيا الشرقية .

فيرد بعصبية : لا تفرح كثيرا فغورباتشوف يسعى للإصلاح وليس للقضاء على الشيوعية .. الاقتصاد الاشتراكي عالمي غير مربوط بالشيوعية المشكلة تورطه في أفغانستان .. والإصلاح وتعديل القوانين شيء طبيعي في الدول وهو علامة صحة لا علامة ضعف .

قال عبد الرحيم : الصحف والتقارير الغربية تقول أن الوضع في روسيا والمعسكر الشرقي صعب .. هل يستطيع شخص ترميم إمبراطورية ملحدة ؟!

ـ الاقتصاد شيء والإلحاد الشيوعي شيء آخر .

ارفع صوتي فيه : اصحوا اصحوا يا جدعان .. عودوا إلى دينكم ..بولندا تصير وتتحرك إلى التحرر من ربقة الاستعمار الروسي من الشيوعية والاشتراكية .

فيجيب بحدة : هذا ما هو استعمار .. الشيوعية عملت على تحرير الناس من استعمار الغرب يا أستاذ ..ماذا فعلت لشعوب أمريكا اللاتينية وشعوب أفريقيا وللعرب

ـ لا شيء مجرد ثورات وضحايا .. حسن ما أخبار سيدك سمور ؟

فقال بعصبية : لا اعرف اتصل به واسمع منه أخباره .

فأزيد في امتعاضه وغيظه :حزبكم السري تحت الأرض على وشك الانهيار هنا .. وكثرت الانشقاقات بينكم والهروب من أحلامه العاجية .

فيقال مبررا : هذه سببها الدعم الغربي والدعم الشيوعي والصراع بين الصين والروس

قال عبد الرحيم : صراع قديم قبل موت ستالين وماو ..ما أخبار العم سمور ببغداد ؟

عاصم : ما أخبار الجيش ؟

ضحك عبد وقال : أنهيت خدمة العلم أين أنت ؟ أنا كما تعلم عملت مدرسا في مدارس الجيش بحكم شهادة الماجستير ليس كعبد القادر في سلاح الهندسة .. هل تتفقد زوجة سمور

كما أوصاك ؟

رد بضيق : أخلاقها سيئة كلما امر عليها اجد عندها رجال تزعم أنهم يعملون معها ، فكلمت سمورا عنهم لأنني ارتبت فيها وفيهم فقال : سأعود قريبا وأرى من هم ؟ وتقول لي بكل وقاحة نحن مستغنون عن خدماتك يا مهندس عاصم .

ضحكت وقلت : ما زوجة شقيقك فاسدة من قبل زواجهم الرسمي خلفت طفلين قبل عقد الزواج ظنوا انفسهم في كييف أو براغ .

قال : أنا لم ارغب بالزواج من صاحباته ولا عن طريق سمور.. ووفاء لها علاقات قبل زواجها من سمور .. الشيوعية لا يهمها العفة والشرف .

ـ هو كيف ربط نفسه بها ؟

ـ تعرف عليها من خلال الحزب الشيوعي وكانت في أخر سنوات الجامعة وهي مهندسة مثلنا وتعلقت به اكثر من غيره ومع الوقت حملت منه ولم تعمل إجهاض ولم يتزوجا رسميا إلا بعد الحمل الثاني

فقال : ولماذا تزوجا رسميا ؟

ـ القانون والمدارس في المستقبل لسنا في موسكو أو برلين الشرقية .. وأهلها تعقدوا لأنهم كانوا يفكرون بإرسال الطفل الأول لجمعيات أوروبية تتبناه وتتولى أمره كما تفعل الكثير من نساء أوروبا

عقبت قائلا : جمعيات اللقطاء وجمعيات التنصير .. أكيد للشيوعيين جمعيات للأطفال

هزّ رأسه وردد : نعم ، جمعيات اللقطاء

قال عبد مستهجنا الصورة : كيف تعيشون هذه الحياة الحيوانية ؟

فلسف الجواب فقال : أنت ترى الأمر صعبا بحكم التمسك بالعادات والتقاليد ونحن لما تخلينا عنها أو عن أكثرها نرى الأمر طبيعيا وعاديا

هتفت قائلا : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به .. وهل يضمن أخوك أن الأبناء من صلبه ؟!

فكر عاصم للحظات قبل الرد : لا أحد يضمن أن الأبناء من صلبه ..إنما هي غلبة ظن .. أنا عيلتي متدينة مثلك كما تعلم ، ولا تؤمن بشيء اسمه الإلحاد هل اضمن أنها لا تخونني ؟

قال عبد الرحيم : الشريفة العفيفة عفيفة ويهمها شرفها من اجل دينها وربها وليس من أجل أبيها وزوجها كثيرا ما نسمع عن قصص خونة لزوجاتهم وهن صابرات رضين بنصيبهن ولم يفعلن مثل بعولتهن .. والأيام يا أبا حاتم تكشف الخائنة والعفيفة .. وماذا تتوقع أن يفعل أخوك بأصدقاء زوجته ؟

ـ لا شيء .. سمور ضعيف أراه معها وحيالها .. فهي تعلم أنه يعاشر غيرها .. فهل تراه يصبر عن النساء في بغداد وعن الخمور ؟!

فقال : حقيقة يا عاصم يصعب عليّ الرضا بمثل هكذا أفعال .. اذكر أننا سمعنا أن الاتحاد الشيوعي أباح النساء لكل الرجال والرجال لكل النساء كما يذكرون عن الشيوعية الأولى التي لا يعرفها إلا الشيوعيون ثم فشلت التجربة سموها تجربة لانتشار أمراض الجنس بينهم فأوقافها سيدكم ستالين .. فلنسأل الآن عبد الثاني ..ما أخبار عبد القادر ؟

ضحك عاصم وقال : أنت عبد رقم واحد قضى الخدمة الإلزامية خدمة الجيش في أخر سبتمبر وقد يخطب ابنة ضابط تعرف عليه أثناء الخدمة .

ـ ابنته أو أخته أنا سمعت مرة أنها أخته عملا في موقع واحد

ـ ربما أخته كما قلت نسيت بالضبط .. مشكلة عبد انه قرف النساء قبل أن يتزوج ولا يثق بامرأة مما عرفه أثناء الجامعة .. وقد يهاجر لكندا بسعيها فلها أقارب هناك فهذا سبب اختيارها

قال عبد آسفا : ضيعتم عبد القادر بأفكاركم السوداء

ـ كل عاقل عقله برأسه يا سيد عبد الرحيم ماذا ستفعل الآن ؟.. فهو كان مؤهلا للتنوير وترك الرجعية والتخلف .. كأنك رحت للقاهرة لدراسة الشيوعية من الأشرطة التي رأيتها في بيت أبي .

ضحك عبد الرحيم وقال : أي تنوير ببعدكم عن الدين يا مهندس عاصم ؟ التنوير في ديننا ..

الأوروبيون ثاروا على الدين لأنه ليس بدين مجرد أسماء ورموز ..وهل ترى عيسى كان يصلي بدون وضوء كما يفعل نصارى اليوم ويهود اليوم ؟

ـ لا اعرف ؛ إنما هو دين مثل دينكم

قال : مساكين انتم ..سأعمل مدرسا لفترة وادرس الدكتوراه بمساعدة العزيز سميح

ـ ظننت انك ستتزوج بأموال التدريس في العسكرية .

قال باسما : سأعمل صباحا وأدرس مساء وأتزوج قريبا مثل عبد القادر

ـ أين ستسكن ؟

قال : في أول الأمر سأعيش مع أبي فهو يريد ذلك تحدثنا بذلك .. مصر دنيا العجايب فهذه الأشرطة أكثرها عن الماركسية فاسمع بعضها لعلك تنتفع ببعضها وتترك الفكر الأحمق أو تعمل إصلاح لفكرك كما يفعل زعيم الشيوعية الأول

قال : أنا أصلا تخليت عن الحزب اثر نزاع شخصي

ـ خبر جميل ومبشر يا عاصم !

***

حركة الإصلاح في حلف وارسو وشرق أوروبا نشطت في منتصف الثمانينات وآخر العقد حتى في دول القوقاز ذات الصبغة الإسلامية التي خضعت للقوة الروسية الغاشمة أيام لينين وستالين بأحزاب شيوعية عميلة ، كانت الاشتراكية تكتسب زخمًا بين مواطني الطبقة العاملة في العالم منذ القرن التاسع عشر ، وبلغ هذا الزخم ذروته في أوائل القرن العشرين عندما شكّلت عدة ولايات ومستعمرات أحزابها الشيوعية الخاصة بها ، كان للعديد من البلدان المعنية هياكل هرمية ذات حكومات ملكية وهياكل اجتماعية أرستقراطية بالإضافة إلى طبقة راسخة من النبلاء، كانت الاشتراكية غير مرحّبٍ بها في أوساط الطبقات الحاكمة (التي بدأت تشمل قادة الأعمال الصناعية) في أواخر القرن التاسع عشر/ أوائل القرن العشرين؛ على هذا الأساس، قُمِعت الشيوعية كحزب وحركة ، عانى أبطالها من الاضطهاد بينما كان الناس محبطين من

تبنيها ،كانت هذه هي الممارسة المُتّبعة حتى في الدول التي يُعرف عنها تبني نظامٍ متعدّد الأحزاب.
على الرغم من أن العديد من دول الكتلة الشرقية قد حاولت إجراء بعض الإصلاحات الاقتصادية والسياسية الفاشلة والمحدودة منذ خمسينيات القرن العشرين (مثل الثورة الهنغارية عام ١٩٥٦ وربيع براغ ربيع ١٩٦٨)، إلا أن صعود الزعيم السوفيتي ذي الميول الإصلاحية ميخائيل غورباتشوف في عام ١٩٨٥ دفع نحو المزيد من التحرّر في الأمن والاقتصاد خلال منتصف ثمانينيات القرن العشرين، بدأ جيل أصغر من العملاء السوفيت (أبارتشيك)، بقيادة غورباتشوف، في الدعوة إلى الإصلاح الجذري من أجل قلب سنوات الركود في فترة حكم الزعيم بريجنيف بعد عقود من النمو، كان الاتحاد السوفيتي يواجه الآن فترة من التدهور الاقتصادي الحاد وبحاجة إلى التقانة الغربية .

لم يختبر الاتحاد السوفيتي نقاشًا حيويًا حول وسائل الإعلام فحسب، بل كان قد عقد أيضًا أول انتخابات متعددة المرشحين في مجلس نوّاب الشعب الدوما بينما دعا الغلاسنوست ظاهريًا إلى الانفتاح والنقد السياسي، إلا أنه كان مسموحًا به فقط ضمن نطاق ضيق تمليه الدولة كان الرأي العام في الكتلة الشرقية لا يزال يخضع لرقابة الشرطة السرية والقمع السياسي.

وحثّ غورباتشوف نظرائه في وسط وجنوب شرق أوروبا على محاكاة البيريسترويكا والغلاسنوست في بلدانهم ومع ذلك، في حين تشجيع قوّة التحرير، التي انتشرت من الشرق، للإصلاحيين في المجر وبولندا، بقيت دول الكتلة الشرقية الأخرى في حالة شكٍّ علني وأظهرت عدم رغبتها بإجراء أيّ إصلاحات ظنًّا منهم بأن مبادرات إصلاح غورباتشوف ستكون قصيرة الأمد ، تجاهل الحكام الشيوعيون المتشدّدون مثل إريش هونيكر رئيس شرق ألمانيا، وتيودور جيفكوف رئيس بلغاريا، وغوستاف هوساك رئيس تشيكوسلوفاكيا، ونيكولاي تشاوتشيسكو رئيس رومانيا، دعوات التغيير وقال أحد أعضاء المكتب السياسي لألمانيا الشرقية: «عندما يعلّق جارك خلفية جديدة، فهذا لا يعني أن عليك فعل ذلك أيضًا "

بحلول أواخر الثمانينات، كان الناس في دول القوقاز ودول البلطيق يطالبون بمزيد من الحكم

الذاتي من موسكو، وكان الكرملين يفقد بعضًا من سيطرته على مناطق وعناصر معينة داخل حدود الاتحاد السوفيتي ، في نوفمبر ١٩٨٨ أصدرت جمهورية إستونيا السوفيتية الاشتراكية إعلانًا بالسيادة، مما كان سيؤدي في النهاية إلى تحفيز دول أخرى على إصدار إعلانات مماثلة عن الحكم الذاتي .

كان لكارثة محطة تشيرنوبل النووية القابعة في أوكرانيا في أبريل ١٩٨٦ آثارٌ سياسية واجتماعية رئيسية حفّزت أو تسبّبت جزئيًا على الأقل في اندلاع ثورات ١٩٨٩ ، فقد بدت سلطات موسكو عاجزة بالتخفيف من وقعها وأضرارها على الاتحاد وعلى أوروبا الغربية ، وكانت إحدى النتائج السياسية للكارثة هي الأهمية المتزايدة للسياسة السوفيتية الجديدة في الغلاسنوست ، من الصعب تحديد الكلفة الاقتصادية الإجمالية للكارثة وفقًا لغورباتشوف، أنفق الاتحاد السوفيتي (ما يعادل ١٨ مليار دولار في ذلك الوقت) على احتواء وإزالة التلوث، وهذا ما يُعتبر إفلاسًا من الناحية العملية.

الحاد الدولة

الإلحاد لم يكن ابن القرن العشرين فهو قديم ، الحاد الدولة هو الجديد ، فقد وجدت مجموعات تتبني الإلحاد في التاريخ الإنساني ، أما فرضه بالقوة والدعاية له فهذا ما كان في روسيا والصين أمريكا وأوروبا فيهما ملحدون ؛ لكنه لم يكن على نطاق الدولة وتبنيه رسميا هو من ضمن الحرية الشخصية والفردية ، أما الاتحاد السوفيتي فهو الترويج الرسمي للإلحاد من قبل الحكومة، مع قمع فعلي للحرية الدينية وممارسة الشعائر لكل الناس والأديان وعلى النقيض من ذلك ، فإن الدولة العلمانية تهدف إلى أن تكون محايدة رسميا في مسائل الدين ، ولا تدعم الدين ولا تعارضه ، قد يشير مصطلح إلحاد الدولة إلى الحكومة المناهضة لرجال الدين، حيث تعارض السلطة المؤسسية الدينية وتأثير الدين في جميع جوانب الحياة العامة والسياسية، بما في ذلك تورط الدين في الحياة اليوميَّة للمواطن ، كان لكل من الجمهورية الروسية السوفيتية الاتحادية الاشتراكية (١٩١٧- ١٩٩١) والاتحاد السوفياتي (١٩٢٢-١٩٩١) تاريخًا طويلاً من تعزيز الإلحاد في الدولة ، على امتداد تاريخ الاتحاد السوفيتي أي قمعت السلطات السوفياتية واضطهدت مختلف أشكال المسيحية والدينية بدرجات مختلفة تبعًا لحقبة محددة إن السياسة السوفياتية المعتمدة على الأيديولوجية الماركسية اللينينة ، جعلت الإلحاد المذهب الرسمي للإتحاد السوفيتي ، وقد دعت الماركسية اللينينية باستمرار السيطرة والقمع، والقضاء على المعتقدات الدينية وكانت الدولة ملتزمة بهدم كل دين في بلد يحكم بالشيوعية ودمرت الكنائس والمساجد والمعابد، سَخِرت من القيادات الدينية وعرضتهم للمضايقات ونفذت بهم أحكام الإعدام، وأغرقت المدارس ووسائل الإعلام بتعاليم الإلحاد ، وبشكل عام روجت للإلحاد على أنه الحقيقة التي يجب على المجتمع تقبلها للقضاء على أفيون وحشيش العامة والبسطاء ، العدد الإجمالي لضحايا سياسات دولة السوفييت الإلحادية من المسيحيين تم تقديره بما يتراوح بين ١٢-٢٠ مليون والمسلمون اكثر من ذلك سواء في القوقاز والشيشان وتركستان الشرقية والغربية ومع ذلك استمرت المعتقدات والممارسات الدينية بين الغالبية العظمى من

السكان، في الميادين المحلية والخاصة ولكن أيضًا في الأماكن العامة المنتشرة المسموح بها من قبل الدولة التي اعترفت بفشلها في استئصال الدين والأخطار السياسية من اندلاع حرب ثقافية لا هوادة فيها تُعد الدولة الشيوعية في الخطاب المُتعارف عليه، دولة يتميز حكمها بشكل عام بحكم معين، وهو حكم الحزب الواحد أو حكم الحزب المسيطر الذي يكون حزبًا شيوعيًا، ويتمثل مبدأ الدولة في الولاء المعلن والمتفق عليه للإيديولوجية الشيوعية اللينينية أو الماركسية اللينينية. مصطلح الشيوعية يشير إلى مجموعة أفكار في التنظيم السياسي والمجتمعي مبنية على الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج في الاقتصاد ؛ تؤدي بحسب منظريها إلى إنهاء الطبقية الاجتماعية وإلى تغيّر مجتمعي يؤدي إلى انتفاء الحاجة للمال ومنظومة الدولة وفي العلوم السياسية والاجتماعية هي أيدلوجية اجتماعية اقتصادية سياسية وحركة هدفها الأساسي تأسيس مجتمع شيوعي بنظام اجتماعي اقتصادي مبني على الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج في ظل غياب الطبقات المجتمعية والمال ومنظومة الدولة يختلف المعنى الدقيق للشيوعية وغالبًا ما يُخلَط بينها وبين الاشتراكية في الخطاب السياسي العام ، النظرية الماركسية تؤكد أن الاشتراكية ما هي إلا مرحلة انتقالية في الطريق إلى الشيوعية، ولكن اللينينيون قاموا بمراجعة هذه النظرية عن طريق تقديم مفهوم حزب الطليعة للثورة البروليتارية والتحكم بجميع القوى السياسية بعد الثورة باسم العمال وبمشاركهم في المرحلة الانتقالية بين الرأسمالية والاشتراكية ، فالشيوعية نظرية اجتماعية وحركة سياسية ترمي إلى السيطرة على المجتمع ومقدّراته لصالح أفراد المجتمع بالتساوي ولا يمتاز فرد عن آخر بالمزايا التي تعود على المجتمع وتعدّ الشيوعية الماركسية تيّارًا تاريخيًّا من التيارات المعاصرة الأب الروحي للنظرية الشيوعية هو كارل ماركس، ويعدّ فلاديمير لينين من أهم من توغل في النظرية الشيوعية وأسهم في الكتابات والتطبيق فيها. ويذكر أيضًا روزا لكسمبورغ (١٨٧١ - ١٩١٩) كفيلسوفة ومنظّرة نشطت حتى اغتيالها.كان لدى مؤسس الماركسية ومنظّرها الرئيسي، المفكر الألماني كارل ماركس في القرن التاسع عشر، موقف متناقض تجاه الدين، إذ اعتبره في الأساس «أفيون الشعب» الذي

استخدمته الطبقات الحاكمة لإعطاء الطبقات العاملة أملًا زائفًا لآلاف السنين، كما أدرك أنه شكل من أشكال الاحتجاج من قبل الطبقات العاملة ضد ظروفهم الاقتصادية السيئة في التفسير الماركسي اللينيني للنظرية الماركسية، التي طورها في المقام الأول الثوري الروسي فلاديمير لينين، اندلع الفكر الإلحادي من المادية الجدلية ويحاول تفسير الدين وانتقاده.

يقول لينين: الدين هو أفيون الشعب – هذا القول المأثور لماركس، هو حجر الأساس في النظرة الماركسية العامة للدين لطالما اعتبرت الماركسية جميع الأديان والكنائس الحديثة وكل منظمة دينية عمومًا، أدوات رد فعل تعمل على الدفاع عن استغلال الطبقة البرجوازية للطبقة العاملة على الرغم من كون ماركس ولينين ملحدين، إلا أنه يوجد العديد من الجماعات الشيوعية الدينية، بما في ذلك الشيوعيين المسيحيين.

كانت الرابطة «منظمة مستقلة اسميًّا، أنشأها الحزب الشيوعي لتعزيز نشر فكرة الإلحاد». ونشرت صحيفتها الخاصة بها بالإضافة إلى مجلات عديدة ، ورعت محاضرات ونظمت مظاهرات للسخرية من الدين والتشجيع على نشر الإلحاد نُفذت الدعاية المناهضة للدين والمُدافعة عن الإلحاد في كل جزء من الحياة السوفيتية، بداية من المدارس وصولًا إلى وسائل الإعلام وحتى إلى استبدال الطقوس الدينية لتحل محلها طقوس أخرى على الرغم من تقديم لينين في الأصل التقويم الغريغوري إلى السوفييتين، إلا أن الجهود اللاحقة لإعادة تنظيم أيام الأسبوع لتحسين إنتاجية العمال شهدت ظهور التقويم الثوري السوفيتي، والذي كان له تأثير جانبي، إذ كان من النادر أن يكون يوم الأحد عطلة خلال حوالي عام من الثورة، صادرت الدولة جميع ممتلكات الكنيسة، بما في ذلك الكنائس نفسها، وفي الفترة التي استمرت من ١٩٢٢ إلى ١٩٢٦، قُتل ٢٨ أسقفًا أرثوذكسيًا روسيًا وأكثر من ١٢٠٠ كاهنًا (تعرض عدد أكبر بكثير للاضطهاد) أغلقت معظم معاهد التعليم الدينية، وحُظر نشر الكتابات الدينية قدر اجتماع لجنة الأديان التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي لعموم الاتحاد البلاشفة الذي انعقد في ٢٣ مايو ١٩٢٩، نسبة المؤمنين في الاتحاد السوفيتي بـ ٨٠ في المئة، ويمكن تقدير هذه النسبة

المئوية لإثبات نجاح الصراع مع الدين كانت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية تضم ٥٤٠٠٠ أبرشيًا قبل الحرب العالمية الأولى، خُفض هذا الرقم ليصل إلى ٥٠٠ بحلول عام ١٩٤٠. وبصورة عامة، بحلول ذلك العام نفسه، أغلقت ٩٠ في المئة من الكنائس والمعابد اليهودية والمساجد التي كانت تعمل في عام ١٩١٧، قسرًا، إذ أنها حُولت أو دُمرت .

على الرغم من محاولات الاتحاد السوفيتي المتعددة للقضاء على الدين والفظائع التي ارتكبت ، إلا أن الاتحاد السوفيتي السابق والدول المعادية للدين، مثل أرمينيا وكازاخستان وأوزبكستان وتركمانستان وقيرغيزستان وطاجيكستان وبيلاروسيا ومولدوفا وجورجيا، يعيش فيها أعداد كبيرة من السكان المتدينين. كتب بروفيسور الفلسفة والفكر الديني نيلز كريستيان نيلسن الذي كان يعمل بجامعة رايس، أن سكان «ما بعد الاتحاد السوفيتي»، وتحديدًا في المناطق التي كانت في الغالب أرثوذكسية، هي الآن «أمّية تقريبًا فيما يتعلق بالدين»، ما جعلهم يفتقرون العلم بالجوانب الفكرية أو الفلسفية لدينهم وليس لديهم تقريبا أي علم بالأديان الأخرى.

***

انهى عبد الرحيم الدكتوراه سنة ١٩٨٩ وأخذ يستعد للسفر والعمل في جامعة سعودية ، وكان قد تزوج قريبة لأبيه عام ١٩٨٨ ، فتاة كانت تعمل في سلك التعليم ، وكان يتحدث مع سمور وعاصم في بيت الوالد المريض تلك الفترة وخرجوا من حجرة نوم محسن وانتقلوا إلى صالون الشقة ثلاثتهم وتركوا سميحا والبنات عنده .فقال عبد الرحيم متسليا : ما بال الروس يتمللون هل فشلت البروسترايكا أو البريكستوريكايا ؟

قال سمور وهو يشعل سيجارته : لعلك شامت بنا .. فنحن غير الروس .. نحن لم نحكم سوى في اليمن الجنوبي أو لم نجربه إلا هناك .

هنف عبد : افشل نظام عربي وافقر بلد عربي ..وبالعنف والقتل تحكمون .. أنتم اكبر حركة دموية في العالم وفي التاريخ ربما تفوقتم على الأوربيين الذين ذبحوا الهنود الحمر .. أي سبقتم هتلر في التطهير .. لقد قتلت الشيوعية على مستوى العالم اكثر من مائة مليون بالتطهيرات

العرقية بالإبادة الجماعية بالجوع والمجاعات كما حدث في الصين بعد ثورة صاحبكم ماو تسي تونغ في منتصف الخمسينات أو مطلع الستينات

قال عاصم : لم يقتل احد هنا

تبسم عبد الرحيم لجواب عاصم وقال : حزبكم هنا حزب ضعيف، ولم يحكم هنا ، حتى في الانتخابات يفشل أو يفوز عضو أو اثنان باسمهم الشخصي ليس باسم الحزب .. وسمعنا عن شيوعيي اليمن الجنوبي واشتراكية سوريا وليبيا والعراق فأينما حكم الشيوعيون وأشباههم تجري الدماء الحمراء دون حساب

قال عاصم : أين عبد القادر ؟ لم يطل على أبيه .

قال سمور : يستعد للسفر إلى الخليج واتصل بي أنه سيمر الليلة

قال عبد الرحيم : سمعت انه قد يهاجر لكندا أو الولايات الأمريكية

ـ يفكر ما زال يفكر .. سيعمل سنة واحدة في الخليج ثم يسافر لكندا

سأل عبد عن زوجة سمور : ما جرى لزوجتك بعد تلك العملية ؟

ـ تكاد تموت ، وأنا منذ عدت من بغداد تركتها ولم نتطلق رسميا من اجل الطفلين وقد اتفقنا على ذلك نتواصل من اجل الطفلين .. وقد يحدث الطلاق رسميا بعد هذه الأزمة .

فقال عاصم مازحا : لماذا لا تتزوج ؟ فبنات الحزب العوانس كثيرات

تطلع فيه وقال جادا : فكرت ولكن .. لماذا ارتبط بامرأة بعقد شرعي وهن لا يهتممن به ؟ مجرد ورقة أمام الدولة وأهليهن .

فقال عبد الرحيم بحيرة : حياتكم غريبة ! لا ادري كيف تسلم أنثى نفسها لذكر بدون زواج ولا تراه فاحشة وزنا ؟ أو تحمل منه ؟

ـ خشية الطلاق وسماع كلمة الخيانة الزوجية من قبل الطرفين .

قال عاصم مدافعا عن نفسه : أنا منذ تزوجت لم ازنِ يا عبد الرحيم .. انتم الذين تسمونه زنى شعوب الأرض تسميه صداقة وحب .. أنا خفت من أمراض الجنس ..فهنا المرض فضيحة .

قال : هو زنا في كل العالم بغض النظر عن المسميات .. أي علاقة جنسية بدون وثيقة أو اتفاق رسمي وقانوني هي زنا ..وإن سموه بأسماء لماعة كما يسمون الربا أرباح أو فائدة والخمر مشروبات روحية والرقص فن .. وغير ذلك من الاصطلاحات الماكرة والخبيثة .. أو حتى بوي فرند أو عرفي .

قال سمور مفلسفا الحكمة : احسن من مصاريف على الزوجة .. مرضت الزوجة نقلها للمستشفى .. تخيل كم سأنفق لو لم اطلق وفاء شفويا واتفاقا مع أهلها عندما مرضت من اشهر .. كم سأنفق عليها ؟

فقال عاصم مبررا : وفاء غنية يا سمور .

ـ المهم سأساهم

قال عاصم باسما : ستبقى امرأتك ما لم توثق الطلاق بورقة .. ما يقول دكتور الشريعة في دخان سمور ؟

صدرت ضحكة من الجميع وقال عبد : تركت الخمر يا عاصم !

ـ على الخفيف .. لم تجب على سؤالي

ـ لما يدخل الإسلام سيعرف الجواب

قال سمور : متى سفرك ؟

ـ سأسافر وحدي ولما تلد السيدة الكريمة ستلحق بي .. ووصيت سميحا على رعايتها حتى تتعافى وتلحق به .

قال عاصم : عرفتم جنس المولود أم لا يجوز .

ـ تقول الطبيبة ولادة يوسف بنت والله اعلم وأبي يرغب بتسميتها فاطمة .

قال سمور : أوه اسم زوجته !

موت المعسكر الشرقي

بدأت حركات التحرر من الأحزاب الشيوعية والنظم الديكتاتورية في بولندا التي أسقطت نظاما شيوعيا شموليا عنيفا تابعا من عقود لموسكو ، بدأت الحركة الديمقراطية بالصعود في بداية الثمانينات إلى أن تمكنت عام ١٩٨٩من تشكيل أول حكومة بدون رئيس شيوعي وهو ليخ فاونسا أصبح عام ١٩٩٠أول رئيس منتخب للبلاد وامتدت فترته لعام ١٩٩٥ .

العدوى انتقلت سريعا لكل أوروبا الشرقية واشدها عنفا ودموية في الدولة الرومانية كانت فترة من أعمال العنف والشغب بدأت في ١٦ ديسمبر عام ١٩٨٩ كجزء من ثورات ١٩٨٩ التي حدثت في بعض البلدان بالأخص البلدان التي كانت جزء من الكتلة الشيوعية ، انتهت الثورة بمحاكمة شكلية وإعدام رئيس الحزب الشيوعي الروماني نيكولاي تشاوشيسكو وزوجته إلينا ، وبذلك انتهي الحكم الشيوعي في رومانيا بعد حكم دام ٤٢ عاما، وكانت أيضا أخر إطاحة بحكومة ماركسية–لينينية في حلف وارسو في أعقاب ثورات ١٩٨٩ والوحيدة التي قامت بالعنف . ثم جاء بعد بولندا الدور على المجر النظام هناك الذي تشجع لما رآه من غورباتشوف والحلفاء في الاتحاد السوفيتي ، مد يده إلى المعارضين أملاً في احتواء حالة الغضب بإصلاحات قليلة لكن سرعان ما سقط النظام القديم تحت جحافل المطالبين بالديمقراطية من الإصلاحات التي تمت فتحت الحدود بين المجر والنمسا، وهو أول مُسمار يتم دقه في نعش "الستار الحديدي" الذي فصل الكتلة الشرقية عن الغرب ساعد هذا على نشر حمّى الثورة إلى ألمانيا الشرقية ، الدولة الأقوى اقتصادياً من بين الدول التابعة للاتحاد السوفيتي وراح الآلاف من أبناء ألمانيا الشرقية يقضون "إجازاتهم" في المجر، ومنها يعبرون إلى الغرب ، نظام ألمانيا الشرقية الذي كان يقوده إريش هونيكر المتشدد، حاول احتواء الأزمة، لكن الضغوط بدأت في إحداث تصدعات تمت إزاحة هونيكر عن منصبه، وحل محله "الإصلاحي" إيجون كرينز زار كرينز جورباتشوف في موسكو بنهاية شهر أكتوبر، حيث قال جورباتشوف إنه لن يدعم استخدام القوة لمحاولة وقف تدفق اللاجئين من الشرق للغرب

وعلى خطى ألمانيا الشرقية ، سارت كلّ من تشيكوسلوفاكيا وبلغاريا ، فالمرحلة الانتقالية بدأت في تشيكوسلوفاكيا في تشرين الثاني، وكانت جدّ سلميّة ولذا عُرفت بـ الثورة المخملية فاصبحت دولة للتشيك وأخرى سلوفاكيا وأصبح المنشقّ والكاتب المسرحي فاتسلاف هافيل، دوبتشيك في العام ١٩٨٩ رئيساً.

على رأس الحزب الشيوعي السوفيتي اللجنة المركزية المنتخبة من قبل مؤتمر الحزب والمؤتمرات الأخرى وتتولى اللجنة المركزية بدورها انتخاب المكتب السياسي للحزب الذي يرأسه أمين عام وبحكم الأمر الواقع فإن الأمانة العامة أعلى منصب سياسي في الاتحاد السوفيتي

حافظ الحزب على هيمنته الكاملة على الحياة السياسية في الاتحاد السوفيتي من خلال سيطرته على التعيينات ،والمناصب الحكومية الهامة والقيادية ، وعضوية مجلس السوفييت الأعلى شغلت من قبل كبار أعضاء الحزب من ستالين وخروتشيف الذين شغلا منصب رئيس مجلس الدولة.

الحرب الباردة هي فترة من التوتر الجغرافي السياسي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وحلفائهم، الكتلة الغربية والكتلة الشرقية، والتي بدأت في أعقاب الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ يُستخدم مصطلح الحرب الباردة للدلالة على عدم اندلاع قتال مباشر واسع النطاق بين القوتين العظميين ، إلا أن كل منهما دعم النزاعات الإقليمية الكبرى المعروفة باسم الحروب بالوكالة ، فكل النزاعات بين دول العالم الثالث بسبب الصراع بين الولايات المتحدة وروسيا دار النزاع حول الصراع الأيديولوجي والجيوسياسي من أجل تحقيق القوتين العظميين النفوذ العالمي ، وذلك عقب تحالفهما المؤقت وانتصارهما ضد ألمانيا النازية في عام ١٩٤٥ ، علاوة على تطوير الترسانات النووية والانتشار العسكري التقليدي ، جرى التعبير عن الكفاح لتحقيق الهيمنة بوسائل غير مباشرة كالحرب النفسية ، والحملات الدعائية، والتجسس، وعمليات الحظر طويلة الأمد، والتنافس في المحافل الرياضية، والسباق التكنولوجي وغزو الفضاء والأقمار الصناعية سعت بعض الدول الكبيرة العدد أن تشكل طرفا ثالثا أمام هذين المعسكرين فشكلوا في الخمسينات منظمة عدم الانحياز أي الانحياز لأحدى الكتلتين ولكنها منظمة

ضعيفة وغي منحازة ، فاغلب دولها إما تابعة للشرق وإما للغرب ، وهي في حروب دائمة ومتكررة فالعرب مشغولون بمقارعة إسرائيل وحروب بين بعضهم البعض أو حروب أهلية وكل الأطراف تعتمد على تسليح وسلاح احد المعسكرين فمن أين سيأتي عدم الانحياز .

بعد تدهور الأوضاع في الاتحاد السوفيتي ووعود غورباتشوف بالإصلاح الاقتصادي وخفض التوتر الأمريكي السوفيتي تفكك الاتحاد السوفيتي بعدما وصل بوريس يلتسن إلى الحكم في روسيا وإعلان رابطة الدول المستقلة.. وفشل الإصلاح في كل المعسكر الشرقي وظهرت أحزاب متعددة في كل الدول الاشتراكية الروسية .

بعد اتفاقية حل الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ تم إعلان رابطة الدول المستقلة وأصبح بوريس يلتسن أول رئيس للاتحاد الروسي بعدما تفكك الاتحاد السوفيتي وسقوط النظام الشيوعي ولكن رغم سقوط الاشتراكية في روسيا شُكِّلَ فيها الحزب الشيوعي لروسيا الاتحادية.

أتت ثورات ١٩٨٩ المعروفة أيضًا باسم سقوط الشيوعية وانهيار الشيوعية وثورات أوروبا الشرقية وخريف الدول هي الثورات أطاحت بالدول الشيوعية في مناطق مختلفة في دول أوروبا الوسطى والشرقية ، تم حل الاتحاد السوفيتي بحلول نهاية عام ١٩٩١م، مما نتج عنه ميلاد ١٤ دولة في أوروبا واسيا .

***

كتب عبد الرحيم رسالة مطولة لسمور وعاصم يهنئهم فيها بتفكك الاتحاد السوفيتي زعيم الشيوعية في كل العالم ، ويبارك انتصار الشعوب على الإلحاد ، ويدعوهم لترك أحلام حكم العالم ووصول الناس لطبقة أو المرحلة الشيوعية حلم الشيوعيين ماركس وانجلز صاحبا البيان الشيوعي الأول عام ١٨٤٨ ، وإنما هي وسيلة اتخذوها لمحاربة الرأسمالية والكنيسة ثم الإسلام وقيام دولة إسرائيل الحلم الصهيوني حلم تيودور هيرتزل الدولة اليهودية الوحيدة في العالم مع أن ستالين صنع دولة أو جمهورية لليهود في روسيا ولم يهتم بها أي صهيوني أو يهودي .

كان الشباب العربي اليساري الملحد المتطرف المستغرق بانتظار ظهور دولة شيوعية عربية قوية

مصدوما بسقوط زعيمهم ومحط رحالهم وفخرهم وتبرير خيانتهم لأمتهم ودينهم ، ولقد كانت أحلام كل ماركسي عربي شد الرحال لموسكو ورؤية الزعيم مجرد رؤية لينفش فيها ريشه أمام الناس ، فكيف من شارك في اجتماع مع الرئيس أو قادة الحزب ورثة لينين وستالين ، هناك من بكى على موت الماركسية الروسية واتهم غورباتشوف بالعميل والخائن الأكبر ، واتهم من استلم بعده بوريس يلتسن مخبرا أمريكيا ، ماتت دولة الحزب الواحد قبلة وكعبة الشيوعيين العرب .. وكذلك صدمت أحزاب اليسار الفلسطيني من موت الاتحاد السوفيتي وزعموا انهم فقدوا سيدا مهما لهم ، وطفقوا يلملمون انفسهم والبحث عن أسماء جديدة لأحزابهم وتجمعاتهم وكثرت الأسماء في ساحات الوطن العربي من شرقه لغربه ، والمتلونون منهم اسرعوا إلى العلمانية الغربية عسى أن تقبل بهم بعد كفرهم بعلمانية الشيوعية .

كتب عبد الرحيم لعاصم الذي كان يراه ناعقا لسمور بالعودة للإسلام بدلا من العودة للرأسمالية الغربية ، فهذه بلاد ستبقى تدين بالتوحيد والإيمان رغم انفلات الناس شرقا وغربا ولكنهم لمجموع المسلمين لا شيء لا عدد رقم لا يذكر فكم من الغزاة دخل البلاد قديما وحديثا وظل العرب عربا والإسلام إسلاما ؛ إنما أبواقهم الإعلامية هي التي تنفخهم أمام العامة حتى يخيل إليك من سحرهم أن كل الشعب تبع لهم ولفكرهم وفسادهم ، وسياستهم الماكرة التضخيم والتهويل ، واذا هرع الناس مسايرة لصناديق الاقتراع تجد انهم لا شيء يفوز واحد أو اثنان لا تأثير لهم في صنع القرار وسياسة البلد وإنما يجاملون بالمناصب والكراسي لإرضاء من يدعمهم واحتوائهم ومناكفة بخصومهم ، حتى أن الغرب الحاقد يشجعهم على ذلك كرها وحقدا على الإسلام وحملة الإسلام ، وحثه على مراجعة أفكاره السمورية وفهم الإسلام فكرا وعقيدة ؛ وليس محاكاة وتقليدا للعامة من ناس الإسلام ما دام محبا للعلم والقراءة .. الناس ليس حجة على الإسلام الحجة الكتاب والسنة النبوية الصحيحة ، كانت صيحة من عبد الرحيم لفرد من أسرته .. فكم من مجلات وصحف ظهرت في ارض العرب وبلاد الإسلام كانت مدعومة من مخابرات الدول الغربية من مراكز تديرها تلك الأجهزة لتفتيت المسلمين و لدفعهم

لقبول وجود دولة عبرية في ارض لسانها كله ينطق العربية .. حتى الأقليات المهاجرة من بلدان شتى تتكلم لغة القرآن .. حتى انه كانت تدفعهم لحمل الشيوعية والوجودية والمادية وكل ضلال وغي .

***

كان عاصم يقرأ رسالة من شقيقه عبد القادر الذي هاجر لكندا هو وزوجته بعد قضاء سنتين في الخليج وولدت له بنتا أثناء الإقامة في الخليج قبل الهجرة الطوعية لكندا ، ولم تلد له هناك رغم مرور سنوات على هجرتها ، وكان الرسالة شبة تعزية بموت الحزب الشيوعي السوفيتي ودول شرق أوروبا وسقوط سور برلين ثم يدعوه للهجرة إلى كندا أو أمريكا فهم بحاجة لمهندسين وأطباء ، فبعد أن اطلع عليها قال لسمور حيث كانا يجلس في مقهى وسط عمان : هذه رسالة من عبد القادر يشمت بي مثل عبد الرحيم ؛ كأنني أنا الحزب الشيوعي مع إنني تركت الحزب الشيوعي هنا لما حصل الانشقاق بين الرفاق عند انتخابات ٨٩.

عقب سمور : هزمنا وإن ضعف حزبنا .. كنا ندافع بشراسة عن ستالين وإجرامه وسيده لينين كنا نعتقد أن نجاة العالم العربي من براثن الغرب بالماركسية .. ثم تنهد وقال : ارتاحت وفاء من هذه اللحظات المؤلمة كانت تحلم بزيارة موسكو رغم إصلاحات غورباتشوف .. ماتت قبل هذه السنوات العجاف .. أنا الذي يحرني اكثر رسائل عبد الرحيم زاعما أننا تاجرنا في الهواء .

ـ فكرت بالعودة !

قال بحدة وضجر : لا تفكر بالعودة ، فالإسلام دين فشل زمان قبل ظهور الشيوعية كل بلاد الإسلام تعرضت للاستعمار .. والشيوعية والأحزاب الشيوعية حررت الكثير منها بمدها بالسلاح الروسي والصيني والكوري والكوبي .

ـ الغرب سحقنا.. الرأسمالية هزمت الاشتراكية .. يلبسون في روسيا ملابس الغرب ويأكلون خبز المانيا وهامبرغر أمريكا وجينز أوروبا .. كل تقليعات أمريكا في موسكو اذا صح ما ينشر ويبث في الأخبار

ضحك سمور للحظات وقال : تهويل غربي .. روسيا تغذي العالم بالقمح وغيره ..هناك تعديلات كبيرة ستحصل للأحزاب الشعبية والحركات الشعبية في بلادنا بلاد العرب أوطاني .. وسيعود الحزب الشيوعي الروسي قويا بعد تطهيره من أعوان الغرب وعلمانية الغرب يا أبا حاتم

قال عاصم بحرقة : كنا نسخر من تهكم المسلمين على أن الشيوعية ستصبح تاريخا كغيرها من المذاهب المعاصرة يحملها مجرد أفراد كالوجودية وغيرها

قال : لم تسقط شيوعية الصين وكوبا وفيتنام ولاوس وكوريا الشمالية

أجاب عاصم بعقلية المؤرخ : مسألة وقت يقولون .. والصين لم يكن اقتصادها اشتراكيا بالكامل يا سمور .. هل أهاجر كما فعل الشباب .. عبد القادر يتغزل بكندا .

ـ كندا بلد كلها جليد وأمطار وبرد .. القرار لك يا أبا حاتم .. المهم دعك من خيالات عبد الرحيم الرجعي المتخلف .

قال عاصم : أنا كان عبد الرحيم يهزمني بالجدل وأظن أنه متعصب وأنه يخرف بموت الحزب الروسي من مطلع الثمانينات وهو على مقاعد الدرس ..كيف حصل هذا ؟

قال سمور مبررا : خيانة .. والحرب الباردة دمرت اقتصاد حزب وارسو أو حلف وارسو.. سمعت أن عبد الرحيم سيعود هذا الصيف .. سأرحل لبنان لأقضي إجازة فقد استطاع مؤتمر الطائف إنهاء الحرب الأهلية فيه وبدأت الحياة تعود إليه والكيف والمتعة .

ـ ولكن هناك حزب ايران في صعود .. وحصار العراق يشتد كان هزيمة مدوية لصدام وهاهم ذهبوا لمؤتمر سلام بين باقي العرب وإسرائيل في مدريد .. كيف فكر بغزو الكويت ؟ أهذا فعل عاقل يا أبا عبير ؟

ضحك سمور : طول عمرنا نسمع عن مؤتمرات سلام دون سلام ..حرب حرب .. لا تكاد تمضي عشر سنوات حتى تخوض إسرائيل حربا ، منذ أنشئت جرحا نازفا في العرب .. ٤٨ .. ٥٦ .. ٦٧ .. ٧٣ .. ٨٢ .. وحروب فرعية ..منذ نشأتها وهم يوهموننا بالسلام .. ورأينا وعشنا

سلام مصر .. فهو في الحقيقة استسلام .. ما زالت مصر دولة فقيرة ..أموال التسليح والقوات المسلحة أين ذهبت ؟ ونصف شعبها يجوب بقاع الأرض بحثا عن لقمة العيش .. يا رجل الصين التي فيها اكثر من مليار إنسان تطورت وصارت صناعاتها تغزو العالم رويدا رويدا .. أسلحة صينية .. صناعة صينية ..

ـ هل ترى أولادك عبير وسلام ؟

ـ من حين لآخر .. هما كما تعلم عند أم وفاء .. لم يحضر إسماعيل ولا راضي

ـ فعلا تأخرا ماذا يريدان منا ؟! ألا تعرف ؟

قال : لا شيء .. جلسة عادية مجرد لقاء .. لم يتحدثا بشيء عن هذا اللقاء .. وشبعنا شايا وقهوة قبل مجيئهما .

ـ ها هو طل سمعة وحده عند ذكر القط ببان .

تقدم نحوهما سمعة وعانقهما وقال : آسف آسف فعلا ..أخرني راضي ثم اعتذر .. فقريب له توفي قبل ساعات بحادث سير وذهب مع إخوته للمستشفى واتصل بي من هناك

بعد دردشة عن الحزب والسعي لهيكلة الحزب وتجميع الرفاق ووضع أفكار حديثة ومراجعات وانه يمر على الرفاق لانتخاب قيادة جديدة .. وإعادة العناصر التي انسلخت من الحركة اليسارية فقال عاصم محتدا لما علم سبب هذه الدعوة : اسمع يا إسماعيل .. أنا لا تحاول معي فبعد طردي بقلة أدب وفصلي علنا لا افكر بالعودة لأي قسم سواء حزبك أو جماعة غيرك وانتم ترون أن الحزب الأم مات في روسيا وغيرها.. وفشلوا في كل دول أوروبا الشرقية .. فهل سننجح هنا أو حتى في دولة عربية أخرى .. يا رجل سمعت أن الحكومة كفت عن مطاردة نشطاء الحزب وقسم المتابعة في المخابرات اغلق مكتبه عن الشيوعيين ومراقبتهم .

ـ يا سيد عاصم سيقدم لك بدر والشباب أي اعتذار وسيجري تعديلات كبيرة على حزبنا والحزب في روسيا سيعود تأكد أنه سيعود .. الاقتصاد والتكنولوجيا أضعفت الحزب وأنت يا سمور

ـ أنا سأسافر إلى بيروت .. الجبهة أرسلت لي طلب لمقابلة مهمة لبعض القيادات واحتمال إرسالي للعمل في الجزائر أو ليبيا اذا سمحت المخابرات الليبية بوجودي بينهم فلديهم شغل كثير

فقال سمعة : هذا سبب هذا اللقاء .. طلبوا مني دعوة الشباب الزعلانين للعودة لبناء فرع قوي مع تعديل للايدلوجية والفكر .. وما زال يا إخوان الحزب الشيوعي في الصين وكوبا وغيرهما قويا ونشيطا وحاكما للبلاد والعباد .. والانتخابات ستكون عام ٩٣ .

قال عاصم : بالدم والدبابات ..ماذا فعل الجيش الصيني في ساحة التي لا اعرف اسمها .. ميدان تيان أن من كأنه هكذا يلفظ

***

كانت الصين تمر بتغييرات كبيرة في الثمانينيات من القرن الماضي ؛ حيث بدأ الحزب الشيوعي الحاكم بالسماح بعمل بعض الشركات الخاصة والاستثمار الأجنبي ، كان الزعيم دينغ شياو بينغ يأمل في أن يعزز ذلك اقتصاد البلاد ويرفع مستويات المعيشة للناس ، لكن هذه الخطوة جلبت معها الفساد أيضاً، وفي الوقت نفسه بعثت الآمال في مزيد من الانفتاح السياسي، وانقسم الحزب الشيوعي بين أولئك الذين كانوا يحثون على التغيير السريع وبين المتشددين الذين أرادوا الحفاظ على تحكم الدولة بمفاصل الحياة بحزم. وذلك مثل روسيا وأوروبا الشرقية .

وفي منتصف الثمانينيات، قاد الطلاب احتجاجات في العاصمة بكين، وكان من بين المشاركين أشخاص عاشوا في الخارج وتبنوا أفكاراً جديدة وعاشوا مستويات معيشية أفضل، في ربيع عام ١٩٨٩ اندلعت احتجاجات تطالب بالمزيد من الحرية السياسية ، اندلعت شرارة المظاهرات عند وفاة السياسي البارز، هو ياوبانغ، الذي أشرف على بعض الاصلاحات الاقتصادية والسياسية والذي تم طرده من منصب رفيع في الحزب الشيوعي قبل ذلك بعامين من قبل خصومه السياسيين. وفي نيسان، تجمع عشرات الآلاف لحضور جنازته، مرددين شعارات تطالب بمزيد من حرية التعبير وتخفيف الرقابة. ، وفي الأسابيع التالية، تجمع المتظاهرون، الذين قدرت أعدادهم بنحو مليون، في أكبر تجمع لهم في ساحة تيانانمن التي تعد من أشهر معالم

العاصمة بكين ، وفي الأسبوعين الأخيرين من شهر أيار تم فرض الأحكام العسكرية في بكين. وفي ٣ و ٤ من حزيران، بدأت القوات في التحرك نحو ساحة تيانانمن، وفتحت النار على المتظاهرين وسحقتهم واعتقلت العديد منهم بغية استعادة السيطرة على المنطقة.

وقالت الحكومة الصينية في أواخر حزيران، إن ٢٠٠ مدني وعشرات من رجال الأمن قد قتلوا إلا أن التقديرات الأخرى فتراوحت بين مئات إلى عدة آلاف من القتلى . وكشفت برقية دبلوماسية من السفير البريطاني في الصين قالت إن عشرة آلاف شخص لقوا حتفهم.

***

قال سمعة بحماس : المهم الخونة هناك فشلوا فشلا مؤزرا .

قال عاصم : سأطلق الشيوعية نكاية بكم وليس فقط الحزب

ـ طلق الشيوعية وصلي وصوم وظل معنا

ـ سيسخر مني عبد الرحيم

ـ هو عبد الرحيم هنا .. أليس هو في السعودية ؟

قال : سيعود خلال الصيف .. رفضتم مناقشته

ـ وماذا سنجني من مناقشته يا عاصم ! ناقشنا اعلم منه دون فائدة .. فكل مجالسنا نقاش مع هؤلاء الرجعيين

قال سمور : نحن نناقش قضية لا تهتم بها الشيوعية .. قضية وجود الله

قال سمعة : هذه قضية لا تهمنا كثيرا ولم يهتم بها ماركس ولا لينين

قال عاصم : قرأت وقرأت ما يقول الخصوم وتبيَّن بعد انهيارها أنَّها لم تفلحْ في القضاء على القوميَّات المتنافِرة ، بل زادتها اشتعالاً، ولم تسمح بقدْرٍ ولو ضئيل من الحرية، بل عمدَتْ دائمًا إلى سياسة الظلم والقمع والعنف ، والنفي والقتْل، وحوَّلت أتباعَها إلى قطيع من البشر، وهكذا باءتْ جميع نبوءات كارل ماركس بالفشَل، وأصْبح مصيرُ النظرية الفناء.. هل عندك تعليق ؟ كما أنَّ الواقِع الحي المعاصِر يؤكِّد أنَّ بضعة ملايين مِن الأشخاص، قد فرُّوا من شرق ألمانيا

الاشتراكي إلى غرْبها الرأس مالي، بمجرد فتح حدود المجر مع النمسا ، والواقع يقول أنَّه لم يهربْ واحد فقط مِن غرب ألمانيا إلى شرقها، وإذا كانتِ الشيوعية صادقةً فيما تقول: لماذا نسمع باستمرارٍ عن هروب أفراد مِن بلادهم ذات النعيم المقيم على حدِّ تعبيرهم، إلى البلاد غير الاشتراكية ذات الجحيم الذي لا يُطاق؟! وإذا كانتْ بلادهم كما وصفوها، لماذا يضربون الأسوار حولَ شعوبهم؟! ولا يشاهدون ولا يسمعون إلا ما تفرضه شيوعتهم من أفلام وبرامج وحوارات ؟ ولماذا يمنعونهم من السَّفر للخارج؟! ولماذا لا يدعونهم يذهبون في رحلات سياحيَّة للبلدان التي وُصِفت بالجحيم؛ كي يروا الجحيم بأمِّ أعينهم؟! وماذا عن حرْمان مواطنيهم الذي يجعلهم يتتبَّعون السيَّاح الأجانب؛ من أجْل بقية الطعام أو لفافة دخان يعطونهم إيَّاها؟! أو بنطلون جينز ؟ ولماذا يذهب وفدٌ رياضي؛ لتمثيل بلادهم في منافسات خارجيَّة فيهرب واحدٌ أو اثنان أو ثلاثة لبلدان الجحيم!! كنا نظن ذلك دعاية غربية لترك الحزب ؟ قل لي ماذا فعل حزبنا العربي لشعب اليمن الجنوبي ؟ أين الرفاهية منذ سبعين سنة ؟ كلام كلام اجتماعات بيانات دون جدوى دون ثمرة إلى متى سنبقى ننتظر ونصدق شعارات الشيوعية ؟ لي عمر افكر .. ولم اجد شيئا نافعا للجماعة ؟ اسر مشوهة تذهب للشراب للهروب من الواقع المر يا إسماعيل !

تنهد إسماعيل وتطلع في عيني سمور الصامت كالتمثال : أوه ! هذا أنت صرت إسلاميا أو تحريريا .

حدق فيهما وقال : لم أصر شيئا بعد ؛ لكني سمحت لنفسي أن اقرأ لخصومكم .. وأنت تعلم قراءتي للتاريخ الأوروبي والمعاصر .

ـ يا لك من جهبذ هل ناقشت سمورا بذلك؟

ـ سمور مثل التمثال حقا .. لا يفكر بالتراجع حتى لو يبق ماركسيا في الأرض إلا هو .. هو حفظ الدرس من أيام المدرسة ولن يتراجع عن أفكار الشيوعية فلا يحب النقاش فكله عنده مسلمات ومنطق .. آلة العقل عنده في استراحة وكما قيل من شب على شيء شاب عليه .. هذا

حال أخي سمور

قال سمور معلقا : قضينا افضل سنوات العمر في ذلك .. فهل نتخلى عن تلك السنوات ؟..

دعك منه يا إسماعيل .. فعاصم فتل مخه عبد الرحيم برسائله .

ـ لم يفتل مخي .. فعبد منذ خلص الدكتوراة تزوج وسافر .. ربما تلقيت منه بضع رسائل .. لكنني غيرت اتجاه القراءة الذاتية .

***

رجع الدكتور من السعودية صيف ٩٢ أو مطلع الخريف .. الأصح في شهر أيلول في إجازة مدتها شهر واحد وانشغل بالترحيب بالأهل والأنساب والأصدقاء وصحة الوالد محسن الذي فرح برؤيته خشية أن يموت ولا يراه ، فهو اكثر الأولاد برا به مع سميح ، وهو الذي زوجه بأرملة تؤنسه في وحدته ، وكان عبد الرحيم قد اشترى شقة في منطقة اسمها ضاحية الحسين في غرب المدينة الكبيرة والعامرة ، وكان مرحبا بشقيقه سميح وأولاده فقد ساعده ماديا أثناء دراسة الماجستير والدكتوراه ، وفي مثل هذه الإجازات يترك الوالد بيته في حي القلعة ويقضي زمنا مع ابنه الغالي كما يقول ، وكان الشاب ينفق على أبيه بسخاء، ويساعد سميح ويرد له الجميل ويدرس ابنته الكبيرة سليمة في الجامعة على نفقته عرفانا بما قدمه له سميح للدراسات العليا .

جاء عاصم لزيارة عبد وأبيه ، ويسلم على شقيقه كعادة متبعة بزيارة العائد من السفر ، وبعد العناق والتقاليد المعتادة قال عاصم : أهلا بأخي الصغير .

ـ أهلا بالمهندس الغالي عاصم ما أخبار سمور ؟

قال عاصم : سمعت انه تزوج في بيروت مناضلة من الجبهة

ـ شيوعيو العرب في حيص بيص بعد سقوط جدار برلين واختفاء الستار الحديدي وذكر لي سميح انك رفضت العودة لحزب الإلحاد .

قال : كفرت بالأحزاب والحركات ..ها هي منظمة التحرير تفاوض إسرائيل على جزء من

الضفة الغربية .. المهم كرسي .

قال عبد : سمعنا أو سرب أن هناك مفاوضات سرية على غزة وأريحا وعلى الاعتراف بإسرائيل

هتف عاصم : سرية !

ـ سرية عند العرب فحسب .. أما في صحف أوروبا يسربون ذلك

علق مفسرا : احتلال الكويت كان كارثة على العرب ..حتى سوريا لوقوفها ضد العراق هرولت لمؤتمر مدريد ..تحس كأنها مسرحيات هذه العداوات ؛ كما حصل في حرب تشرين

ـ سوريا من زمان مهرولة .. المهم بقاء النظام الأسدي .. ألم تقف مع ايران علنا يا أبا جيفارا ألم تلقب ابنك حاتم بجيفارا العرب

ضحك وقال : غلطة كان هذا الاختيار .. كنت مفتونا به وبنضاله ضد اللبرالية .. سمعت أنك ألفت كتابا عن الشيوعية في العالم

ـ كتبته لمن يقرأ من شباب الأمة بينت فيه عوار وفساد مذهب ماركس ولينين .. هل تعلم أن لينين نبي الشيوعية خاض حرب أهلية في روسيا هلك فيها الملايين من المدنيين والجيش الروسي ولا احد ينشر تفاصيلها .

قال عاصم : هل طبعته ؟

ـ بعد ، لديّ مسودة وملخص عنه اذا رغبت بالقراءة سأصور لك الملخص

قال : افعل يا أبا عبد الرحمن .. أنا أحببتهم لحياتي في بلغاريا أثناء الدراسة ولعلاقتي بسمور الأكبر مني بسنة كما تعرف كنت أرآه كبيرا في الحركة ومهما في نشر أفكار ماركس

ـ ابشر يا أخي وبعد اطلاعك على الملخص ناقشني إما على التلفون أو بالبريد

قال : كما قال لك سميح سعوا لإعادتي للحزب الميت .

ـ على كل حال من أعماق قلبي أتمنى أن تعود للإسلام أنت وأخوك سمور ..ما أخبار عبد القادر ؟

ـ مثل العمى .

دهش السامعون وقال سميح المستمع للأخوين بعدما ترك الوالد مع البنات وزوجته امرأة أبيه : ما الأمر ؟

ـ قبل أيام اتصل بي بأنه يفكر بترك أحلام كندا

قال سميح بدهشة : السبب !

ـ السبب كما ذكر بأنه يفكر بطلاق زوجته أم طفلته الوحيدة

قال عبد : كان يتغنى بها وبكندا

ـ قال وجدها تصادق شبابا مغتربين وتسكر وتسهر معهم بدون حشمة وشرف .. عاد ليلة مبكرا من العمل الليلي وجد البيت صالة رقص وخمر .

تبسم عبد وقال : أليست هذه حياة الناس هناك ؟ لهو لهو .. اللهو فنون عندهم .. حياة فارغة حياة بلا روح وعبادات .. كيف سيقضون ساعات ليلهم بغير الفواحش يا عاصم ؟

فقال المهندس عاصم : لكن لا ادري بعد حديثنا الأخير على الهاتف ما الذي جرى ؟ لكنه كان متألما كما بدا لي ومتعبا ومتضايقا من أفعال أم صفاء .. ألا تتواصل معه يا عبد ؟

هز رأسه نافيا : لا ، ولا هو يتواصل معي لا بالهاتف ولا بالرسائل هو نفر مني مثلكم لا يتحمل سماع نقدي وكلامي .. أيتواصل معك يا أبا محسن ؟

قال سميح : نادرا عندما امرض أو يسمع عني شيئا من عاصم ..وكلامك اعتقد أنه يؤكد أن خط التمسك بالدين افضل من تقليد الغرب والشرق .

قال عاصم : الطلاق والمشاكل الاجتماعية موجودة عند كل الناس سواء في الشرق أم والغرب الشمال أم والجنوب .

قال عبد الرحيم :هذه سنة الحياة ؛ ولكنها عند المسلمين اعتقد اقل عنفا وطلاقا حتى في مجتمع لا يحتكم لقانون السماء كما هو الآن في كل بلاد المسلمين .

قال سميح : هدى الله الأمة لدينها الصحيح .. كيف أنت والسياسة ؟

ـ ما زلت على الخفيف أو قل الخبر هو الذي يفرض نفسه عليّ .. اقرأ القليل من الأخبار ..

فالوقت لا يتسع للتدريس والتحضير والتأليف .. فتركت السياسة لأهلها .. ماذا نستفيد فلان صرح وفلان رد فلان زار روسيا أمريكا .. الحمد لله الذي عافانا منها ومن سوالفها الفارغة
قال سميح : لا تنتهي لنا أربعون سنة نسمع عن تحرير الوطن من المية للمية من النهر للبحر واليوم نسمع عن السلام والاعتراف بإسرائيل ..نخ الجمل
ضحك عبد وقال : استسلم المناضلون والأشاوس منذ اعترفوا ب ٢٤٢ و ٣٣٨ ؛ لكن من يقرأ يا عم سميح ؟
فقال عاصم : الحال بعد لعنة الخليج مأساوي .. العراق محاصر .. ايران تحارب العراق ثمان سنوات ثم ينتقل البطل لدخول الكويت ويتحدى دول الاستكبار دون قوة رادعة .. اليوم سوريا ودول الطوق تقبل الجلوس مع إسرائيل للتفاوض .
قال سميح متذكرا أواخر الستينات : آه على بيانات الثورة أيام زمان ! أيام البيانات الثورية والأناشيد الثورية حيث كان البسطاء مثلنا يظنون أن العودة قد اقتربت .. كله ثبت تدجين
ضحك عبد وقال : لا داعي يا أبا محسن للحسرة والأسف أنا كنت طفلا عندما ظهرت المنظمة والثوار ومع صغري لم اقتنع يوما بهم ..الأقوال أكثر من الأفعال .. وابتعد عنهم الإسلاميون ولما كنت في أول سنوات الجامعة وحدثت حرب ٨٢ قالوا انتهت منظمة التحرير أصبحت قواتها في سبع بلاد بعيدة عن فلسطين فهي لم تحررها وهي بجوارها فكيف ستحررها وهي تقبع في تونس واليمن الجنوبي ..
قال عاصم مؤكدا : كلام صحيح قال احدهم : ثورة بسفارات ووزرات ورواتب ودرجات ومحسوبيات ستحرر ارض مسلوبة .. وها نحن كما قال عبد نشم رياح اتفاقات سرية بين العرب وإسرائيل . . حتى العرب لا يجتمعون على مبدأ ..
ـ بعضهم قال من أيام البنود العشرة وغصن الزيتون القضية انتهت .. أنا لا اعرف قصة البنود العشر .. ولا قصة غصن الزيتون .. إلا اذا يقصدون غصن أبي عمار في الأمم المتحدة
قال عاصم وهو يبتسم : هو هو .. الحركة الشيوعية كانت مرتبكة في قضية فلسطين بسبب

اعتراف الرأس الكبير ستالين بإسرائيل بعد الولايات المتحدة وبريطانيا .. حقيقة من تعمق في السياسة الدولية يرى أن المؤامرة اكبر من المنظمة والشعب الفلسطيني وحتى العربي أيها الأصدقاء كانت انشقاقات كثيرة تحدث هنا وهناك في كل منظمات وحركات التحرير .. حركة فتح انشق عنها صبري البنا والجبهة الشعبية انشقت عنها الديمقراطية ثم القيادة العامة .. وفتح الانتفاضة مع أحداث بيروت وطرابلس لبنان .. مرة مع سوريا ومرة ضد سوريا .. وها هم جميعهم مع مدريد .

ـ هون عليك أبا حاتم " قل كل من عند الله"

عاصم : قرآن

ـ نعم ، لا يجري امر إلا بأمره سبحانه وتعالى

الكومنتيرن

الحزب الشيوعي الروسي لينشر أفكاره على مستوى العالم ويدعم أنصاره حول العالم أسس وساعد في عام ١٩١٩م الشيوعيُّون الروس في إنشاء الكومنتيرن (الدولية الشيوعية)، ووحَّد الكومنتيرن جميعَ الأحزاب الشيوعية في العالَم في تنظيمٍ ثوريٍّ منظَّم ، وأصبح أداةً في يدِ القادة السوفييت، ولَمَّا باءت محاولات هذا التنظيم الشيوعي في تشجيع الثورات في البلدان الأخرى بالفشَل، تم إلْغاء هذا التنظيم عام ١٩٤٣م وذلك خلال الحرب العالمية الثانية ،الدول العربية كانت اغلبها تحت الاستعمار الأوروبي فلم يكن فيها أحزاب شيوعية ، إنما أفراد وجماعات صغيرة يحملون الفكر اليساري الشيوعي في مصر وسوريا ولبنان والعراق فلسطين ، الصين أثناء الحرب الكونية لم يكن يحكمها الحزب الشيوعي كان مجرد حزب يناضل ويحارب الآخرين وقد كان للشيوعيِّين بقيادة ماوتسي تونج اليدُ العليا في هذه الحرْب، وفي عام ١٩٤٩م سيطر الشيوعيُّون في الصِّين على كافَّة الأراضي الصِّينيَّة الرئيسيَّة.. وانحسر الاستعمار الياباني عن المناطق الخاضعة له .

في عام ١٩٤٧م أُنشِئتْ تسعة أحزاب شيوعية أوروبية الكومينفورم (دائرة الإعلام الشيوعي)، وقد سيْطر السوفييت على الكومينفورم، وحاولوا استخدامَه من أجْل ضمان استمرار الأحزاب الأخرى في اتِّباع سياستهم، طُردتْ يوغوسلافيا من الكومينفورم عام ١٩٤٨م ، بعدَما رفض جوزيف تيتو أن يكون تابعًا لسياسات الاتحاد السوفييتي، وبعدها فقَدَ (الكومينفورم) فاعليتَه، وتم حلُّه عام ١٩٥٦م.

بحلول عام ١٩٩٢م لم تعُدِ الشيوعية تحوز سلطةً إلا في الصين وكوبا، ولاوس وكوريا الشمالية وفيتنام، وبادرتْ حكومتَا الصين وفيتنام بإجراء إصلاحات اقتصادية.

ورغم وجود أحزاب شيوعيَّة صغيرة في فرنسا واليونان، والبرتغال والمملكة المتحدة، إلا أنَّ ممثليها في الهيئات التشريعية قليلونَ جدًّا، أو منعدِمون تمامًا، وفي إيطاليا، انشقَّ الحزب الشيوعي على نفسِه، وأَسْقَط الحزبان الوليدان السياساتِ الماركسيةَ من أدبياتها، أما الأحزاب الشيوعية

في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي السابق، فقد صنَّفت نفسَها بوصفها أحزابًا اشتراكيّة، وتخلَّت عن المبادئ الشيوعيّة.

فقدِ انهارت الشيوعية في معاقلها بعدَ قرابة سبعين عامًا ، من قيام الحُكم الشيوعي وبعدَ أربعين عامًا من تطبيق أفكارها في أوربا الشرقية، وأعلن كبار المسؤولين في الاتحاد السوفيتي قبل تفكُّكِه أنَّ الكثير من المبادئ الماركسية لم تعُدْ صالحةً للبقاء ، وليس بمقدورها أن تواجِهَ مشاكل ومتطلبات العصر، الأمر الذي تسبَّب في تخلُّفِ البلدان التي تُطبِّق هذا النظام عن مثيلاتها الرأسمالية، حتى الذين حوَّروا في النظام بعضَ الشيء؛ ليتَماشى مع الحضارة المادية العالمية لم يُفلحوا، وانقسموا على أنفسهم.

ومِن تلك الدول المنقسِمة: الصِّين وتبعتْها اليابان، ويرَى هذان الطرفان انحرافَ الروس عن الفِكرة الشيوعية، كما جاء بها سَدَنتُها ماركس ولينين، وكان على رأس الجانب الآخر روسيا، وبجانبها دول أوربا الشرقية، التي رأتْ عدم مرونة الصِّين في معرفة حقيقةِ الشيوعية التي لا تحصل عليها إلا أثناء التطبيق، والجمود على حَرْفية النصوص، ومفهوم النظريات أمرٌ عقيم، لا يأتي بخير، وقد أدَّى هذا الخلافُ إلى صدام على الحدود، هذا إضافةً إلى يوغسلافيا، ذات النِّظام الشيوعي الخاص، فهي تمسك بيدها الواحدة الشيوعيَّة باسم النظام، وتقبض بيدها الثانية على الاتِّجاه الغربي باسم السياسة.

وقد تأكَّد بوضوح الآن بعْدَ التطبيق للشيوعية لهذه الفترة الطويلة: أنَّ من عيوب الماركسية أنَّها تمنع المِلْكية الفردية وتحاربها، وتُلغي الإرثَ الشرعي، وهذا مخالِف للفِطرة وطبائع الأشياء، ولا تُعطي الحريَّة للفرْد في العمل وناتج العمل، ولا تُقيم العدالةَ الاجتماعية بيْن أفراد المجتمع، وأنَّ الشيوعي يعمل لتحقيقِ مصلحته ولو هدَم مصالِح الآخرين، وينحصر خوفُه في حدود رقابة السُّلطة وسوْط القانون، وأنَّ الماركسية تهدِم أساس المجتمع، وهو الأسرة، فتقضي بذلك على العلاقات الاجتماعيَّة..

قضى عبد إجازته في ربوع الوطن كما يفعل كل سنة ، وعاد لموقع عمله في الخليج وبعد وصوله

بأيام تلقى رسالة من المهندس عاصم يمدح فيه ملخصه المختصر عن الشيوعية الماركسية (وذكر الكثير من فقراته داخل هذه القصة) ويستأذنه بنشره في مجلة يتواصل معها ـ مجلة ثقافية اكثر منها سياسية ـ فأذن له وشجعه على ذلك واخبره فيها أي الرسالة بأنه عاد للصلاة والدين بشكل جدي وعن اقتناع وليس كأيام الصبا والطفولة ، وأخبره أن كثيرا من المعلومات لم يكن يسمع بها أو كانت تفلسف بطريقة أن الشيوعية لا دخل لها في فعلها ، وأن لينين كان يصور لهم كملاك يدافع عن الإنسان والنسوان ، ويحارب الاستعمار وأن هناك تلبيسا في طرح الأفكار والإلحاد ، وذكر له أن شقيقهم عبد القادر رجع للأردن دون زوجته وقد اتفقا على الانفصال بسلام .. لأنها بقيت هناك هي وابنتها الوحيدة صفاء .

قال المهندس عبد القادر لما سمع بأفكار الرسالة : كيف تغيرت ورجعت إلى أفكار وخط عبد الرحيم ؟

قال موضحا : أنت تعلم اني تركت الحركة الشيوعية والحزب قبل سفرك لكندا .. لكني بقيت متمسكا بأفكارها ورفضت العودة إليها ، ولما رجع عبد قبل مجيئك وتحدثنا عن موت الاتحاد السوفيتي بدأت أراجع أفكاري وأحلامي وقناعاتي حول التدين والدين.. ولماذا اغلب العوام لم يتركوا دينهم رغم فقرهم ورغم الغزو الفكري والثقافي الذين يعانون منه ؟ فوجدتها كما قال عبد أوهام وخرافات وأن الروس كشعب أنفسهم لم يتحول الكثير منهم للشيوعية إلا بالقوة وأن الكثير يلتحق بالحزب للعمل والشعل كما يفعل الناس في سوريا والعراق ينتمون للحزب الحاكم من اجل الوظائف ؛ لذلك يرى من يتحصل من المعسكر الشرقي على هجرة للغرب يسرع بالهجرة ورأينا هروب الكثير من المان المانيا الشرقية يجتازون الجدار نحو الغربية أو نحو المجر ومنها للغربية فهم إذن كانوا مجبرين للبقاء تحت نير حكم الحزب الشيوعي .. فالمهم تقلقلت المبادئ في عقلي وذهني ورأيت التشبث بها حمقا واستغباء .

ـ كلامك صح حتى في كندا وأمريكا تجد أفكارا اشتراكية دون شيوعية ، لأن الاشتراكية لم تولد إلا ضد الرأسمالية الاقتصادية .. فهما هذه أو تلك لا علاقة لهما بالدين ؛ إنما هما مذاهب

اقتصادية .. وها نحن نسمع أن أحزاب اشتراكية تخلت عن الشيوعية وظلت اشتراكية .

قال عاصم : فهذا ! وكتاب عبد الصغير أو رسالة قل دفعاني للعودة .. وأنا كما تعلم امرأتي متدينة أصلا .. لم افكر يوما بدفعها لترك صلاتها وصومها

قال متعجبا : والله هذا كان غريبا منك تلك الأيام .. لم تفعل مثل سمور وتتزوج من حزبكم

ـ الحقيقة كنت في حيرة وشك !

سأل عبد : كان هذا واضحا لمن يدقق .. كيف الحركة الشيوعية هنا ؟

رد فقال : حركة فاشلة وتاريخ فاشل .. هذه الأحزاب الايدلوجية قائمة بدعم روسي أو صيني غير مستقلة بتاتا .. على ذكر الصين لم تجبر الشعب على الشيوعية .. الشيوعيون هم الحزب الحاكم وأنصارهم والجيش فحسب

ـ حدثني عن شيوعي البلد .. بحبك للتاريخ وقراءة المقالات .

قال صافنا للحظات وقال : شكرا .. حفظت الكثير من تاريخنا الشيوعي عن ظهر قلب وهو يسير يكتب ببضع صفحات اذا حذفت البيانات التي لا يقرأها احد .. اسمع يا أبا صفاء كتاريخ ثابت الحزب الشيوعي الأردني علنا بعد وحدة الضفتين تأسس سنة ١٩٥١ كحزب سياسي، كأفراد لا اعرف متى دخلت الشيوعية البلد .. أو أول شيوعي أو شيوعيين من الأردن لأنك ربما تعلم أن إسرائيل كان فيها أحزاب شيوعية أو حزب شيوعي وفيه عرب قبل إعلان دولة إسرائيل .. كان الشيوعي الأردني محظورا لغاية صدور قانون الأحزاب بعد الانفراج السياسي الذي شهدته البلاد على اثر ما تسمى هبة نيسان ١٩٨٩ المعروفة لكل من عاش هنا تلك السنة الحزب أنشأه يعقوب زيادين وفؤاد نصار وغيرهم من خلال اندماج الماركسيين بشرق الأردن مع عصبة التحرر الوطني في فلسطين عام ١٩٥١م .. وأنتخب فؤاد نصار أمينا عام للحزب إلا أنه أعتقل في نهاية العام وحكم بعشر سنوات يقضيها في سجن الجفر الصحراوي .. لان القانون كان يمنع الشيوعية في الأردن ويعاديها .

وبعد فترة صمت ورشف الشاي عاد يقول : صدر قانون عام ١٩٤٨ يجرم الشيوعية في الأردن

وعام ٥٣ جرى عليه تعديل مشدد ، وسنة ١٩٩٠ ألغي قانون مقاومة الشيوعية لسنة ١٩٤٨ .. أقول هذه العصبة عصبة التحرر الوطني في فلسطين ، كان حزبًا سياسيًا في فلسطين الانتدابية تأسس في أوائل عام ١٩٤٤ من قبل الأعضاء العرب في الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي شهد انشقاقًا بين الأعضاء اليهود والعرب في العام السابق ، بولس فرح وأتباعه، والمثقفين المتطرفين والنقابيين الآخرين كان من بين المؤسسين فؤاد نصار وسامي الغضبان وإميل حبيبي ومفيد النشاشيبي وإميل توما للحزب صحيفة الاتحاد الصادرة في حيفا وهي لا تزال قائمة ، كان الحزب العربي الفلسطيني الشيوعي الوحيد الذي يدعم خطة التقسيم للأمم المتحدة عام ١٩٤٧، تمشيًا مع الموقف الرسمي للاتحاد السوفيتي ، في أكتوبر ١٩٤٨ بعد تشكيل إسرائيل، اندمج الحزب مع ماكي، ماكي هو اسم الحزب الشيوعي الإسرائيلي .. ونظرًا لأن كلا من الشيوعيين العرب واليهود ما زالوا يأملون في إنشاء دولتين وفقًا لخطة التقسيم التابعة للأمم المتحدة ، فقد تقرر دمج منظمات حزب ماكي وحزب عصبة التحرر الوطني في المناطق التي حددتها الأمم المتحدة لدولة يهودية ، في حين أن حزب التحرر الوطني سيستمر في الوجود كحزب مستقل في مناطق إسرائيل التي كان من المفترض أن تكون جزءً من دولة عربية بموجب خطة الأمم المتحدة للتقسيم ، تمت إضافة قادة الحزب إلى لجنة ماكي المركزية الموسعة ، واعلم أنه في الممارسة العملية سرعان ما توقف الحزب عن الوجود داخل إسرائيل باستثناء الاسم ، وفي أبريل ١٩٤٩، أسقطت صحيفة الاتحاد وصحيفتها الشقيقة العبرية ، كول هعام، كل الإشارات إلى الحزب ، في ٢٠ يوليو ١٩٤٩، دمرت مصر بقاياه الموجودة في غزة ، واعتقلت ٣٣ شخصًا في عام ١٩٥١، انضم أعضاؤه في الضفة الغربية إلى الحزب الشيوعي الأردني.. المعلن عنه سرا عام ١٩٥١

ـ تابع حديث مشوق فعلا !

تابع عاصم باسما : في عام ١٩٥٦استطاع الحزب الوصول إلى البرلمان الأردني، مع انه محظور رسميا حيث نجح في تلك الدورة نائبان د.يعقوب زيادين عن مقعد القدس رغم انه ولد

في الكرك جنوب المملكة حيث عائلته وهو من عائلة نصرانية ، وفائق وراد عن مقعد رام الله

قال عبد مستفسرا : كيف فاز يعقوب عن القدس ؟

ـ هو كتب ما يسمى مذكرات .. باختصار .. هو يعتبر من أبرز القِيادات الماركسية العربية، شكل مع الخلايا الماركسية الأردنية وعصبة التحرر الوطني الفلسطيني الحزب الشيوعي الأردني بقيادة فؤاد نصار الذي التقاه يعقوب زيادين في القدس .. يقال انتظم في العمل الشيوعي منذ سنة ١٩٤٣، انتخب نائبا في برلمان الأردن عام ١٩٥٦ كما قلنا عن مقعد القدس المسيحي رغم أنه من مواليد مدينة الكرك، واعتُقل بعد الانقلاب على حكومة النابلسي التقدمية عام ١٩٥٧، وبقي في السجن لمدة ثمان سنوات، حتى صدر العفو عام ١٩٦٥. وفي عام ١٩٧٠ اختير عضواً في المكتب السياسي للحزب الشيوعي الأردني، وفي نفس السنة حدث انشقاق وظهر حزب الكادر اللينني بسبب الموقف من الحرب الأهلية في الأردن ، وفي عام ١٩٨٧ انتخب الدكتور زيادين ليُصبح الأمين العام للحزب الشيوعي الأردني وحتى العام الحالي .

صمت للحظات : أنت تعرف أو لا تعرف الأوراق الأردنية والفلسطينية مخلوطة بسبب القربى وبسب وحدة الضفتين ، في نيسان عام ١٩٧٠ تم الإعلان عن تشكيل قوات الأنصار بضغط قواعد الأحزاب الشيوعية في المشرق العربي ، خصوصاً داخل أوساط الشيوعيين الفلسطينيين المنضوين في عضوية الحزب الشيوعي الأردني بقيادة عبد العزيز العطي، تم إنشاء قوات الأنصار ضمن هيكلية عسكرية فدائية، حيث قام فؤاد نصار ومن خلال مؤتمر عقده الحزب ، بإعلان تشكيل قوات الأنصار؛ التي تشكلت من الشيوعيين الفلسطينيين والعرب في الأحزاب الشيوعية العربية الثلاثة: الأردني، السوري، العراقي. . مجمل القوى الفلسطينية رفض تكوين قوات أنصار ولم يقبل بوجودها إلا الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التابعة للدكتور جورج حبش زعيم الجبهة ، استمرت قوات الأنصار في مشاركتها مع باقي الفصائل الفلسطينية حتى معارك الأحراش التي ابتدأت في ١٣ تموز عام ١٩٧١ حيث انتهت بعد تلك المعارك معظم

الفصائل الفلسطينية والأردنية المسلحة وخاصة بعد تدخل اللجنة العربية (السورية) وإجلاء قسم من تلك المنظمات إلى سوريا رغم أن الأغلبية تم تشتيتها وتفكيك أعضاءها وبقوا في الأردن كانوا غير مرتاحين للعبور إلى سوريا ولبنان .

ـ جميل ! هل هذا منشور ؟

ـ منشور ومكتوب في كتب وأدبيات الجبهة والمذكرات الشخصية .. كان هناك يا أخي انشقاق في الحزب الشيوعي بين مؤيد للكفاح المسلح ورافض له قبل أحداث السبعين والواحد وسبعين والانقسام اضعف الحزب وساهم في بلبلة صفوفه ونتج عن ذلك ضعف قوات الأنصار التي انتهت كتنظيم مسلح في أواخر شهر تموز ١٩٧١ .

وسكت ثم تابع فقال : تشكلت عدة أحزاب فيما بعد كان من ضمنها الحزب الشيوعي الفلسطيني الثوري، إلا أن الحزب الشيوعي الأردني رفض بشدة مبدأ استقلال الشيوعيين الفلسطينيين خلال فترة وحدة الضفتين وبرر الحزب الشيوعي الأردني هذا الرفض لإنشاء أحزاب فرعية قيام الحزب مرهون بقيام الدولة الفلسطينية ، وأن قيامه قبل ذلك يشكل انحرافا قوميا عن الخط الأممي.. فيما بعد تشكل الحزب الشيوعي الفلسطيني والذي انشق عنه حزب الشعب الفلسطيني .. أما في الأردن فقد تشكلت عدة منظمات انبثقت من الحزب منها اتحاد الشباب الديموقراطي الأردني والاتحاد الوطني لطلبة الأردن وتنظيمات أخرى خارج صفوف الحزب مثل حركة اليسار الاجتماعي الأردني وغيرها.. واللافت للانتباه يا أبا صفاء أن مواقف الأحزاب الشيوعية، ومن ضمنها الأردني والسوري واللبناني آنذاك (سبعينيات القرن الفائت)، لم تشهد أي تغيرات فكرية وسياسية، برغم صعود المقاومة وتكاثر الانشقاقات الداخلية في صفوفها، فقد ظلت على مواقفها المؤيدة للحلول السلمية والتفاوضية، وعلى خلفية القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ من دون انخراط أو حماسة بادية لظاهرة الكفاح المسلح، وظلت ظاهرة اليسار الفلسطيني المنبثق من رحم حركة القوميين العرب ، مثار تحفظ وريبة من قبلها، بالأخص الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي كان لها حضورها المتميز على هذا الصعيد.

بعد صمت عاصم قال : الماركسية كما نعلم أسسها الألماني ماركس اليهودي الأصل
ـ الماركسية هي ممارسة سياسية ونظرية اجتماعية مبنية على أعمال كارل ماركس الفكرية، وهو فيلسوف من أصول ألمانية يهودية من القرن التاسع عشر وكان عالم اقتصاد وصحفي وثوري شاركه رفيقه فريدريك إنجلز في وضع الأسس واللبنات الأولى للنظرية الشيوعية العلمية ،الشيوعية كفكرة كانت معروفة ، وكذلك الاشتراكية كمذهب اقتصادي ، ومن بعدهم بدأ المفكرون الماركسيون في الإضافة والتطوير للنظرية بالاستناد إلى الأسس التي أرسى دعائمها ماركس وانجلز ، سميت بالماركسية نسبة إلى مؤسسها الأول كارل ماركس، لقد أسس ماركس نظرية الشيوعية العلمية بالاشتراك مع فريدريك إنجلز ، فقد كان الاثنان اشتراكيين بالتفكير، لكن مع وجود الكثير من الأحزاب الاشتراكية ، تفرد ماركس وأنجلس بالتوصل إلى فكرة الاشتراكية كتطور حتمي للبشرية وفق المنطق الجدلي وبأدوات ثورية فكانت مجمل أعمالهما تحت اسم واحد وهو الماركسية أو الشيوعية العلمية ، كانت أعمالهم تهتم في المقام الأول في تحسين أوضاع العمال المهضومة حقوقهم من قبل الرأسماليين في أوروبا الصناعية وهدفها القضاء على استغلال الرأسماليين للإنسان العامل.. ولكن نجحت ثورتهم في بلد زراعي بلد فلاحين كروسيا والصين .. على غير ما كان يحلم به ماركس وانجلز .

***

كان المهندس عاصم محسن مثقفا ومطالعا ومحبا للتاريخ ومذكرات الأدباء والزعماء ؛ لكن لتحلله من التربية الدينية والمعرفة الدينية وصحبته لأخيه الأكبر منه بسنة وكثرة مرافقته وسماعه من أيام المدرسة والشارع ومن ثم للدراسة في دول الاتحاد السوفيتي بمساعدته اعتنق الفكر الشيوعي فهذا يدفعنا ألا ننسى تأثير سمور عليه أثناء التعليم والانبهار بالاتحاد السوفيتي ، وكان مقتنعا كسمور ورفاق سمور بأن الشيوعية السوفيتية ستكتسح العالم وتحكمه ، ولعب الإعلام والدعاية دورا كبيرا في تضخيم الشيوعية وإنجازاتها ، وكذلك سحقها لنازية هتلر واستغلال ذلك في الترويج لها ، لكن مناقشاته مع عبد الرحيم وغيره ونزاعه مع حركته

وضحالة الفكر لدى الكثير منهم أثناء المجادلات مع الإسلاميين زعزع ثوابته بها ، ولما بدأ الاتحاد السوفيتي يواجه صراعات وثورات مستمرة انتبه لها في الآخر ازداد ثقة بضعف الشيوعية وأنها مجرد تنظيرات وخزعبلات ، وشعوب أوروبا الغربية رغم تركها للدين لم تتبناها كمنهج حياة إنما مجرد أحزاب كما في الدول العربية والإسلامية وفاشلة في الانتخابات الديمقراطية التي يزعمون بقبولها ، وإنما هم أنظمة ديكتاتورية على شاكلة لينين وهتلر بعده والصين بعدهم فلذلك يراسل عبد الرحيم باستمرار ، ولما عاد عبد القادر فاشلا من هجرته لكندا ، وأن اغلب سكان تلك البلاد لا يتزوجون إلا في سن متأخرة لما ينته ويستهلك شباب الشخص ويستهلك جنسيا وإباحيا يفكر بالزواج الرسمي ، وأن البنات يهربن من الزواج الرسمي مثل الشباب لكثرة الطلاق والفشل حتى أن زوجته أخذت تتنقل من رجل لآخر دون زواج وهي المولودة ببلاد العرب ازداد اقتناعا بأفضلية النظام الإسلامي للفرد والمجتمع رغم ما يتعرض له من الغزو الفكري والثقافي والحرب بغير هوادة ما زالت الناس تحب دينها وتعود إليه بعد رحلة ضياع وتيه ، والمضحك لما يموت الشيوعي يصلى عليه في المسجد صلاة الجنازة إن كان مسلما واذا كان نصرانيا في كنيسة طائفته وإن وصى احدهم أن لا يصلى كما حصل لرفيق لهم ؛ لكن أقاربه يرفضون هذه الوصية كأنها لم تكن .. وذهبوا به للمسجد وصلي عليه كما يصلى على كل ميت من المسلمين .

لما استلم المهندس عبد القادر عملا تزوج سريعا حتى لا يفكر يوما بالعودة لطليقته أو يسعى أهلها لإعادتها له مع بوسة لحية فقال عاصم مستوضحا العجلة : ألم تتعجل ؟

ـ بل تأخرت ، أعطيتها اكثر من فرصة فضغطت عليّ بالطفلة لأبقى .. لم اعد احتمل عهرها بحجة غيابي في العمل والتنقل بين الولايات الكندية .. كأني أتنقل للسكر والعهر

ـ لعلك سعيد مع لمياء

ابتسم عبد وقال : لا اعرف بعد .. أنا اخوها صديقي أيام الكلية ..لما علم بعودتي زارني وسمع مني سبب عودتي وطلاقي فعرض عليّ الزواج من شقيقته لما قلت أمامه إنني سأتزوج حتى لا

تحلم بأنني سأعود إليها يوما ما .

ـ لم تتزوج من قبل !

قال : بكر أو عانس إلى حد ما .. عندها بعض المشاكل الصحية ،ولكنها لا تمنع الزواج منها فقبلتها .. وتزوجنا سريعا ..وأنت الذي كان زواجك العجيب رغم مجاهرتك بالإلحاد تزوجت مصلية لماذا ؟!

كان الجواب : صراحة ولا تغضب ، لم احب الزنا مثلك ومثل سمور .. أنا عشقت الفكر والثقافة والصحافة .. وآخر شيء كنت افكر فيه مضاجعة امرأة بدون زواج .. سمور لما تزوج قبلي وفاء كانت قد عاشرت اكثر من ثلاثة غير سمور فاستغربت من زواجه منها

ـ معقول ما اسمع يا أبا حاتم

صفن ثوان ورد فقال : معقول .. وممكن اكثر ..هؤلاء الثلاثة هم حدثوني بعلاقتهم الجنسية معها من أيام الكلية .. وسألته فقال : كما نحن نمارس الحب مع الرفيقات فعلينا أن نقبل علاقتهن مع الرفاق لم استرح للإجابة .. أنا في مهمة وزوجتي في حضن رفيق وصديق

ـ أنا لست شيوعيا مثلكم ، وعشت ذلك الجو في وسط الجامعة ولم يشفع حبنا لي فصارت الخيانة هناك كشربة كأس شراب .. بحجة السكر والتغيير .. مع إنني غير متدين أو متعصب ضد الاختلاط .. لم اقبل الدياثة .. تزني واعمل لعشيقها قهوة أو شاي تكلمت احتججت دون تجاوب أنا حرة كما أنت حر

قال عاصم : لابد أنها سمعت بخيانة لك مع صديقات العائلة

تعجب من فطنة عاصم وقال : حدث ذلك للأسف من اجل ذلك تلكئت بالانفصال .

ـ حقيقة يا عبد ! افضلنا وأوزننا عبد الرحيم ما عدا سميح طبعا مع انه اصغرنا معك

تحسر وقال : فات الأوان

ـ في الإسلام كما فهمت منه لا يفوت الأوان إلا عند الموت فرحمة الله قريبة لكل شيء لا تظن أني تبت لموت الاتحاد السوفيتي.. أنا تبت لما ابتعدت عن الحزب والحركة اليسارية .. كنت تائها يا

ابن أمي وأبي

ـ أنت مرتاح الآن

قال عاصم : أنا في أول العودة ؛ ولكني لحتى اليوم مرتاح

ـ أتمنى لك ذلك

لما يمض بضعة اشهر على زواج عبد القادر حتى وافت المنية الحاج محسن سالم بعد أيام قضاها في المستشفى ، وكانت أمنيته منذ هاجر من فلسطين أن يدفن في مسقط رأسه .. لا تدري نفس بأي أرض تموت ولا بأي ارض تدفن وحضر الدكتور عبد الرحيم دفن أبيه بإجازة قصيرة وعزى إخوته وأخواته ، وكان هو الباقي من أولاد سالم جده فكل الأعمام والعمات رحلوا إلى دار البرزخ ، والتقى بعبد القادر وبارك له الزواج الجديد ودعا له بالتوفيق وقال : وهل تلك بقيت هناك ؟

ـ تركتها هناك استهوتها حياتهم .. استهوتها الحرية المطلقة والإباحية

فقال : الإسلام يحرض على حسن اختيار أم الأولاد ..فالمرأة الصالحة خير متاع في الدنيا

فرد بحدة وجفاء : أشكرك يا عبد أنا اخترت الدنيا فلا داعي لإزعاجي بمواعظك

ـ أوه يا عبد ! العجيب أننا نشأنا سوية صلاة صوم

فسر فقال مبررا : الجامعة وعروض الأزياء قلبت مخي .. السبب فتاة اسمها لواحظ كانت فتنة وافتتنت بها وعرفتني على غيرها من الفاسدات فاصبح جسدي ملكهن .

ـ هداك ربي وآسف على إزعاجك أين عاصم ؟

ـ في المغفر .

ـ لماذا ؟

ـ ابنه تشاجر مع ابن جاره حمود ..

ـ سأذهب إليه ربما احتاج لمساعدة

أحلام السلام

ظهر للعلن في أيلول ٩٣ اتفاق أوسلو رقم ١ باعتراف ياسر زعيم المنظمة بإسرائيل وإسرائيل بسلطة عرفات مما شكل صدمة خفيفة لبعض الفصائل الفلسطينية وبعض الدول العربية نتيجة لدهاليز من خلف مؤتمر مدريد للسلام والا الكل يسعى للسلام مع الكيان الصهيوني منذ اعترف العرب بـ ٢٤٢ ، رفضت حماس والجهاد والحركات اليسارية كالشعبية والديمقراطية والقيادة العامة وغيرهم الاتفاق أوسلو ، وقبلته اهم فصائل المنظمة فتح .

فكان عبد القادر يقول لعاصم أثناء لقائهم في بيت أخت لهم لمناسبة اجتماعية : ما الأمر وما هو أوسلو ؟

ضحك عاصم ومثله زوج أخته حسن وأجاب : تابعت كما تابعت كنا ضحايا حرب الخليج الثانية ..خفت صوت المنظمة لوقوفها مع محرر فلسطين صدام ، فذهبت لمدريد مع وفد مشترك مع المملكة .. وكان الفشل مخيما عليه .. وجرى أوسلو من وراء الكواليس وهكذا ظهر أوسلو واشنطن

ـ هل ذهبت القضية وانتهت العودة ؟

تناول حسن الشاي من ابنه وقدمه لضيفيه وقال عاصم : هذا تمنيات إسرائيل ولن يحصل هذا فحاكم سوريا قال عن الاتفاق اذا صح النقل قال كل بند من اهم بنود أوسلو يحتاج لعشرات السنين من المفاوضات لحله .

ـ يا الهي هكذا قال ؟

فقال حسن : هل ستتخلى إسرائيل عن عاصمتها الأبدية القدس ؟ لا يمكن فكيف بملف اللاجئين حتى امرأة لاجئة في لبنان قالت : ضحينا بأولادنا وبناتنا وأموالنا من اجل شقة في أريحا أو غزة ..

قال عاصم لما سكت حسن : لن يغير من واقع الناس شيئا أرى ذلك ..كثير من الاتفاقات الدولية حصلت ولم تغير من واقع الإنسانية شيئا .. اللاجئون كانوا عند الخروج ٤٨ قريب من

المليون أما اليوم فهم اكثر من خمس ملايين .. التوطين لن يحل القضية ولو رحلنا للسعودية والخليج الوطن ليس من الهين نسيانه والحلم به .

قال عبد : أنا لا احب السياسة لكن الأمر شغلنا أينما تجلس أوسلو أوسلو

ـ هو حقيقة حدث كبير وله ما بعده .

اتفاقية أو معاهدة أوسلو، أو أوسلو ١، والمعروفة رسمياً باسم إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي هو اتفاق سلام وقعته إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الأمريكية في ١٣سبتمبر١٩٩٣ ، بحضور الرئيس الأمريكي بيل كلينتون . .

وسمي الاتفاق نسبة إلى مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرّية التي تمت في عام ١٩٩١ أوأفرزت هذا الاتفاق في ما عرف بمؤتمر مدريد.

تعتبر اتفاقية أوسلو، التي تم توقيعها في ١٣أيلول١٩٩٣ ، أول اتفاقية رسمية مباشرة بين إسرائيل ممثلة بوزير خارجيتها آنذاك شمعون بيريز، ومنظمة التحرير الفلسطينية، ممثلة بأمين سر اللجنة التنفيذية ياسر عرفا ت ، وشكل إعلان المبادئ والرسائل المتبادلة نقطة فارقة في شكل العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، التزم بموجبها الأطراف بالآتي : من أهم ما تنص عليه الاتفاقية أن تنبذ منظمة التحرير الفلسطينية الإرهاب والعنف (تمنع المقاومة المسلحة ضد إسرائيل فهي تأسست لمقاومة إسرائيل) وتحذف البنود التي تتعلق بها في ميثاقها كالعمل المسلح وتدمير إسرائيل وإليك (الرسائل المتبادلة – الخطاب الأول)

تعترف إسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية على أنها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني.(الرسائل المتبادلة – الخطاب الثاني)

تعترف منظمة التحرير الفلسطينية بدولة إسرائيل (على ٧٨٪ من أراضي فلسطين – أي كل فلسطين ما عدا الضفة الغربية وغزة).

خلال خمس سنين تنسحب إسرائيل من أراض في الضفة الغربية وقطاع غزة على مراحل أولها أريحا وغزة اللتين تشكلان ٥ ,١٪ من أرض فلسطين.

تقر إسرائيل بحق الفلسطينيين في إقامة حكم ذاتي (أصبح يعرف فيما بعد السلطة الوطنية الفلسطينية) على الأراضي التي تنسحب منها في الضفة الغربية وغزة (حكم ذاتي للفلسطينيين وليس دولة مستقلة ذات سيادة).

في إسرائيل نشأ نقاش قوي بخصوص الاتفاقية؛ فاليسار الإسرائيلي دعمها، بينما عارضها اليمين وبعد يومين من النقاشات في الكنيسيت برلمان إسرائيل حول تصريحات الحكومة حول موضوع الاتفاقية وتبادل الرسائل تم التصويت على الثقة في ٢٣أيلول ١٩٩٣ حيث وافق ٦١ عضو كنيسيت وعارض ٥٠ آخرون، وامتنع ٨ عن التصويت.

الردود الفلسطينية كانت منقسمة أيضا ففتح التي مثلت الفلسطينيين في المفاوضات قبلت بإعلان المبادئ، بينما اعترض عليها كل من حركة حماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين وجبهة التحرير الفلسطينية (المنظمات المعارضة) لأن أنظمتهم الداخلية ترفض الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود في فلسطين.

حركة حماس اعتبرت اتفاق أوسلو اتفاقاً باطلاً وصفته بـ «المشؤوم»، كونه أعطى الاحتلال الحق في «اغتصاب ٧٨٪ من أرض فلسطين التاريخية»، وقالت الحركة إن ما بني علي باطل فهو باطل، وشعبنا الفلسطيني لن يلتزم بما التزمت به المنظمة، ولن يعترف بأي نتائج تنتقص ذرة واحدة من تراب فلسطين أو مقدساتها .

على كلا الجانبين كان هناك تخوفات من نوايا الطرف الآخر وفهموا تلك المقولات على أنها محاولة لتبرير توقيع الاتفاقية بالتوافق مع التاريخ الديني، مع اتفاقيات مرحلية للوصول إلى الهدف النهائي وكذلك عارضه فلسطينيون آخرون مثل إدوارد سعيد وفاروق القدومي.

منظمة التحرير الفلسطينية حولت نفسها من حركة تحرر وطني إلى ما يشبه حكومة بلدية صغيرة مع بقاء ذات الحفنة من الأشخاص في القيادة خشي العديد من الفلسطينيين أن إسرائيل لم تكن جادة بخصوص إزالة المستوطنات من الضفة الغربية وقطاع غزة خاصة من المناطق المحيطة بالقدس وخشوا أنهم حتى قد يزيدوا من وتيرة البناء على المدى الطويل ببناء

مستوطنات جديدة وتوسيع الموجود منها مستغلين هذا الاتفاق التاريخي كما يقال .

***

كان الكثير من سكان مخيمات اللجوء في دول الطوق في حالة صدمة وذهول بعد كل هذه التضحيات منذ قرن قبل النكبة وبعدها والنتيجة الحصول على جزء صغير من الضفة الغربية . حتى أن احدهم تساءل عن صحة المقولة التي قالها سيد قطب رحمه الله عندما أنشئت المنظمة في سنة ٦٤ سئل الشهيد سيد قطب عن رأيه بتشكيل المنظمة في أول مؤتمر قمة عربي منذ خمس وأربعين سنة، قال: سوف تكون المسمار الأخير الذي سيدق في نعش قضية فلسطين؟.

فقال عبد القادر لشقيقه الشيخ : هل هذه العبارة أو النبوءة صحيحة يا عبد الرحيم ؟

ابتسم عبد الرحيم الذي انهى عمله في السعودية من قريب وعاد للوطن بسبب مرض زوجته وحاجتها لخادمة ومتابعة طبية متتابعة ، وصعب عليه توفير ذلك في السعودية ، فرد على شقيقه الأكبر منه : نسمع بها ، سمعت بها من بعض الشيوخ والخطباء ، والحق لم اقرأها في كتاب ولا يعني أنها لا توجد ، فأنا لم أقرأ كل كتب الدين والثقافة والتاريخ .. فلم يقع بين يدي كتاب موجودة فيها أو موجودة ولم اركز عليها ..ولكنها متداولة .. ورحم الله الشهيد ..وأصلا وأنت اعلم مني بمثل هذا التاريخ .. كان إنشاء المنظمة لتمثل الشعب الفلسطيني في المحافل الدولية وتنطق باسمهم رغبة مصرية ناصرية ، فسعى من قبل الحسيني أمين لإنشاء كيان فلسطيني في غزة أيام ملكية فاروق عن طريق جامعة الدول العربية واعترفت بها دول الجامعة آنذاك ما عدا حكومة الأردن حكومة شكلية دون قرارات فعلية ، فالمنظمة كانت رغبة مصرية ناصرية ؛ ربما أصح لخلق جسم يتحدث باسم الشعب الفلسطيني .. ورفضتها اكثر فصائل المنظمة المعروفة اليوم حتى كانت هزيمة ٦٧ ومعركة الكرامة في الغور الأردني فاستقال الشقيري وسلمت القيادة لفتح وبدأت الفصائل الأخرى تلحق بها دون اتفاق للأموال التي تدفقت عليها من دول الخليج وجعلت مخلب سوفيتي صيني كوبي لإزعاج إسرائيل والغرب

أنشأت جامعة الدول العربية حكومة عموم فلسطين في ٢٢ سبتمبر ١٩٤٨ خلال الحرب

العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨ لتنظيم الجيب الذي تسيطر عليه مصر في غزة. ، وسرعان ما اعترف بها جميع أعضاء الجامعة العربية باستثناء شرق الأردن ، فإن ولايتها القضائية الفعلية اقتصرت على قطاع غزة ، وكان رئيس وزراء الإدارة في غزة أحمد حلمي باشا، وكان الرئيس هو الحاج أمين الحسيني، وينظر البعض إلى حكومة عموم فلسطين باعتبارها أول محاولة لإقامة دولة فلسطينية مستقلة ، كانت تحت الحماية المصرية الرسمية، ولكن لم يكن لها دور تنفيذي. وقد تراجعت أهميتها تدريجيا، وخاصة بعد نقل مقر الحكومة من غزة إلى القاهرة بعد الغزو الإسرائيلي في أواخر عام ١٩٤٨ ؛ فإن الحكومة الفلسطينية ظلت في منفاها في القاهرة، وهي تدير شؤون غزة من الخارج ، وكانت حكومة حلمي تتألف إلى حد كبير من أقارب وأتباع أمين الحسيني، ولكنها ضمت أيضا ممثلين عن فصائل أخرى من الطبقة الحاكمة الفلسطينية، وقد جعل قرار تشكيل حكومة عموم فلسطين اللجنة العليا العربية لا علاقة لها بالموضوع، ولكن أمين الحسيني استمر في ممارسة نفوذه في الشؤون الفلسطينية ، وتغير الوضع مرة أخرى بعد توحيد مصر وسوريا في عام ١٩٥٨ في الجمهورية العربية المتحدة. وفي عام ١٩٥٩، ألغى جمال عبد الناصر رسميا حكومة عموم فلسطين بموجب مرسوم، بأن الحكومة الفلسطينية كلها فشلت في تحقيق تقدم في القضية الفلسطينية. وفي ذلك الوقت، انتقل أمين الحسني من مصر إلى لبنان، وأصبح قطاع غزة تديره مصر بشكل مباشر.. ثم أنشئت المنظمة عام ١٩٦٤ بقرار مصري .

***

فقال عبد القادر : تقرأ سياسة يا عبد .

ـ أخبار جرائد مثلك ، وتعليقات السياسة حكي فاضي .. من قبل أن نولد والناس تتحدث عن فلسطين وكل انقلاب عربي يزعم القائمون به انهم قاموا به من اجل عيون فلسطين لتحرير فلسطين وكل فصيل فلسطيني وحزب من اجل فلسطين وهذه هي النتيجة رئاسة بلدية أريحا وغزة وحكم ذاتي بعد خمس سنين مثل الأقليات في بعض الدول في العالم .

قال عبد القادر : هذه التفاصيل سمعت بها ؛ ولكنها من اختصاص أبي حاتم سيأتي كما اخبرني واخبرني الأخ الكبير سميح بانقطاع أخبار سمور .. أتعلم شيئا ؟

ـ لا ادري ! أنا لا أتواصل معه قبل سفره بيروت ودمشق ولكني سمعت من قريب انه غادر للجزائر أو ليبيا للعمل في شغل في مكاتب الحركة أو زيارة رفاقه فيها .. فهو كما تعلم علاقته جيدة مع رجال الجبهة وعناصرها ودرس الهندسة على سمعتهم ونضالهم المجهول .. ويقوم بأنشطة في مصالح صناعية لهم .

قال عبد القادر : وأنا مثلك لا اهتم بأخباره وحركاته منذ سافر العراق حتى لما سافرت كندا لم يتحدث معي هاتفيا ولو مرة واحدة ؛ ولكن أحيانا كان عاصم يتكلم عنه وبأخباره أمامي وأنه لم يتزوج بعد انفصاله عن زوجته كما فعلت ، وقيل انه تزوج في بيروت ولا ادري صدق أو صحة هذه المعلومة .. ها هو عاصم اقبل .

دخل عاصم مسلما ومحييا وداعيا لزوجة عبد الرحيم بالشفاء وقال : صدق أني انزعجت جدا لخبر مرضها الغامض ألا علاج له ؟

ـ علاج ناجع لا يعرف الأطباء ، وأنا عدت لا استطيع التفرغ لها .. فتحتاج لمراقبة دائمة والبقاء الدائم أو المتكرر في المشفى ..صعب عليّ ماديا ونفسيا وشغلا .. فهنا الأهل قصدي أهلها يتعاونون معي

قال عبد القادر : ما هو مرضها بالضبط ؟

ـ غير معروف ..يزرقّ وجهها وينقص الأوكسجين وتحتاج لأنبوبة الأوكسجين وتمريض ساعة زمان .. وممكن أن تتكرر الأعراض في أي وقت .. هل هناك مشاكل في القلب ؟ لا يظهر شيء واضحا ..هل من مشاكل في الرئة ؟ ولما تذهب الأعراض تعود ؛ كأنها ليس بها شيء .. والحمد لله على كل حال .. قبل حضورك يا أبا حاتم ذكرنا سمورا

تنهد عاصم وقال بحزن : منذ غادر مدينة بيروت لم أتلق منه أي اتصال .. حتى لما الوالد توفاه الله لم يحضر ولم يعزنا .. تحدثت مع زميل لنا أيام زمان قال لا اعرف عنه شيئا زرت مكتب

الحزب لا جواب كأنها أسرار دولة .

فقال عبد القادر : وأنت ماذا تظن ؟

رسم ابتسامة على وجهه وقال : أسوأ الظن القتل .. ولكن لم ينشر شيء لو اغتالته إسرائيل لنشر وأعلن وهو غير مسلح .

قال عبد الرحيم : كثير من رجال الحركة قتلوا وهم غير مسلحين واشهرهم غسان كان مجرد كاتب وصحفي

ـ صحيح ها أنا أفتش وانقب

قال عبد القادر : ذكرنا امر زواجه هل تزوج في لبنان

قهقهة عاصم : جرت محاولة بضغط من صاحبه زيدان شاب فلسطيني لبناني درسنا في صوفيا من مخيم برج البراجنة في بيروت أراد تزويجه شفقة عليه من الزنا والفجور وبعد حين توقف الموضوع .. وظل على حاله المعقد مع النساء .

قال عبد الرحيم : أولاده اليوم

ـ عند والدة أمهم فهي ترملت من شهور

قال عبد القادر : أيصرف عليهم ؟

ـ منذ الطلاق لم يصرف بشكل رسمي بين فترة وأخرى يبعث لي مالا اشتري لهم به ثيابا وهدايا فمال امهم يصرف على بلد .. ولها راتب من نقابة المهندس .

اختفاء سمور

اشتعلت قلوب العائلة قلقا وتوترا باختفاء سمور الشقيق الخامس فهو الثاني بترتيب الذكور وكان أكثرهم اهتماما وقلقا عليه المهندس عاصم فهو الأقرب إليه سنا وفكرا ، سعى عاصم الأقرب إليه أيام الشيوعية وأيام الدراسة في بلغاريا الشيوعية بالتواصل مع عناصر شيوعية في البلد وعناصر في الجبهة الشعبية ثم سافر إلى دمشق حيث مكتبهم الأهم ؛ ربما الأهم في الصراع العربي الإسرائيلي وقابل ممثلا لهم في بيروت وما خلص إليه منهم انه سافر للجزائر وربما دخل ليبيا أيضا .. فسمور لم يكن عضوا في الجبهة ؛ إنما توافق معهم في المنهج اليساري ، وله أصدقاء معهم أو فتيان عرفهم صغارا وهربوا بعد أحداث السبعين في عمان وجرش ، ولما انهى الثانوية سافر إلى صوفيا بدعم من الحركة للدراسة ، فقد كانت منظمات الفدائيين على علاقة قوية مع المعسكر الشيوعي الأوروبي والصيني وتسمح لهم بإرسال طلبة سواء كانوا شيوعيين أم لاجئين للدراسة في كلياتهم ، واستطاع بواسطتهم من سحب أخيه للدراسة معه في بلغاريا الشيوعية ، فظل يحفظ لهم الجميل ويزورهم أي الأصدقاء سواء عرفهم في الأردن أم أثناء الدراسة ولم يطلبوا منه خدمة أو زيارة أو القيام بعمل يبادر إلى ذلك، فهو لم يكن مربوطا بشركة أو بالوظيفة الحكومية ، فهو تخصص في الهندسة الميكانيكية لتصليح الآلات والماكنات فيشتغل بالعمل الحر أو مشاركة مع احد الفنيين لزمن معين في مشروع فلذلك يستطيع التنقل بين البلاد .
يستطيع مهندسو الميكانيك العمل في جميع القطاعات التي تحتاج إلى تصنيع المعدات والآلات من أبرزها قطاع الصحة، والطاقة، والمواصلات والتنقل، والموارد المائية كذلك ، بالإضافة إلى أنظمة التصنيع ونقل الحركة والتحكم ، يُصمِّم، ويُشرف، ويُسهم المهندس الميكانيكي في جميع عمليات التصنيع التي تتراوح بين تصنيع البطاريات وحتى تصنيع الأجهزة والمعدات الطبية كما تُعتبر طبيعة عمل المهندس الميكانيكي ميدانية حيث يعمل في القطاعات الصناعية، والإنشائية، والهندسية كذلك كما يتضمَّن عملهم القيام ببعض الزيارات الميدانية لبعض مواقع وورشات العمل ، قياس أداء المعدات الميكانيكية، والأجهزة، والمحركات ويمكنه إعداد

الميزانيات، وتحديد الوقت والكلفة اللازمين لإنهاء المشاريع ومناقشتها مع العملاء والمدراء التأكُّد من أنَّ الأدوات المستخدمة آمنة وفعَّالة والسلامة العامة .

ووعده مكتب دمشق بأن يخبره بأي خبر يصل إليهم عنه ، ورمى احدهم سهما بأنه قد يكون اختفى في أوروبا بعد نكسة الشيوعية العربية في روسيا ، وعاد لعمان كما يقال بخفي حنين للأسف قال لعبد الرحيم : لم اكن اعرف له صديقا حميما خاصا إلا وفاء امرأته ، كانوا مجرد رفاق سهرات شراب دعارة ، ثم رحل لبغداد للعمل في مكتبهم مؤقتا والشغل الخاص به لهم في العراق فهو لم يكن عضوا رسميا في الجبهة ، فهم يكلفونه بعمل خاص في مجال هندسته .

***

تبنت الجبهة الشعبية الماركسية اللينينية رسميا في مؤتمرها الثاني في شباط ١٩٦٩، وكانت أدبياتها في تلك المرحلة أقرب إلى أفكار ماوتسي تونغ زعيم الشيوعية الصينية ، والتجربة الصينية لاحقا ، تقاربت الجبهة مع الاتحاد السوفييتي والكتلة الشرقية بعد مؤتمرها الثالث عام ١٩٧٢ الذي تخلت فيه عن خطف الطائرات ، وتتطورت العلاقات بعد التحولات في الموقف المصري عام ١٩٧٧ وزيارة الرئيس المصري أنور السادات للقدس وبدأت تعرف منظمة ماركسية لينينية بالفهم السوفييتي للشيوعية والماركسية ، بعد انهيار المعسكر الاشتراكي ظلت الجبهة مسترشدة بالفكر الماركسي اللينيني ، من المشهور قيام تنظيم الجبهة العسكري على تنظيم حركة القوميين العرب التي دربت عددا من أعضائها عسكريا قبل حرب ١٩٦٧، في معسكر أنشاص في مصر وبعضهم الآخر سرا في الأردن ، بعد الحرب فهي كانت اقرب لقومية عبد الناصر من فتح ، وبعد معركة الكرامة بالذات، افتتحت معسكرات للتدريب، في سوريا، ثم في الأردن، ثم في لبنان وتدفقت المساعدات العربية للفصائل الفدائية الفلسطينية واشترك بعض أعضائها وضباطها في الدورات ، التي كانت توفرها لهم منظمة التحرير الفلسطينية في الدول الصديقة ، فكانت تحصل على مستلزمات قواتها العسكرية من العراق ؛ ومن الأسواق الحرة في حالات نادرة واستمرت في اعتمادها على بغداد لفترة طويلة ، ثم تلقت الأسلحة

من ليبيا القذافي صاحب انقلاب الفاتح بعد عام ١٩٧٨ ، وبعد توقيع الاتفاقية المصرية ـ الإسرائيلية (كامب ديفيد) ، حصلت الجبهة على الأسلحة من كوريا الشمالية والاتحاد السوفيتي، ودول أوروبا الشرقية ، شاركت الجبهة مع باقي الفصائل الفلسطينية في العمل الفدائي عبر الحدود الأردنية واللبنانية وكانت إلى جانب حركة فتح ثاني أكبر فصيل فلسطيني، وقادت العمل العسكري في قطاع غزة حيث استفادت من وجود كوادر القوميين العرب القوي وبقايا جيش التحرير الفلسطيني ، اعتبرت الجبهة القضية الفلسطينية قضية أممية واستقطبت ناشطين من مختلف أنحاء العالم، منهم الفنزويلي كارلوس والجواتيمالي أغويريو، وتعاونت في مطلع السبعينيات مع منظمات يسارية أممية مسلحة مثل الجيش الجمهوري الأيرلندي ومنظمة بادر/ ماينهوف الألمانية والألوية الحمراء الإيطالية، ونفذت هجمات في مختلف دول العالم كان من أشهرها هجوم نفذته عام ١٩٧٢ بالتعاون مع الجيش الأحمر الياباني في مطار اللد ، وآخر في نفس العام بالقنابل اليدوية على قاعة سينما في تل أبيب ، في ما عرفته الجبهة بـ«عملية الشهيد غسان كنفاني» الذي قد اغتالته إسرائيل في تموز من نفس العام إلا أنها قامت في مؤتمرها الثاني عام ١٩٧٢ بمراجعة تخلت على إثرها عن عمليات خطف الطائرات وأدت إلى انفصال ما عرف ب«الجهاز الخاص» عنها بقيادة وديع حداد الذي واصل «العمليات الخارجية» خارج إطار الجبهة.

شاركت الجبهة في الحرب الأهلية اللبنانية وفي مقاومة الاجتياحات الإسرائيلية في عامي ١٩٧٨ و١٩٨٢ حيث أدى الغزو الإسرائيلي وحصار بيروت إلى إخراج الفصائل الفلسطينية من لبنان، وتوجه جسم الجبهة العسكري الأهم إلى قواعد في سورية واليمن الجنوبي، فيما انتقلت قيادتها السياسية إلى دمشق في الثمانينيات شاركت الجبهة في حرب المخيمات في لبنان في مواجهة حركة أمل الشيعية اللبنانية المدعومة من سوريا .

تعرف الجبهة الشعبية نفسها بأنها: حزب سياسي كفاحي يعمل لتوعية وتنظيم وقيادة الجماهير الفلسطينية من أجل استعادة الحقوق الوطنية الفلسطينية وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير

وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس كهدف مرحلي على طريق تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني، وإقامة دولة فلسطين الديمقراطية التي يعيش مواطنوها جميعاً بمساواة كاملة بدون تمييز في الحقوق والواجبات وبمعزل عن اللون والعرق والجنس والمعتقد وهي تناضل من أجل إقامة مجتمع اشتراكي خال من الاستغلال، قائم على المبادئ الديمقراطية والإنسانية على طريق تحقيق مجتمع عربي اشتراكي موحد.. هذا قبل سقوط جدران برلين وانهيار الاتحاد السوفيتي .

***

قال عاصم بحزن عميق : فعلا انقطاع أخباره غريب، حتى لما بدأت أشلح ثوب الشيوعية كان بيننا ود وثقة ، وكان يعتبر انقلابي فترة استراحة وأنني سأستيقظ للعودة للشيوعية من جديد ، وأني تخليت عن الفكر الملحد لغضبي من بعض الأعضاء .. وسعى بعض رفاقه في ذلك ؛ ولكني كنت قد حسمت امري عن أحلام ماركس وانجلز ولينين وحكم العالم بالشيوعية .. كان قبل مغادرته لبنان يتحدث معي هاتفيا في الشهر على الأقل مرة .

قال عبد الرحيم : راودني هذا الخاطر السيء يا عاصم ظننت أن فشل السوفييت في تحقيق شيوعيتهم سرع بانعتاقك من فكرهم .. المهم الحمد لله أنك رأيت النور وأسأل الله تعالى لك الثبات على دينه الحق .

ـ أمين .. الحياة شاقة يا عبد

قال : الدنيا دار ابتلاء وامتحان للمؤمن والكافر والعاقبة للمتقين .. المؤمن الفقير فيها سعيد لا يخلو بلد من فقراء .. قد يكون الفقير في بلده غنيا بما يملك في بلد آخر ..

قال عاصم مذكرا : هل تذكر كم سخرنا منك أنا وسمور لما علمنا أنك ستدرس شريعة ؟

ـ تلك أيام لا تنسى .. قد دهشت للغاية منكم تلك الأيام ..قلت لهذه الدرجة تبغضون الإسلام انتم لكم سنوات في الإلحاد ولستم قادة ولا حكماء .. كم سنة في بلغاريا . وضحك

قال : ألم تفكر بتغيير اتجاه الدراسة بسبب موقفنا الأحمق ؟!

ـ أبدا أبدا كان يمكنني الالتحاق بالكليات العلمية أو حتى الهندسة مثلكم لكن أحببت دراسة

الشريعة عاطفة وعقلا وتشجيعا من بعض مدرسي العلماء .

قال : لماذا ؟ نحن لم نكن أسرة متدينة لتفكر بذلك الاختيار كان في زماننا أساتذة التربية الإسلامية واللغة العربية مدار سخرية ونكت للطلاب .. صحيح كان الوالدان من أهل الصلاة والصوم .. وكان عندنا فكرة أن صاحب المعدل الضعيف في التوجيهي هو من يدرس العربية والشريعة .

ـ أحببت الشريعة ليس من البيت .. أحببتها من المسجد ومن مكتبة المسجد ومكتبة المدرسة ومدرس التربية الدينية .

قال : أصدقاء المسجد .

ـ اجل أجل .. أنا صدمت جدا لما رأيت عبد القادر ينحرف وينجرف نحو الإباحية فكنا من فتيان المسجد وكان يصوم ويلعب رياضة مع فرق المسجد

فسر عاصم انحراف عبد القادر بقوله : الكليات العلمية عندنا مسرح للشهوات والانحراف وعرض الأزياء واللحوم والسيقان والمسابح .. وتأثر بسمور كسلوك شرير .

عقب عبد الرحيم : لا اعتقد ذلك مائة بالمائة .. كثير من زملائنا درسوا فيها ولم ينقلبوا .. فأنا يومها فسرتها بضغط منكم وكثرة حديثكم عن الشهوات والبنات في جامعات أوروبا الشيوعية

***

كان غياب سمور عن عاصم مقلقا ومزعجا اكثر من سائر إخوته وأخواته فلم يكن صديقا لأخواته أو أزواجهن ، ولا لسميح وعبد القادر وعبد الرحيم كانت علاقته باردة للغاية ؛ لأنه منذ سافر إلى صوفيا اصبح بعيدا عنهم في كل شيء ، كانت علاقته بهم اذا صدفهم في بيت أمه وأبيه ، فهو لا يعترف بأعياد المسلمين ومناسباتهم الاجتماعية ولا يشارك فيها ولا يهتم بها ، فكل هؤلاء لم يهتموا باختفائه .. ظهر غاب سافر حضر .. هم يسمعون أخباره مما يتفوه به عاصم حتى لما كانت وفاء زوجته حية لم تطرق باب إحداهن ، ولا هن طرقن بابها لأنها لما ولدت طفلتيها ولدتهم بدون زواج شرعي ثم صححوا الأمور فيما بعد .. هكذا كان الوضع

عند غيابه ، لم يكترث له احد منهم ، بينما عبد القادر في شقته بعد الغروب رن جرس باب شقته في عمان التي تملكها لما اشتغل في شركة خليجية فنظر لقرينته لمياء وقال : لست على موعد مع احدهم .. من ؟

نهضت لمياء وقالت : لا ادري ! لم يتصل بي احد من أهلي لعله من الجيران

فتحت الباب فوجدت امرأة فحركت رأسها مستفسرة ، وقالت : نعم !

فقالت المرأة الطارقة : أهذا بيت المهندس عبد القادر محسن ؟

ـ اجل

قالت : هل هو هنا ؟

ـ لماذا ؟!

وكان عبد القادر ابعد المرأة عن فتحة الباب وتطلع في التي تتكلم مع زوجته وقال بدهشة : هناء والتفت لزوجته وقال باستغراب : هذه مطلقتي التي تركتها في مونتريال كندا !

قالت : هل ادخل ؟

قال بحدة وجفاء بين : لماذا ؟! مؤخرك عند أهلك وقسيمة الطلاق معهم .. ماذا تريدين ؟

ـ بيننا صفاء

قال : يعني !

ـ نتكلم على الباب

قال بنفس النبرة : تعالي مع أخيك باسم أو نديم .. أنت مطلقة ، ولا شيء بيننا ، ولا ارغب بمعرفة سبب عودتك إلى هنا .. وأنا تزوجت منذ وضعت ارجلي في البلد .

ـ أنا ندمت

صاح ساخطا : ماذا ؟! ندمت .. ندمت على بيع نفسك لرجال كندا .. هذه امرأتي يا سيدة

ـ ألم تفعل مثلي ؟

قال بجفاء : انصرفي رجاء .. لم أفعل مثلك يا هناء ! أنا رجل شريف، منذ تخرجت من الجامعة

لم اعرف أنثى غيرك .

ـ تضحك على من ؟ خائف أن تعرف هذه التي بجوارك بفحشك .. وتلك الشقراء ...

اغلق الباب بالمفتاح وصاح : احضري مع أبيك أو أخيك من اجل الطفلة فقط

جلس على كنبة غاضبا وقال دون تمهيد دون مقدمات : كنت كلما أعود من عمل أجدها في حضن رجل وتزعم أنني طولت عليها واشتاقت للجنس .. وأعطيتها اكثر من فرصة فتقول بغير أدب وشرف كأنها ولدت هناك : نحن في فرنسا الصغيرة ـ لأنه يغلب على كيبيك ومونتريال اللغة الفرنسية بسبب سكانها من اصل فرنسي ـ أنت تقضي ساعاتك مع بنات كندا وتستكثر عليّ أصحابي .. كانت تسكر سكرا لا يسكره رجل .. فهربت وتركت كندا لها وكرهت جنسية الغربة من أجلها .

قالت لمياء باستغراب : ألم تكن عندها ذرة خجل ؟

ـ أبدا حتى شككت في نفسي هل أنا متزوج امرأة مسلمة وعربية

قال : وأهلها !

قال وقد هدأت نبرات صوته : على شاكلتها .. تبرج سفور سينما رحلات .. أخطأت الاختيار لقد عرفتها أيام الجامعة وخدمت مع شقيقها في هندسة الجيش مما شجعني على الاقتران بها .. مراهق ومفتون بالجميلات ولما أنهيت خدمة الجيش خطبتها وعملت بضع سنين في الخليج ثم الزواج ثم تيسرت لي هجرة عن طريق أقارب لها هاجروا قديما .

ـ هل ستعود ؟ ما قصدها من بيننا طفل ؟

أجاب : اعتقد من اجل النفقة عليه .. نحن تزوجنا هنا في عمان ، فلما رجعت طلقتها هنا وتفاهمت مع والدها وشقيقها الأكبر نديم .

ـ معقول حضرت من اجل نفقة الطفل .

قال معللا : لا يربطني بها إلا الطفلة صفاء .. يبدو أن أقاربها ضاقوا ذرعا بها وفجورها فضغطوا عليها لتعود فهي تتعاطي أيضا

ـ اذا الطفلة فقط فالأمر هين

قال : هل يخطر في بالك شيء آخر ؟

قالت بتوجس : قلت ظهورها ؛ ربما محاولة لتعود إليك ما دامت عادت ؛ ربما لم تتوقع أنك تزوجت بهذه السرعة .

فكر رويدا وقال : والله ممكن ؛ ولكني هددتها اذا عدت لعمان لا يمكن أن اقبل بها زوجة فهي لا تصلح زوجة ، وأصرت على البقاء وعلى الاحتفاظ بالطفلة .. سيذوب الثلج ويظهر ما تحته.. فعلا أهلها قد لا يعرفون بزواجنا مع أنه نشر في الجرائد

دعت لمياء : الله يبعد عن المشاكل .

***

مر أسبوع على زيارة هناء لشقة عبد القادر حتى سألت لمياء : لم تعد مطلقتك .. هل تحدثت معك خارج البيت ؟

تبسم وأدرك أن قلقا يعصف بلمياء فقال : لا ، لا يا عزيزتي لم تتحدث معي ولا أفكر بالاتصال بها دعك من القلق والهم ، ولكن شقيقي عبد الرحيم اتصلت به امرأة وقالت له أنا أم ابنة أخيك ارغب بالجلوس معك ، فاعتذر لها ، ولم يحدث شيء آخر ؛ ربما زواجي العاجل كما أشرت عقد الأمور لديها ، ولا حتى شقيقها باسم زميل الهندسة العسكرية تحدث معي في الشركة فهو يعرف طريقها

ـ شغلت قلبي !

ضحك من وسوستها وعذرها فهي لم تحمل منه برغبتها هي فقال : لا تشغلي قلبك ولا بالك ما بيني وبينها انتهى .. فخرجت من نفسي وقلبي .. أنا أقر أن اختياري لها كان سيئا .. فهي مهووسة بالرجال من أيام الجامعة ؛ إنما قلت لنفسي لعلها بعد الزواج تعقل وتهدأ كما نزعم .. ففترة الكلية والاختلاط لها أحكام وأحوال خاصة بها .. وأنت ابنة الجامعة مثلنا وتعرفين الانفلات بزعم المراهقة والحرية .

غيرت اتجاه الحوار فسألت : هل من أخبار عن شقيقك سمور ؟

تبسم ثانية وقال مسايرا : سمور كان انفصاليا عن الأسرة منذ درس الهندسة في بلغاريا الشيوعية ..ولا احد يهتم بحضوره وغيابه ، فلولا علاقته القوية بعاصم ـ فهما شبه توأم ـ فلا احد يعرف عنه شيئا .. آخر ما سمعته منه أنه دخل طرابلس الغرب ، ولم يخرج كما يقول عاصم ذكرت صحيفة يسارية أنه معتقل في إسرائيل .. ماذا تريد منه إسرائيل ؟ هو عضو متحمس أيام الحزب الشيوعي أو حتى حركة اليسار العربي أو جبهة حبش .. هو لم ينتم للجبهة الشعبية الفلسطينية يوما واحدا .. كان لنا قريب فيها وبواسطته تعلم في الدول الشيوعية الأوروبية فظل يحتفظ لهم كما يردد بالود وينفذ لهم أعمال تخص شغله .. وله أصدقاء درس معهم في صوفيا من هنا ومن لبنان أو سوريا أو حتى فلسطين وغزة لاجئون مثلنا .. فظل على علاقة معهم .. وهؤلاء أو بعضهم يعملون في الحركة ومكاتبها في الدول المسموح لهم فتح مكاتب لهم فيها .. فيزورهم ويتواصل معهم .. وكل اجتماعاتهم حول الشغل والاستفادة منه وهو يستفيد منهم .. ويسكرون ويعشقون البنات .. فهذا سبب رحلاته اليهم بالأيام والشهور .. صحبة أفكار وكأس ؛ لأن النضال المسلح ضعف منذ خروجهم من بيروت عام ٨٢ .

ـ أليس غريبا أن يختفي ؟

قال مجيبا : هؤلاء الشيوعيون يقتلون الشخص ويدفنونه دون علم احد حتى يستيقظ ضمير احدهم ويعترف بجريمة .. السكر والقمار مأساة .. كم قتل لينين وستالين من أنصارهم بزعم الخيانة والعمالة ثم يتبين انه لا خيانة ولا عمالة .. إنما صراع ونزاع على السلطة .

ـ يشرب أخوك .. هل تشرب يا عبد ؟

ضحك وقال : قبل عودتي من كندا كنت اشرب الكثير، ولما عدت اشرب القليل فقط ، ولا احب أن اشرب في البيت ليس خوفا منك ، فأخوك زميلي أيام الكلية يعلم ذلك ، واذا شربت اشرب مثل كوب الشاي الصغير مع الأصدقاء ومع أخيك ؟ أتعرفين أنه يشرب ؟ هززت راسها بالإيجاب فتابع الإجابة فقال : أما سمور فقبل أن يصير شيوعيا وايدلوجيا كان يقضي

أياما في بيروت للسكر والقمار فرحلة إلى دمشق ثم بيروت ، وكان لنا أولاد عم ثوريين هنا ، ثم رحلوا سوريا ولبنان بعد حرب السبعين كنا صغارا .. واعتقد أنه شربها من أيام المدرسة الثانوية وتعلم على تعاطيها بكثرة ، وهو يدرس في صوفيا ، فلا يكتفي بخمور المعسكر الشرقي يعشق خمور العرب هو اكبر مني بخمس سنوات أو ست فكنا نسمع شطحاته وغرامياته في عمان وفي لبنان وفي صوفيا

ـ عاصم اصبح جيدا

قال :كان سمور قدوته وأستاذه ، فلما استقر هنا وكثر لقاؤه بعبد بدأ يتغير ، ومع سقوط المعسكر الشرقي وصراعه مع الحزب واليسار هنا عرف ضعف الفكر الستاليني واللينني .. فكرة قتلت ملايين البشر .. فعاد إلى الله ..كيف شغلك اليوم ؟

ـ الشغل لا ينتهي .. ألا تفكر بالخلفة ؟

قال : افكر بذلك ..هل ترغبين بذلك ؟ أنت قلت منذ تزوجنا علينا أن نصبر خمس سنوات حتى يستقر زواجنا .. فأنا لا مانع لديّ ..المهم أنت أن تتوقفي عن الموانع

ـ أنا أمي تلح عليّ بالإنجاب ما رأيك ؟

قال باسما : عادي الأمر عندي عادي

ـ لا تتضايق مني

قال مستغربا : لا، أنا لست ضد الإنجاب .. أنت التي شرطت ذلك

ـ حسن سأقوم ببعض الفحوصات

ـ توكلي على الله

***

قال عبد الرحيم لعاصم وسميح وكان قد دعاهم سميح للعشاء في بيته مع زوجاتهم وكان رابعهم عبد القادر قد اعتذر لهم بلقاء مع أسرة زوجته لمياء : أيعقل أن يكون أسيرا ؟

تبسم عاصم وأجاب : هذه نكتة يسارية يبدو لي .. عمره سمور ما تدرب على سلاح أو حمل

سلاح ..خلال وجودنا في صوفيا كانوا يسمحون لنا بالتدرب في لبنان أو سوريا .. دورات مدتها ثلاثة أشهر أو ستة على نفقة المنظمة .. ويسمحون بالتطوع للقتال أثناء الاجتياحات الإسرائيلية .. لم اذهب أنا أو سمور لها .. فنحن عشنا هنا ، فبعد أيلول كما يعلم سميح وغيره اختفى السلاح العلني من أيدي الفلسطينيين هنا .. وعم السكون .. فمن كان يحب السلاح سافر إلى لبنان ومن عاد بالعفو الملكي رجع بدون خنجر ..فأقول قلة اسرى في إسرائيل من العرب والانتفاضة في غزة والضفة .

قال سميح : اختفاء غريب جدا !

ـ هو لولا ذهابه لليبيا كما تبين لقلت قتل في لبنان وأخفيت جثته أو دفن في قبر جماعي .. صحيح الحرب الأهلية توقفت في ساحة لبنان بمؤتمر الطائف ؛ ولكن هناك ثارات وأحقاد وقوات الردع السورية لم تخرج والتهريب والمخدرات ما زالت مستمرة .. لكنه رحل للجزائر ومنها دخل ليبيا برا

قال عبد : فكرة سفره لأوروبا الغربية ألها تفسير ؟

ـ لماذا لم يخبرني على الأقل ؟!

قال سميح : وهذه اغرب من فكرة أسره .. هل كان يدعم الانتفاضة سرا ؟

ـ لم يدخل فلسطين منذ ذهبت عام ٦٧ .. هل قتله رفاقه في ليبيا في طلقة طائشة وحفلة ماجنة كما يظن عبد القادر ؟.. ولكنها جثة وهناك سلطات قوية .

قال سميح : لعل هذه السلطات قتلته !

ـ لماذا لماذا ؟ هو مجرد مهندس تصليح الآلات وماتورات .. ما الخطر الذي يشكله على نظام القذافي ؟ فكرة سخيفة .. يدبرون له تهمة ويرمونه في سجن أبو سليم أو يقتلونه ويرسلون جثته بالقتل خطأ .

قال عبد : لعله كما قلت سجن في ليبيا

قال سميح : لم يتكلم أصحابه لقيادتهم في دمشق ولماذا يخفون ذلك ؟!

ـ وهل لديهم الشجاعة ليعترفوا يا ابن أمي وأبي .. يا رجل انتخابات اتحاد الطلبة الفلسطيني والصحافة يفوز المرشحون كما نسمع تحت التهديد والتخويف ..

وتابع لما لم يتكلم أحد : اختفاء محير ولكن المطلوب منا أو مني التعسعس حتى نصل لليقين أو الخبر الراجح

دعوا لعاصم من قلوبهم بأن يصل لليقين في غموض قضية سمور.

***

اتصل رفيق عتيق بعاصم طالبا اللقاء به للحديث حول فقدان سمور ، والتقيا في مقهى وسط المدينة وبعد عناق وترحيب وذكريات وشرب الشاي ، قال فوزي : سمعت من بعض الأخوة من أيام وكنا في حفلة عرس عن ضياع أو اختفاء سمور محسن في ليبيا فاستغربت فتحدثت مع بعض الرفاق القدامى في الحزب ؛ لأنني كما تعلم لما مرضت مرضا صعبا تركت الشيوعية مثلك وتبين لنا أنها كذبة دموية ليس اكثر

تقدم النادل بالقهوة والماء التي طلبوها بعد شربهم للشاي ، وتناول كل واحد منه كوبه وكأس الماء وشكرا العامل بتمتمة وقال فوزي مذكرا لعاصم : أنا عرفت أخاك كما تعلم قبل سفره لبلغاريا من أيام المدرسة الثانوية لعلك تذكر ذلك ؟

ـ نعم اذكر وكنت أراك أحيانا معه

قال : نعم ، لم اكن في نفس المدرسة اذا كنت تذكر .. كان يجمعنا حب الشيوعية والإعجاب بالزعماء الأوائل مثل كاسترو في كوبا وموشيه منه بتاع فيتنام ودفاعهم عن قضيتنا وتسليحهم للمنظمات والفصائل الفلسطينية المسلحة .

ضحك عاصم وقال ساخرا : كانت تلك الحرب تدغدغ أفكارنا وأحلامنا نحو الانتصار على أمريكا وإسرائيل وحرب التحرير الشعبية .. نعم يا سيد فوزي نعود لسمور صديقك تلك الأيام المواضي .

ـ أنتما رحلتما للدراسة في صوفيا على نفقة حركة القوميين العرب وأنا درست في الأردن إدارة

أعمال فابتعدنا عن بعضنا .. وكنا نلتقي أثناء مؤتمرات الحزب السرية خارج الأردن

قال عاصم متذكرا : رأيتك في لبنان مرة ودمشق مرة ثانية فقط

ـ فسمور شقيقك ظللت على تواصل معه ، فلما حضرت عرس ابن احد الزملاء سمعتهم يتحدثون عن اختفاء سمور محسن الغامض فتواصلت مع عضو قديم فذكر لي أنه سمع مثلي ولا يدري صحة ذلك الاختفاء ولا يعرف لماذا سافر سمور لإفريقيا ؟ أتعرف أنت ؟!

قال عاصم : بالضبط لا اعرف .. هو ذهب لبنان بناء على رغبة من رفاق له ، فكان أحيانا ينتدب للعمل مع زملاء في الحركة الشعبية وفي مكاتبها لزمن يسير ، ولا اعرف ماذا يعمل فيها مجرد إعارة .. الغالب شغل خاص بالتصليح والصيانة كان يقول ..فهو مهندس ميكانيكي كما تخبر لا علاقة له بالأسلحة والكيمياء

ـ اعرف أعرف .. لما رحل من بيروت لم يصارحك بشيء

قال :كأي سفرية .. أنا مسافر جماعة بغداد اتصلوا جماعة بيروت يخبرني ويسافر بدون أي تفصيل ونظل على اتصال بالهاتف بين الوقت والأخر ..أنا افتكرت انك تملك معلومات

ضحك وقال : أنا لا امتلك معلومات ؛ ولكنه صديق وعزيز .. واعرف زوجته السيدة وفاء قبل انفصالهما فهي كانت قامة في الحركة الشيوعية وبين النسوان ؛ ولكني سأرسلك أو أدلك لرفيق في سوريا أو لبنان لا اعرف أين يسكن الآن لعلك تجد عنده شيئا .

ـ هل اعرفه ؟

قال : هو سوري وتزوج في بيروت وعاش فيها اكثر حياته .. وقد لا يزال فيها .

ـ ماذا سأجد عنده ؟!

ـ ستجد عنده أخبارا عن سمور محسن .. معلومات

قال بدهشة : كيف ؟أنا في حيرة !

ـ هو اليوم ربما قريب من السبعين هو طبيب درس في الجامعة الأمريكية مثل جورج ووديع واكثر قادة حركة القوميين العرب ، وعمل في الصحافة البيروتية والسورية وكان في حركة

القوميين والماركسيين العرب وعاش حرب لبنان من بدايتها لنهايتها فلعلك تجد عنده خبرا عن سفر سمور لليبيا فهو مرجع تاريخي للنضال العربي اسمه ...

ـ سمعت به وانا في لبنان ؛ لكنه كما قيل شبه ميت كذا جلطة تعرض لها

قال فوزي : حاول .. لن تخسر شيئا بمقابلته

قال بشك : هل سيعرف عن سمور شيئا يا سيد فوزي ؟! هو مجرد صحفي .. وسمور صديق لشباب في الثورة

ـ لعل وعسى فهو ما زال محجا للنضال القومي واليعروبي

تبسم المهندس وقال : ولى النضال يا أبا نضال ! وحررنا يافا والقدس ونستعد للعودة

ضحك فوزي لحظات وقال : سافر اليه افضل من الانتظار ؛ فإذا بتحب أنا مستعد للسفر اليه

قال عاصم متأملا العرض : شكرا سأفكر بالعرض .. فأنت الوحيد ممن صاحبه اهتم بقضية الاختفاء .. أترى انه اغتيل في ليبيا ؟

انتظر السيد لحظات قبل الإجابة : لماذا يقتل ؟! لو قتل خطأ لعلمتم ..فكم قتل من المناضلين والثورين بالخطأ أو تحت التدريب أو عمدا وينشر ذلك وتعزية آ ل الشهيد ..ولماذا يخفى امر مقتله وجثته ؟

رد عاصم : النظام الليبي له سوابق ، واشهرها مؤسس حركة امل الشيعية الصدر

قال فوزي ببطء : أنا غير مستسيغ القتل وإخفاء الجثة وقصة اللبناني الشيعي ما زال يلفها الغموض يا سيدي !

ـ ألا يقتل المساجين ولا احد يدري بهم .. ليبيا نظام شمولي ديكتاتوري .. فالإنسان اقل من حشرة في تلك الأنظمة الانقلابية ..سواء في ليبيا في مصر عبد الناصر سوريا الأسد عراق صدام الإنسان المعارض لا قيمة له عند تلك الأنظمة

قال فوزي : سمور ليس سياسيا بالمفهوم الشامل ..وهو ليس في الصفوف الأولى في القيادات اليسارية ليُهتم بكلامه وتعليقاته .. ولا أذكر انه كتب للجرائد خاطرة قبل أن أقول مقالا ..

قال لي اكثر من مرة انه لا يحب الكتابة ويقرأ ما يلفت اليه .. وذات مرة قال لي : يا رجل نشرات الحزب السرية كنت أوزعها أيام الثانوية ولا اعلم ما فيها .. أما فكرة الهرب للغرب فأقوى

ـ يترك تاريخه الشيوعي وتعصبه للذهاب إلى الغرب

قال فوزي مبينا أو لافتا نظر المهندس : الغرب فيه يا عاصم أحزاب شيوعية وشخصيات ايدلوجيا اكثر من روسيا .. فألمانيا فيها شيوعية .. وهل تظن أن كل سكان المانيا الشرقية تحولوا لرأسماليين ؟ فما زالت الاشتراكية تعشش في أوروبا .. وألمانيا منبع الشيوعية الماركسية فماركس الماني ولا تخلوا بلد أوروبي من حزب شيوعي أو اشتراكي .. ولكنهم لم يكونوا بالزخم السوفيتي والدعاية السوفيتية التي عشناها .

ـ على كل حال ..أشكرك شكرا جزيلا وسنبقى على تواصل .

قال : شكرا لقبولك لقائي ؛ فربما أنت الوحيد من إخوتك مهتم بسمور

قال عاصم موضحا السبب : للأسف يا أخ فوزي .. كانت علاقته الاجتماعية معهم ضعيفة بل صفر مكعب .. كان انعزاليا مع أفراد العائلة إلا من كان شيوعيا من أقاربنا وأبناء العم والخال ..أنت تعلم أن الناس صدمت من أحداث النكبة والنكسة فانتشر الإلحاد بين الشعب المهاجر والمخيمات كباقي الشعوب العربية ووجد له محضنا بيننا فترى العائلة منقسمة هذا ثوري واخوه سلمي هذا شيوعي وذاك شيخ .. وكانوا يطمعون أن يصنع لهم الشيوعيون شيئا أو يعودون لقراهم ومدنهم أو تكون ثورة الشعب الفلسطيني كثورة فيتنام وغيرها من حركات التحرر في العالم ولكنها صارت ثورة للاعتراف بإسرائيل وصنع السلام هو هدف الثوار .

ـ حسن حسن.. نلتقي .. لا يمل .. سبب هذا السلام الذي تراه هو الانتفاضة الداخلية .

***

تحدث سميح مع عاصم عن نتائج المقابلة فقد كان على علم بموعدها فقال عاصم ردا على الهاتف : لا شيء نصحني بزيارة شخص يزعمون أنه قاموس أو معجم بالشيوعيين ومصائرهم وتحركاتهم ، وينفي مسالة اغتياله من قبل أصحابه أو رفاقه أو حتى النظام الليبي والصليب

الأحمر ينفي وجوده في أسر إسرائيل وليس له نشاط معلن أو معروف ضد إسرائيل .. والغريب أنه يرى انه سافر للغرب هجرة إرادية .

ـ الغرب!

قال عاصم : هجرة كما فعل عبد القادر

قال سميح من غير اقتناع بالفكرة : ولماذا يخفي ذلك عنك أنت ؟

ـ لا ادري .. لعله لا يريد أن لي يعترف بهزيمة الروس والمعسكر الشرقي

قال : ستذهب للقاموس البيروتي .. أتعرفه ؟

ـ سمعت به ..هو طبيب ترك الطب وعمل في الصحافة .. هو من اصل سوري وتزوجته بيروتية نصرانية شيوعية.. وظل فيها .. وهو في السبعينات من العمر ومهتم بتاريخ الشيوعية في بلاد المشرق العربي ومصر اكثر من غيرها وقابل شخصيات شيوعية عالمية .

ـ ماذا ستجد عنده ؟

قال عاصم : لا ادري .. افكر أن أتحمل سفر فوزي يبدو انه يعرفه جيدا .

ـ وهل يقبل ؟

قال : لمح لذلك

ـ جرب

قال : فكرة السفر للغرب .. هل تراه سافر سرا دون المرور على الحدود الرسمية ؟ ولما اخفى المكتب الليبي سفره ؟

قال سميح بتردد : لعله مكلف بمهمة خطيرة تتطلب السرية يا أبا حاتم

تبسم عاصم لفكرة سميح : ما هي المهمة يا ترى ؟

رد سميح : ما هي سرية يا عاصم

ـ اسف .. سمور في مهمة خاصة

قال : ألا يمكن حدوث ذلك ؟ لذلك يتكتمون عن سبب اختفائه .

فكر عاصم بفكرة سميح ثم قال : والله ممكن .. إذن مشوار بيروت بلا منه

ـ لا ادري .. صدق أنني في حيرة مثلك ..فهو رغم عدم تعاونه معنا في قضية فهو أخونا

قال عاصم : بارك الله في نبلك وتعاطفك .. ما أخبار عبد الرحيم وعبد القادر ؟

ـ لحتى اليوم لم يعرف سبب أعراض مرض امرأته .. وامرأة عبد القادر الأولى في البلاد طردت من كندا .. وسعت لمقابلة عبد فصرفها ولم تعد ثانية ..

قال عاصم : شغلتني بفكرة عملية سرية ؛ لكن منذ أيام وديع لم تحدث عمليات سرية .

قال : وهل يعلن عن كل شيء يا مهندس عاصم ؟

ـ أشكرك جدا ! صدق لم افكر بهذه الفكرة رغم زيارتي ليبيا بحثا عنه .

ـ وهل قابلت أحدا التقى به ؟

أجاب بعمق وتأمل : نفوا أي لقاء به ؛ ولكن حدود الجزائر أكدت خروجه برا من حدودها أي خرج من الجزائر اتجاه ليبيا .

ـ ولم يثبت خروجه من ليبيا

قال المهندس : لم يثبت ، ولم يصل لمكتب الجبهة الذي هو عبارة عن شقة صغيرة اذا كان هو المكتب الذي زرته

ـ فإذا كان هو في مهمة حاصة، فلن تجد عنه معلومة حتى تنتهي العملية الخاصة

قال بأمل ورجاء : أرجو ذلك .. لا يخطر على بالي عملية خاصة ؛ فهو ليس عسكريا معهم هو مهندس محركات .. ما هي المهمة التي سيقوم به ؟!

ـ غدا تشرق الشمس ونعرف

عام ١٩٩٤

وقع الأردن وإسرائيل في نهاية ١٩٩٤ على اتفاقية وادي عربة ، ووافق عليها برلمان الحكومة دون أي اعتراض ، واصبح لدى الأردن معاهدة مثل معاهدة كامب ديفيد المصرية ، وقعت بين الأردن وإسرائيل على الحدود الفاصلة بين الدولتين والمارة بوادي عربة في ٢٦أكتوبر ١٩٩٤ طبعت هذه المعاهدة العلاقات بين البلدين وتناولت النزاعات الحدودية بينهما ، وترتبط هذه المعاهدة مباشرة بالجهود المبذولة في عملية السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية منذ أواخر عهد جورج بوش الأمريكي ، بتوقيع هذه المعاهدة أصبحت الأردن ثاني دولة عربية بعد مصر لها معاهدة رسمية مع الكيان ، وثالث جهة عربية بعد مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية تطبع علاقاتها مع إسرائيل ، تم التوقيع على معاهدة السلام التاريخية خلال حفل أقيم في وادي عربة في الأردن، شمال إيلات وبالقرب من الحدود الإسرائيلية الأردنية وقع الاتفاق والمعاهدة رئيسا الوزراء إسحاق رابين الجانب الصهيوني وعبد السلام المجالي الجانب الأردني ، فيما ظهر الرئيس عيزرا وايزمان والملك حسين بمصافحة تاريخية ، وكان الرئيس الأمريكي بيل كلينتون ووزير الخارجية وارن كريستوفر حاضرين خلال حفل التوقيع ، وأرسلت آلاف البالونات إلى السماء في ختام الحفل.

قال عبد القادر بعد انتشار خبر المعاهدة الأردنية الإسرائيلية والاحتفاء بالسلام : هل حقا انتهت الحرب ؟

قال عاصم : أي حرب ؟ آخر حرب بيننا كانت قبل ربع قرن احتلت إسرائيل الضفة دون حرب ، وحرب تشرين كان دورنا بسيطا ، وقاتلنا في الكرامة ساعات من نهار ٢١ من آذار ١٩٦٨ وانسحبت ألوية إسرائيل قبل الليل وانتهت المعركة .

ـ هذا شيء متوقع ما دام قد قبل العرب بالذهاب لمؤتمر العم مدريد بعد حرب الخليج الثانية .. أنا لا احب السياسة ولا السياسة تحبني ؛ لكن الأحداث وكلام الجرائد ودردشة المكاتب يجبر الواحد على الاستماع .. فلنتحدث بشيء آخر ..هل سيتزوج عبد الرحيم ؟

ـ كنت امس أو ليلة امس معه .. زوجته لم تعد صالحة للمعاشرة ، فقالت له بدلا من جلب خادمة تزوج امرأة تقبل برعاية الأطفال .. فهو يفكر بذلك ؛ ولكنه يخشى رفض الزوجة العناية بأطفاله وزوجته المريضة .. فهو يخرج للعمل وأمها وأخواتها لا يستطعن الاستمرار معها .. لابد من وجود احد في البيت .. فالحالة تأتي فجأة .

تنهد عبد وقال : فعلا مشكلة معقدة كان الله في عونه.. الحياة ما فيها سعيد

قال عاصم : السعادة ساعات.. لابد من السرور والحزن واليسر والعسر .. عبد الرحيم متقبل الوضع برضا وصبر .. ألا تتحدث معه أو يتحدث معك ؟

قال باسما : نتكلم بمرحبا والصحة وأخبارك وأخباري باختصار .. سأمر عليه الليلة اذا وجدته بالبيت وآخذ زوجتي .

ـ ما صار بموضوع طفلتك

قال عبد : ادفع لها نفقة على رقم حساب خالها .. فهي ابنتي في النهاية .. وسمعت انهم وجدوا لها ذكرا ولا ادري صحة ذلك .

التقى المهندس عبد القادر بعبد الرحيم في بيته وتطرق الحديث إلى حالة زوجته وقصة الزواج ثانية فقال : أم الحارث تريد ذلك بدلا من خادمة وإنني بحاجة لامرأة أنام معها فهي عاجزة عن المعاشرة الجنسية ، ولكن الزوجة قد لا تحل المشكلة ..فهل تقبل برعاية أم الحارث ؟ لابد من خادمة دائمة ، وقلت الزواج الثاني بعد تشييد شقة ثانية وقريبا سأباشر البناء إن شاء الله وأنت ما هي أحوالك ؟ هل من جديد بينك وبين أم ابنتك ؟

ـ رتبنا امر نفقة الطفلة معها وشقيقها يستلم المبلغ المتفق عليه وها أنا أعالج زوجتي لمياء للحبل

قال : كيف شغلك في شركة ؟

ـ كأي شغل ، نشتغل بدون حماس

قال : غالب الناس تشتغل بذلك الفتور .. هل من أخبار عند عاصم عن سمور ؟

ـ لا شيء لحتى اليوم.. أين ذهب ؟ أين اختفى فص ملح وذاب

ـ هل تراه مات ؟

رد فقال : أين جثته ؟ هل هو سجين في أبو سليم الليبي ؟ لا جواب .

قال عبد الرحيم : هل علمت بتخرج سليمة ابنة سميح من كلية الآداب بليسانس إنجليزي ؟

قال عبد القادر : أجل ، واتصلت بسميح وباركت له .. و ذكرته بيوم جاءنا سميح للاحتفاء بنا يوم نتائج التوجيهي سنة ٧٩

ـ وسمعت أنها قد تتزوج قبل دخول سوق العمل

قال عبد القادر : تتزوج لم يتطرق لذلك .. من العريس ؟

ـ ابن خالها يوسف اسمه وليد وهو مثلك درس هندسة وتخرج قبل سنة ويعمل مع شركة عم له .. درس هندسة مدنية حسب ما قيل .

قال : سأمر أنا ولمياء لبيته ونبارك له ونهدي البنت هدية مناسبة .. هل ذهبت ؟

ـ حضرت حفلة تخرجها مع سميح وإخوتها .. اخوها محسن هو أيضا في الجامعة

ـ كم من الأولاد والبنات عند سميح ؟

ضحك عبد الرحيم لجهل عبد القادر وقال : جيش .. ثمانية خمسة شباب وثلاث صبايا مثل أمي رحمها الله

ـ ما شاء الله .. أنا خلفت صفاء ، وانقطعت الخلفة ولم تستطع الإنجاب في كندا ، ولمياء نعالجها لعلها تحمل .

قال عبد الرحيم : الله ييسر .. وانا عندي ثلاثة بفضل الله تعالى

ـ بارك الله فيهم .

***

أقام السيد سميح حفلة للعائلة بمناسبة تخرج سليمة ببكالوريوس لغة إنجليزية وكان الحفل في صالة احتفالات ، وشارك الأقارب والأهل بنجاح الشابة التي تلقت الهدايا منهم بهذه المناسبة ، وانتشر خلال الحفلة خبر زواجها القريب من ابن خالها المهندس وليد يوسف .

وقال عاصم للمهندس وليد لما اقترب منه : مبارك يا عريس .

تعانق وليد مع عمها عاصم وقال : أشكرك يا أبا حاتم عقبال ما تفرح بحاتم وإخوانه.. أنا سعيد بكم .. هل من أخبار عن العم سمور ؟

ضحك عاصم والتفت لوالد وليد الذي اقترب منهم مصافحا ومسلما : مبارك يا أبا محمد بنجاح عروسنا أولا وبالزواج القادم

ـ بارك الله فيك .. وسيكون الزواج قريبا إن شاء الله تعالى .. فعلا ما أخبار المهندس سمور صحيح خبر اختفائه ازعجنا جدا .. صدق ذلك وكلما أسأل أبا محسن يقول الأخبار الخاصة بسمور عند المهندس عاصم .. وها نحن نرى المهندس الغالي

فقال عاصم : أنا في حيرة ذهبت ليبيا من شهور ولم اجد معلومة عنه إلا أنه دخل ليبيا .. ماذا فعل فيها ؟ حتى لماذا ذهب إليها ؟ لا احد يعرف .. مكتبهم هناك ينكر رؤيتهم له .. وقال احدهم انهم فعلا كانوا ينتظرونه ، ومنطقة حدود الجزائر تقول إنه دخل ليبيا حسب اتصال مع الصليب الأحمر .. وهو لما غادر بيروت ذكر لي في آخر اتصال سيقوم بالمرور على الجزائر بالطائرة من مطار دمشق ومنها لطرابلس الغرب برا .

ـ سمعت من سميح انك كلفت زميلا له بزيارة بيروت لمقابلة صحفي مخضرم .

ـ اجل ، لقد تطوع رفيق تاريخي له بالسؤال عنه في بيروت ودفعنا له تكاليف الرحلة ..وكان ذلك قبل تخرج سليمة بأيام .. لم يتصل بعد

قال يوسف : أعاده لكم ولنا سالما .. هل ماتت الماركسية يا أبا حاتم ؟

رد عاصم : أما أنا فقد طلقتها .. أما على مستوى العالم يقولون الأفكار لا تموت تتضعف تتآكل ولكنها تبقى موجودة .. بالفِعْل تراجعتِ الشيوعية بوصفها نظامًا للحُكم في جميع أرْجاء العالم، بل إنها فقدَت مناصريها في الدول الشيوعية... لقد انهارت الشيوعية كدولة في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي كذلك ، ولابد أن تتبعها كل الأنظمة المماثلة هذا ما يقوله التاريخ .. أين اليونان أين الرومان أين الفرس ؟

هزّ رأسه وقال باسما : اصبحوا تاريخا قال الحق ﴿ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ لقدِ اعتنقتِ الشيوعية الإلْحاد، وقام عليه أكبرُ الدول في الشَّرْق وهي روسيا، حيث حملتْ في بنودها رفْضَ الغيب، والنظر إلى الحياة كلها مِن منظور مادي بحْت.. ولقدْ أصبح الإلْحاد ظاهرةً عالمية بجهدهم وجبروتهم .

قال عاصم : صحيح ما نطقت به .. لقد افسدوا الكثير من الشعوب والناس ؛ ولكنه في بلاد يغلبها الإسلام فهو فكر ضعيف لم يحكم دولة بشكل صحيح .. وأنا أبارك لوليد زواجه القادم من ابنة أخي .

ـ جزاك الله خيرا إن شاء الله تفرح بحاتم وذريتك

***

سافر فوزي صديق سمور في الحزب لسوريا برا ، ومن ثم سافر لبيروت بعد أيام قضاها في دمشق بزيارة لبعض معارفه وأقاربه ، ولما استقر في الفندق في وسط بيروت سعى للاتصال بصحيفة كان يعمل بها ما يسميه القاموس في متابعة نشاط الشيوعيين العرب واليسار العرب بعامة ، فتبين له انه ترك تلك الجريدة قبل خمس عشرة سنة ،وكان يكتب لمجلات مهاجرة تصدر من لندن وباريس وقبرص بدون دوام ومكتب ، فهو كان متابع له فيما يتوفر من تلك المجلات اذا سمح لها بدخول عمان ، وأعطوه عنوان منزله في بيروت الشرقية منطقة نصارى بيروت ، وتأكد منهم أنه لم يغير عنوانه القديم .

فلما زاره في المنزل المذكور علم ممن قابلهم انه مريض ، وخرج من المستشفى من يومين واخذ رقم منزل البيت من زوجته لما قابلته نيابة عن زوجها ، وسيعاود الاتصال لما تتحسن صحته كما اتفقا .

وانتظر أياما حتى سمح له باللقاء به في مكتبه المنزلي ، وحدثه عن سبب هذه الرحلة إليه والحاجة لخبرته ، وهو الذي يملك أرشيفا مهما في نشاط اليسار العربي من قبل نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ فلما استوعب المضيف القضية تنهد وقال : الأمراض تهد البدن يا أستاذ فوزي! وأنا اشكر ثقتك

الكبيرة بقدراتي وخبرتي .. ولكن من سنوات اربع أو خمس لم يعد لي نشاط قوي في متابعة قضايا الاغتيال والاختفاء كالماضي .. وهذا الشاب الذي تحدثت عنه اعرفه ، وجلس مثلك في هذا المكتب كزائر وضيف .. طبعا كان مع رفاق له من أصول لبنانية أو فلسطينية من أبناء مخيمات لبنان .. هو لم ينتم لحركة فلسطينية الذي عرفته عنه وإن كان قريبا من الجبهة الشعبية فكرا ودراسة .

قال : صحيح .. هو ماركسي اردني ؛ حيث عاش وما زال .. ولكنه درس مبتعثا على نفقة اليسار الفلسطيني في صوفيا عاصمة بلغاريا .

ـ نعم نعم ، ذكر ذلك .. كان يتكلم قليلا .. ثم انصرفوا ، ولم يحدثني احد عن خروجه لسوريا والجزائر وليبيا .. غب أياما عني ثم اتصل بي ؛ فإن علمت عنه شيئا من الشباب الذين جاءوا سأخبرك بذلك .. لأنني أعرف اثنين منهم بشكل جيد .. هذا ما استطيع تقديمه لك الآن .. أما عن سبب اختفائه هل صرع أو اغتيل لم اسمع أو لم ينقل ؟

قال : شكرا سيدي .

وغادر منزل القاموس مع غروب الشمس .. وبعد يومين اتصل بمنزل القاموس فقيل له إن الحكيم عنده فتأجل الاتصال للمساء التالي ، فلما اخذ موعدا ذهب اليه ، وبعد الترحيب وشرب فنجان القهوة فقال الرجل لفوزي : زارني أصحاب أو قل احد أصحاب صاحبك المختفي وسألته وكان معي صريحا : اخبرني أن صاحبك فعلا سافر للجزائر عن طريق سوريا ومنها ليبيا ولعله هاجر لأوروبا بقوارب الهجرة الخفية هذا ما قاله لهم .. ومن أجل ذلك انقطعت أخباره عن الجميع

ـ ولماذا يهاجر ؟ فيمكنه أن يهاجر بدون قوارب سرية.. شقيقه سمع أو همس بأذنه انه هاجر أوروبا الغربية أثناء بحثه عنه في ليبيا ولم يصدق .. هو مهندس ويشتغل ليس بحاجة للمال ليغامر هذه المغامرة الخطرة .. لقد هاجر شقيق له لكندا من زمن .

قال : هذا ما قاله الشاب الذي قابلته ، وهو الذي وصاهم أن لا يخبروا أحدا بموضوع الهجرة

فاذا وصل إيطاليا فلسوف يتحدث معكم لما يستقر وضعه .

ـ له اكثر من سنتين أو سنة ونصف لم يسمع عنه خبر

قال الصحفي : كثير من الناس يغرقون ويدفنون جماعيا يا أستاذ فوزي أو يبتلعهم المتوسط

ـ غريب .. امر غريب .. صحيح أن الكثير من القوارب تغرق في عواصف البحر وتظهر أجسامهم على شواطئ البحر .. ولو اعتقل كما نسمع لاتصل باهله عن طريق منظمات حقوق الإنسان والهجرة غير الشرعية .. أأنت مقتنع بما قاله زميله ؟

قال : الحق غير مقتنع مائة بالمائة .. المهم والأكيد يا صاحبي انه خرج من لبنان ودخل ليبيا هذا ما استطيع أن افعله لك

ـ أشكرك جزيل الشكر .. وأتمنى لك العافية والصحة

قال : هذه شواطئ البحر الأبيض من جهة أفريقيا محج للهاربين من بلدانهم إلى سواحل أوروبا سواء عن طريق المغرب تونس ليبيا

ـ القصة انه غير محتاج للهجرة لاقتنع بها ، ليس هناك دوافع للهجرة السرية .. وهو يمتلك جواز كأي اردني وغير ممنوع من تجديده

قال : ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

***

فور وصول فوزي لعمان التقى بالمهندس عاصم وشرح له رحلته وسبب تأخره بعض الوقت ولما انتهى الكلام عند الهجرة غير الشرعية ازداد عاصم اندهاشا وقال لفوزي : أنت تعرف سمورا جيدا فهل يفعل ذلك ؟

فرك أذنه وقال : لست مقتنعا .. فالهجرة غير الشرعية لها أسباب لا تنطبق على سمور .. أولها الفقر المدقع وعدم توفر فرص للعمل وسمور لا ينطبق عليه هذا حسب علاقتي به

قال عاصم مؤيدا : صحيح .. لم اره يطلب منا قرضا فلسا منذ عدنا من بلغاريا .. والعمل متيسر ولا سفرة عمل خارج البلاد إلا ويعود بآلاف الدولارات .

وقال فوزي : والسبب الثاني كثرة السكان أو ما يسمونه الانفجار السكاني وعندنا في الأردن لا يوجد انفجار سكاني بعد ؛ بل لدينا عمالة مصرية وسودانية وسورية وآلاف العراقيين بيننا بسبب الحصار .. ويقال عندنا بطالة مقنعة وأبواب الخليج تقبل شبابنا للعمل فيها رغم حرب الخليج الثانية .. فيقول أخصائيو الاجتماع : يؤدي النمو السكاني الذي يتجاوز القدرة الاستيعابية للمنطقة أو البيئة إلى الانفجار السكاني .. فيقال أن الهجرة توفر تنفيس للانفجار السكاني وتنقل هذا الانفجار إلى مكان أو بلد آخر .. يعتبر الانفجار السكاني وعواقبه مشكلة أكبر في البلدان النامية. . وعندنا كما قلت لا يوجد هذا الانفجار الذي يدفع العم سمور للسفر لليبيا ليركب قارب تعبان نحو إيطاليا

قال عاصم : أنا سمعت مثل هذا الهمس في بيروت من المكتب ومن مكتب دمشق ومن مكتب ليبيا فهو لم يزر أي مكتب في دمشق الجزائر ليبيا فظنته ذاهبا هناك للأشراف على مشروع .. المهم شغل .. ولماذا يخفي هذا عني ؟ فهو يعرف أن لا احد يهتم بغيابه وحضوره إلا أنا .. شقيقنا عبد القادر كان في كندا مهاجرا بزوجته وابنته ودعانا للهجرة الشرعية وتوفر فرص عمل للمهاجرين

قال فوزي : وهناك أسباب أخرى منها يسعى بعض المهاجرين غير الشرعيين للعيش مع أحبتهم الذين يعيشون في بلد لا يُسمح لهم بدخوله، مثل الزوج أو الزوجة أو غيرهم من أفراد الأسرة..يمكن التقدم بطلب للحصول على تأشيرات لم شمل الأسرة من قبل المقيمين الشرعيين أو المواطنين المجنّسين لإحضار أفراد أسرهم إلى دولة الوجهة بشكل شرعي، ولكن قد تكون هذه التأشيرات محدودة العدد وخاضعة لحصص سنوية.. قد يدفع ذلك أفراد الأسرة للهجرة غير الشرعية من أجل لم الشمل.. كما حصل لأقارب لنا هاجروا للسويد والدنمارك سافر عم لي للسويد بعد نكبة ٤٨ وبعد عشر سنوات التحقت به زوجته وأطفاله

ـ سمور لا زوجة ولا أولاد هناك .. له بنتان ويعيشان عند أم زوجته وفاء .

قال فوزي : وهذا لا ينطبق على سمور كما تقول وهناك اللجوء السياسي ..قد يكون الدخول

غير المصرح به إلى بلد آخر بسبب الحاجة إلى الهروب من الحرب الأهلية أو القمع السياسي في البلد الأصلي.. مع ذلك، لا يعد الشخص الذي يفر من مثل هذا الموقف في معظم البلدان مهاجرًا غير شرعي تحت أي ظرف من الظروف.. إذا تقدم ضحايا التهجير القسري بطلب لجوء في البلد الذي هربوا إليه وتم منحهم وضع لاجئ، فيحق لهم البقاء بشكل دائم.. إذا لم يتم منح طالبي اللجوء نوعًا من الحماية القانونية، قد يضطرون إلى مغادرة البلاد ، أو البقاء كمهاجرين غير شرعيين .. كما يهاجر الناس لأمريكا وكندا وأوروبا الغربية بسبب الاضطهاد السياسي .. وكذلك نعلم من أسباب الهجرة غير الشرعية الحرمان من الجنسية .. تريد بعض العائلات أن تضمن حياةً أفضل مليئة بالنجاح لأطفالها.. ليضمن الأطفال التعلم في بيئة آمنة هذه اشهر الأسباب للهجرة التي نعرفها ، ولا شيء منها ينطبق على سمور في رأيي ورأي القاموس ؛ ولكنه نقل هذا الكلام عن زميل سمور بزعم أن سمورا قال له ذلك .

ـ الحق أن هذا القول غير دقيق كغيره من الأقوال .

***

رجع عاصم لشقته مهموما اكثر بعد عودة فوزي ، وما كاد يدخل البيت حتى أخبرته أم حاتم باتصال الدكتور عبد الرحيم يسأل عنه فلما شرب بعض الماء ضرب رقم الدكتور الذي كان يسأله عم حمل فوزي من أخبار سمور ، فذكر له مختصر اللقاء وعلق عبد : سمور يهاجر خفية عنا .. هذا شيء غير معقول .. على كل سأتصل بسميح فهو مهتم مثلنا بنتائج رحلة فوزي ونلتقي عندك .. في مجال !

ـ أهلا وسهلا قبل دقائق عبرت البيت نتعشى معا إن شاء الله

ـ لا بأس .

وصل سميح لبيت عاصم قبل عبد الرحيم ، فبيته قريب من شقة عاصم ، وبعد حين يسير دخل عبد الرحيم الذي قال بعد المصافحة والسلام : كلمت عبد القادر ليسمع ما سنسمعه عن مشوار فوزي فقال لي معتذرا : إن صفاء مريضة فقد تحدث معه خالها باسم وسيذهبون بها

للمستشفى

قال سميح : ألم يقل ما بها ؟

رد عبد الرحيم : قالوا له بنتك مريضة ، وسنذهب بها للمستشفى بأمر من الطبيب

قال عاصم : بعد العشاء نتصل به أو نذهب للمستشفى

قص عليهم تفاصيل رحلة فوزي لقاموس وصحفي بيروت وأن الرجل تبين أنه يعرف سمور محسن وزاره اكثر من مرة مع شباب يساريين مثلهم ، واخبرهم سمور قبل مغادرة بيروت برغبته بالهجرة السرية لروما لهذا سافر ليبيا ، والقاموس غير مقتنع بها نقل له ، ولا فوزي مصدق هذا الأمر وهذا الاختيار وقال مختتما التفصيل : ولا أنا مصدق هجرة بقارب تهريب إلا اذا فقد سمور عقله .

وادلى كل واحد منهم بدلوه ، واتصل عاصم ببيت عبد القادر وأخبرته لمياء باسم المستشفى الخاص الذي ساقوا إليه صفاء عبد القادر وشكروها وقال عاصم : هل ستذهبون ؟

قال سميح : أنا سأذهب الآن لا ادري عبد !

ـ إن شاء الله سأذهب معك .. عاصم

قال عاصم : سأذهب بعدكم ، ولكن بعد أن استريح قليلا .. طمأنونا من المستشفى

شربوا الشاي ، وودعوا أهل البيت الحاضرين وقبل المغادرة قال عاصم : ما أخبار زواجك ؟ هل جد جديد ؟

ـ لم يحسم الأمر .. إلى اللقاء

وصلوا المستشفى كل بسيارته ، ووجدوا عبد القادر ومطلقته وأختها وأخاها باسم والبنت داخل غرفة الفحص ولما خرجوا قال سميح : ما هذه الأخبار عن سمور ! أخبار لا تصدق

ـ نعم ، باختفاء سمور الغامض اختفت الشيوعية من أسرة محسن سالم ؛ كما اختفت في العالم الشرقي يا أبا محسن !!

قريتنا ...

هو أنت لاجئ

وهج الحرب

موقعة الثلاثة والعشرين

اختفاء البدن

وكان الاتحاد السوفيتي الدولة الاشتراكية الشيوعية الأولى في التاريخ وكانت أول دولة تعترف بإسرائيل اعترافاً قطعياً بتاريخ ١٧ مايو ١٩٤٨م وذلك بعد إعلان إسرائيل كدولة في ١٤ / ٥/ ١٩٤٨ ومن ثم تشيكوسلوفاكيا وصربيا وجمهورية بولندا الشعبية .. وتظاهر اليسار العربي الشيوعي بالصدمة وعدم فهم الموقف .. ثم بعد اربع وأربعين مات الاتحاد السوفيتي وخفت صوت الشيوعية عن النباح .. وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح